٢

على مذبح الشهوات



تأليف
ميشال زيفاكو

مكتبة الفقيه
بيروت

على مذبح الشهوات

طبعة جديدة ٢٠٠٣

مكتبة الفقيه
طباعة - نشر - توزيع

بيروت - شارع معوض - حي ماضي - هاتف: ٠١/٢٧٧١٣٩ فاكس: ٠١/٢٧٧١٢٥
فرع ثان: العاقبية - طريق عام صيدا - صور تلفاكس: ٠٧/٢٦٠٢٤٦

ميشال زيفاكو

على مذبح الشهوات

رواية ادبية تاريخية غرامية
ذات حوادث ومكائد ودسائس هامة ...

ترجمة
أحد الادباء

الجزء الثاني

تنوان ونيشان

مكتبة الفقيه
بيروت

١

المركيزة والدة لوسيان

فقال لها لوسيان : التمس من سيدتي ان تأذن لي بالتصريح فتعلم انها ظلمتني بشكواها وانا لا ازال اقول انهم وعدوني بالانقـــاذ ...

– ألا تزال تعترف ؟

– هو ذاك ولكني لم اقل ان الجمهوريين سينقذونني .

فهزت الدوقة رأسها وقالت : ونحن ايضاً وعدنا اصدقاؤنا بانقاذنا .

فقاطعها لوسيان قائلاً : اني لم أقل يا سيدتي اني معتمد على اصدقاء .

– اذن انت معتمد على الاعداء ، أي معتمد على الجمهوريين؟

– كلا يا سيدتي !..

– إذا كان الذين سينقذونك ليسوا باعداء ولا اصدقاء فمن هم اذن !.

– انهم من التجار فقد تولت حمايتي شركة غايتها انقاذ كل

نبيل يتهدده الموت وقد اندفعت بالقول فلم يبق بد من التصريح .

فصاح الجميع قائلين : تكلم تكلم !..

واحتشدوا حوله يسمعون الحديث الغريب .

فقال لهم لوسيان : اريد أن تتعهدوا لي بأمرين قبل ان ابدأ الحديث ، احدهما ان تدعوني اتكلم بصوت منخفض والآخر أن تتعهدوا بكتمان الأمر إذا اتيح لكم النجاة من هذا السجن !..

فقال له مركيز سينج : أتعهد لك بالنيابة عن الجميع بذلك فقـــل !..

فبدأ لوسيان حديثه فقال : تعلمون ايها السادة اني كنت من حراس الملك وقد حاولت مع رفاقي انقاذه من الموت فلم نفلح ، ففي يوم مقتله هرب جميع رفاقي الى البلاد الاجنبية أمـــا أنا ففضلت البقاء في باريس ، وكنت أعرف حلاقاً من اورليان فتنكرت بزي غلمانه وجعلت أخدم في دكانه حقناً لدمي . ففي مساء ذلك اليوم الذي امتهنت فيه هذه المهنة قال لي الحلاق هلم بنا الى قهوة المساواة نشرب فيها كأساً من الخمر قبل الطعام فذهبت واياه وكانت تلك القهوة ملعباً للقمار فان الجمهورية اذنت لرعيتها ان يقامروا عملاً بمبدأ الحرية فوجدت هناك كثيراً من الناس يقامرون وقد ابيضت وجوه وأسودت وجوه ، وكانت مائدة اللعب مغطاة بالذهب .

وقد رايت بين هؤلاء اللاعبين ، شاباً يناهز الثلاثين من عمره

يمتاز عن اؤلئك اللاعبين بالرشاقة ولطف السمة ، فكان يلعب بعنف لعب القانطين فوقفت اتفرج عليه وقد راعتني وخسارته فما زال يقامر ويخسر حتى خسر آخر ليرة معه فرأيته قد اضطرب اضطراباً شديداً وتجهم وجهه فنظر الى الذهب الملقى على المائدة نظرة وداع ثم تنهد تنهداً طويلاً وخرج فجأة من القاعة .

لقد اثر بي منظره تأثيراً شديداً فتبعته وأنا لا أعرفه ولا أدري ما يدعوني إلى اتباعه فرأيته جالساً على كرسي عند باب القهوة وقد وضع رأسه بين يديه فخيل لي انه يبكي .

فدنوت منه ولمست كتفه فالتفت ونظر الي نظرة قلقة وقال لي : ماذا تريد مني ! اني لا اعرفك !

— وأنا لا أعرفك ايضاً... ولكني رأيتك تلعب وعلمت ان خسارتك افضت بك إلى اليأس !.

فأجابني بصوت أجش : لقد اصبت ، ماذا تريد ؟

— اني حلاق فقير ولكني قبضت اجرة الشهر فهل تريد أن أسلفك شيئاً مما عندي ؟

فاتقدت عيناه بشعاع الأمل وبرقت الدموع منهما فقال لي: أنت تسلفني نقودك ؟

— دون شك !..

ثم أخرجت من جيبي قطعتين من الذهب ودفعتهما اليه بيد تكاد تتشنج وأسرع وثباً إلى مائدة اللعب فاقتفيت اثره لأعلم ما يكون من امره .

وهناك رأيت عجائب الصدفة وغرائب القمار فـان هذا الرجل وضع الليرتين دفعة واحدة وهو قانط ، فكسب فوضع الأربعة فربح فأخذ اثنتين ولعب بالستة ، فغنم فانتعشت يده وجعل يلعب لعب الواثق من حسن طالعه ، فما لعب مرة إلا كان من الرابحين بحيث لم يمر به ربع ساعة حتى بات الذهب اكداساً أمامه .

كنت أنظر اليه نظرة المشفق وأقول في نفسي : انه لا بد أن يخسر ما كسبه لفرط ما لقيت من اقدامه في المقامرة غير اني اخطأت فانه نظر إلى الذهب المتكدس أمـامه وحسب مقداره بوجه التقريب فنهض فجأة فأفرغ جميع ما كان أمامه في قبعته وخرج من القاعة بعد أن أشار الي أن أتبعه فتبعته الى غرفة في القاعة وقال لي : هلم بنا نقتسم .

– كلا إن هذا لا يكون فأنت الرابح والمال مالك .

– كما تشاء ولكنك تتعشى معي .

وكان يتكلم بلهجة تدل على اضطراب شديد فدفعني الفضول إلى معرفة امره وقبلت دعوته إلى العشاء فذهبت معه إلى أحد الفنادق وهناك حسب ما ربحه فبلغ ستمائة ليرة فأشرق وجهه بنور البشر وقال : لقد نلت أكثر ما أنا محتاج اليه ثم نظر الي نظرة الفاحص وقال : أرى من ملامحك ما يدل على انك لست من عامة الناس وانك لم تلجأ إلى العمل عند الحلاق إلا فراراً من الجمهورية ورجالها فقد بات عندي ضعف قيمة فديتي .

فشككت في أمر هذا الرجل وخشيت أن يكون هـذا الربح الجزيل اضل صوابه وكأنه ادرك ريبتي فابتسم وقال لي :
كلا أيها الصديق لست بمجنون كما توهمت فاصغ اليّ تعلم حقيقة أمري !.. إني ادعى المركيز دي بومين ولا أنكر عليك خوفي من أن تصيبني الجمهورية بماأصابت إخواننا النبلاء فتنكرت هرباً من القتل وقد كان يأسي شديداً حين خسرت آخر ما كان لدي ولولا هذا الربح لكنت أقتل في أول يوم يقبضون عليّ به .

فعجبت لأمره وقلت له :

– أرجو أن يحميك هذا المال من الجمهورية !..

– دون شك والآن أتوسل اليك أن تخبرني إذا كنت حقيقة من النبلاء وإذا كنت تخشى أن ينالك انتقام الثائرين .

– ماذا يهمك ذلك ؟

– كيف لا يهمني وأنا مدين لك بحياتي ويجب عليّ انقـاذ حياتك .

– بالله اسرع بالايضاح فاني لا أفهم شيئاً مما تقول .

– إذن فاسمع : انه يوجد في باريس جمعية سرية قد تأسست في بدء الثورة وغايتها وقاية اعضائها من القتل فكل من دفع لها ستة آلاف فرنك وكان من النبلاء يسافر كيف شاء وهو في مأمن من القتل حتى ولو قبض عليه وحوكم وحكم عليه بالاعدام ولكن يد الجلاد لا تبلغ اليه .

وأنا أعلم انك غير مصدق لما أقول ولكني اقسم لك اني لا أقول غير الحق واستطيع ان أبرهن لك على صـــدقي بأن

اصحبك فتحضر الجلسة التي يعقدها أصحاب القناع الأحمر فان هذا اللقب لقب أعضاء هذه الجمعية السرية وكل من اشترك بهـا تقنع بهذا القناع فتعال معي فاني ذاهب اليها لأدفع قيمة فديتي لأن المهلة التي منحوني اياها تنتهي اليوم فاذا تأخرت عن الدفع تخلوا عني .

فزاد عجبي من هذه الالغاز وقلت : هلم بنا .

ولما فرغنا من العشاء ذهبت وإياه الى منزل في شارع مرانو فقرع بابه ثلاثاً ففتح له فأخذ بيدي ودخلت وإياه إلى رواق مظلم انتهينا منه إلى باب آخر فقرعه ايضاً قرعاً خاصاً ففتح رتاج الباب وظهر منه نور ثم سمعنا صوتاً يقول : من القادم ؟ فأجابه رفيقي قائلاً : « إن هذا اليوم يوم الدفع » !..

فقال له الصوت : كم أحضرت من المال ؟

قال : ستة آلاف فرنك .

قال : إذن انتظر فسأفتح لك ...

ثم أقفل الرتاج فاحتجب النور وساد الظلام .

ولما بلغ الكونت لوسيان دى مازير في حكايته إلى هذا الحد قاطعه المركيز دي بلموزان فقال : ايها السيدات والسادة اني لا أصدق كلمة من حديث الكونت دي مازير ولكني اعترف انه حديث مسر يشبه حكايات الف ليلة وليلة ولعله مقتبس منها .

فقال له لوسيان: أنت مخير يا حضرة المركيزفي عدم تصديق ما أرويه ولكني أرجوك أن تدع الآخرين على اعتقادهم إلى أن أتم حكايتي ، ثم مضى في حديثه فقال لهم : حين أقفل البـاب

وساد الظلام صبرنا عدة ثوان ثم فتح الباب فانكشف لنا عن رواق طويل ورأيت على يمينه مكتباً يشبه مكاتب بيع التذاكر في دور الملاهي .

وعند ذلك سمعت نفس الصوت الذي كلمنا من وراء الباب يقول مخاطباً : ما هي نمرتك ؟

فأجابه المركيز قائلاً : ١٠٩

ففتح الرجل دفتراً ضخماً فقلب أوراقه ثم قال بعد الفحص هو ذاك وانت مديون بستة آلاف فرنك .

– لقد أحضرت المال المطلوب .

– أحسنت لأنهم قرروا القبض عليك غداً ، أما وقد أحضرت المال قبل فوات الاوان فلا خوف عليك .

ثم رأيت نافذة فتحت من ذلك المكتب وبرز منها رجل مقنع فأظهر الدهشة حين رآنا وقال : كيف ذلك ألست قادماً وحدك ؟

– كلا فقد جئت بصديق يريد أن يكون من أعضاء الجمعية وهذه ستة آلاف فرنك عنه ...

– ولكن هل لصديقك سبب خطير يدعوه الى الدخول في جمعيتنا !..

فرأيت علائم القلق قد بدت على محياه لأنه لم يكن يعرف اسمي فاسرعت وأجبته :

– إني أدعى الكونت لوسيان دي مازير .

فقال المقنع : ألديك مـــا يثبت نبلك واسمك الذي تسميت به ؟

لقد كانت صورة أبي معلقة في عنقي وقد نقش تحت الرسم شارة اسرتنا فنزعتها من عنقي ودفعتها اليه فنظر إلى الشارة ثم ردها لي وقال : إنك أحوج الناس إلى مساعدتنا يا سيدي ؟

وكان المركيز في خلال ذلك قد أخرج الذهب من جيبه على قطعة من البلاط صفوفاً فعده الرجل المقنع وقبضه فوضعه في صندوق ضخم ثم كتب ما يأتي :

« إن الكونت لوسيان دي مازير دفع ستة آلاف فرنك في ٢٥ ابريل عند منتصف الليل ونحن مسؤلون عنه مـدة العام الحاضر » .

بعد ذلك اعطاني قناعاً من المخمل الأحمر مثل قناعه وقال لي : اني انا وحدي أعرف اسمك أما بقية الأعضاء فلا يجب أن يعرفوا اسمك الا حين تكون معرضاً للخطر وهذه جمعيتنا فلا يعرف بعضنا بعضاً وذلك لأن آرائنا مختلفة فمنا الملكيون ومنا الجمهوريون ومنا المعتدلون ...

فدهشت لقوله وقلت : أيوجد بينكم جمهوريون !..

— دون شك فانهم يفيدوننا أعظم فائدة لناوليست جمعيتنا سياسية بل هي جمعية غرضها التعاون على مقاومة هذه المشنقة التي باتت تنذر الجميع ولو كانت سياسية لكنا انقـذنا الملك من قبل !.

أما المركيز فإنه قال له : تعالَ أيها الصديق لقد بدأت

الجلسة !..

فتقنعت بقناعي وسرت وإياه في رواق كانت المصابيح معلقة في قبته حتى انتهينا إلى باب قرعه المركيز ففتح له ونزلت منه إلى قاعة تحت الأرض . كانت قبواً في ما مضى فوجدت هناك منظراً ذعرت له وهو مشنقة اعتبروها مثالاً لهم وفوقها مكتب الرئيس وهو مقنع كسائر الأعضاء .

وقد افتتح الرئيس الجلسة فأمر السكرتير أن يقرأ محضر الجلسة الماضية ، أما السكرتير فإنه وقف وقال له : يوجد أمور خطيرة أولى من قراءة المحضر .

– ما هي هي ألعل أحد أعضائنا في خطر ؟

– يوجد اثنان وهما نمرة ١٠٩ و ٧٠٥

ففتح الرئيس دفتر أمامه وقال : إن نمرة ١٠٩ لم يدفع فديته بعد .

فوقف الرجل الذي قبض المال من المركيز وقال : إنه دفع ما عليه منذ عشر دقائق .

– حسناً. ثم التفت إلى السكرتير وقال له : هل قبض عليه؟

– كلا !..

– هل هو بيننا ؟

فوقف رفيقي المركيز وهو مقنع ايضاً وقال : نعم .

فقال له الرئيس : إننا سنعطيك جوازاً بعد خروجك من هنا ونرسل معك من يصحبك إلى الحدود .

ثم فتح الدفتر ايضاً وقال : إن نمره ٧٠٥ لم يدفع ما عليه .

فأجابه أمين الصندوق : هو ذاك وانه يطلب مهلة ثمانيـة أيام .

– إذن ننقذه متى دفع .

– ولكنه في السجن وقد يقطعون رأسه غداً ؟

– ليس ذلك من شأننا فاننا لا ننقذ غير من يدفع فديته .

وعند ذلك اعترض لوسيان أحد السامعين وقال : هب اننا وثقنا بحديثك فهل تستطيع أن تثبت لنا ان هـذه الجمعية أنقذت أحداً من الأعيان ؟

– دون شك فانها أنقذت المركيز دي بومين وذلك انـه بعد ثمانية أيام وردني كتاب من المانيا وكان هذا الكتاب من المركيز .

فقال له أحد السامعين: أتم حديثك يا سيدي الكونت فانه عجيب ! . .

ولكنه قبل أن يبدأ الحـديث فتح باب السجن ودخـل السجان يقود صبية فصاح الجميع صيحة دهش لما رأوه من جمال تلك الفتاة . أما لوسيان فإنه صاح صيحة ذعر فقد وجد أن هذه الفتاة ابنـــة عمه الكونتس اورور ، فلما سمعت أورور صيحته دنت منه وقالت له : اننا يا ابن عمي العزيز على باب الأبدية فأرجو أن تنسى خصامنا العائلي وأن تمد يدك لمصافحتي ! . .

* * *

لقد قبض على اورور في منتصف الليل كما تقدم فسجنت في سجن البوليس مع الأحدب وعند الصباح اطلق سراح الاحدب وجيء بها الى الدير ، أي الى السجن الخاص بالنبلاء .

وكان بنوات قد اعترض وتوسل الى الجنود أن يذهبوا به أيضاً الى السجن وان يشنقونه معها ولكنهم طردوه . ثم أقبل قاضي التحقيق فسأل اورور عن حقيقة مولدها واسمها وبتمسكها بالملكية فكان من ذلك الاقرار الصريح انه أصدر أمراً بارسالها للفور الى السجن .

وقال أحد الجنود وقد أسفوا عليها لجمالها، ستقتل بعد يومين.

فأجابه الآخر : بعد ساعتين فان اقرارها صريح ولا سبيل بعده الى المحاكمة .

أما أشراف السجن فانهم اعجبوا بجمالها وجعل الجميع يتوددون اليها بعد أن عرفوا اسمها وكلهم أسف عليها .

وبعد حين خلت بلوسيان فأخبرته بجميع ما عرفته من حنة ثم قالت له :

— ان الشقاء يا ابن عمي العزيز قد قرب بيننافان أبوينا حفرا هوة هائلة ولكني أتوسل اذا اتيح لك الخروج من هنا أن تبحث عن حنة في منزل الغسالة التي أرشدتك اليها واني أصفح عنك باسم كريتشن أمي وأمها واأذن لك أن تتزوجها، فأخذ لوسيان يد ابنة عمه فقبلها وهو يضطرب اشفاقاً على حنة .

وعندئذ دخل السجان وبيده ورقة تتضمن أسماء الذين حكم عليهم فسكت الجميع بعد ضحكهم وبدت علائم الاضطراب

عليهم وأصغوا الى قراءة السجان وكل منهم يتوقع أن يكون اسمه بين تلك الأسماء ، فبدأ السجان يذكر اسم الدوقة شارلوت أكابيس ، فاصفر وجه هذه الدوقة الصبية وقالت : كنت أظن انهم نسوني ولكن اضطرابها لم يطل فانها عادت الى التهكم فنظرت الى لوسيان وقالت له : يا ليتني ضمنت نفسي مثلك .

ثم ذكر السجان اسم المركيز شارول ليموزان فتبع الدوقة وهو يقول : كنت أود أن أعيش الى أن أوقن من صدق ما رواه لوسيان عن جمعية القناع الأحمر ، ثم نادى غيره فانضم الى الاثنين ثم ذكر اسماً آخر .

فصاح لوسيان صيحة منكرة واضطرب جميع الحضور اضطراباً عظيماً ، ذلك ان السجان قرأ اسم اورور ، فبكى لوسيان وسأل السجان قائلا : وأنا متى يأتي دوري :

فأجابه السجان : ان اسمك غير موجود بالقائمة .

وعند ذلك دخل مدير السجن ودفع الىالسجان قائمة أخرى اضافية تتضمن أربعة أسماء فقرأها السجان وكان في آخرها اسم لوسيان دي مازير، فعلَت صيحة المعترضين وقالت تلك الدوقة التي تعترض لوسيان : يا خيبة الأمل ويا ضيعة المال الذي دفعته لأولئك اللصوص المقنعين .

أما لوسيان فانه عانق اورور وجعل يبكي ويقول :

– مسكينة حنة .

وبعد هنيهة صعد جميع الذين ذكرت أسماؤهم بتلك القائمة الهائلة الى مركبة تسير بهم الى محكمة الجمهورية حيث يتلقون

صدور الحكم بالاعدام ويعدمون بعد سماع الحكم .

وفيما هم يسيرون بهم الى المركبة تحيط بهم الجنود دنا رجل من لوسيان ولمس كتفه فنظر اليه لوسيان فلم يعرفه فقال له :

ــ أظن انك مخطىء .

ــ كلا فان نمرتك ١١٠ .

فارتعش لوسيان إذ كانت هذه النمرة نمرته التي سجلت في دفتر جمعية القناع الأحمر حين دفع المركيز عنه الفدية فقال له الرجل بصوت منخفض : لا تخف فانهم سينقذونك .

فهز لوسيان رأسه وقال : لقد فات الأوان .

أما الرجل فانه ابتسم وقال له : لا ان جمعيتنا لا تحنث بوعودها ثم تركه فاختلط بالناس وتوارى عن الأنظار .

ولنعد الآن الى بوليت فقد تركناه وقد أرسله المحامي بكتاب انطونيا الى بيبي بعد أن أرشده الى منزله فوصل الى ذلك المنزل ولم يجد بيبي فيه ، وعند انصرافه مرّ بدكان الغسالة فسمع بكاء وعويلا من ذلك الدكان ، فان مروره اتفق حين كان الأحدب يقص على حنة كيف ان الجنود قبضا عليه وعلى اورور ثم أطلقوا سراحه دونها وساقوها الى الدير .

فدنا بوليت عند ذلك من الدكان فرأى الأحدب ورأت حنة بوليت فعرفته وصاحت صيحة ذعر .

ولما سمع زوج الغسالة ذعرها خرج الى بوليت وقد تهدده بقبضتيه وقال له : ماذا تريد أيها الرجل ؟

فلم يجب بوليت ولكنه قال وقد رأى الغسالة وحنة ، أرى

اخت امرأة كوكليس وقد كان يجب أن أعلم ان الأختين لجأتا الى دكانك .

فقالت له الغسالة: ألملك تعرفني ؟ فما أجابها بوليت بل كلم الأحدب فقال له : ما سبب البكاء وأين الأخت الثانية ؟

فأجابه سيمون وهو لا يعلم إذا كان بوليت من الأصدقاء أو من الأعداء ، لقد قبضوا عليها .

وكان بوليت يحب اورور حباً همجياً فصاح صيحة خرجت من صدره كزئير الضواري .

ثم دنا من الأحدب فهز كتفيه وقال : قل لي ماذا حدث ولا تكتم عني أمراً فانها لو كانت على المشنقة لأنقذتها من يد الجلاد .

فأسرعت حنه اليه والدموع تهطل من عينيها فقالت له : أنت تنقذها ؟!

قال : انكم لا تعرفونني بعد وقد قلت اني انقذها فلا بد من انقاذها ثم التفت الى الأحدب وسيمون وقال لهما : اذا كنتما رجلين فاتبعاني وخرج من الدكان فخرج الأحدب وسيمون في أثره وركعت حنه والغسالة تضرعان الى الله أن يوفق هذا الرجل الى انقاذ اورور .

ثم التفت بوليت الى الأحدب وقال له : أريد أن تخبرني كيف انهم قبضوا على اورور بل يجب ان أعلم متى وأين .

ومن الغريب ان هذا الرجل الذي ذعر منه الاحدب منذ عدة أيام قد أثرت عليه لهجته اليوم وبات يثق به فأخبره بجميع

ما اتفق له ثم أخبره عن السجن الذي ذهبوا بها اليه .

فأجفل بوليت وقال :

- ان هذا السجن صعب الفرار منه ولكنهم لا يحاكمونها قبل ثلاثة أو أربعة أيام وفي كل حال فلنذهب اليه .

فقال له الاحدب :

- وأية فائدة من الذهاب اليه اذا كنت لا تستطيع الدخول؟

- من يعلم ، فاتبعاني .

ثم سار مستعجلا والاثنان في أثره حتى وصلوا إلى شارع السجن فوجدوا الناس محتشدون فقال بوليت :

- انهم سائرون بالمحكوم عليهم من النبلاء الى الاعدام ولكن لا خوف من أن تكون هي بينهم .

وعند ذلك كثر احتشاد الناس فصعد بوليت كي يرى المحكوم عليهم فلم يكد يستقر عليها حتى صاح صيحة رعب واصفر وجهه ، ذلك انه رأى السجان يدفع اورور الى الصعود الى المركبة فنزل من الرابية واخترق صفوف الناس يتبعه الاحدب وسيمون حتى وصل الى حيث كانت المركبة واقفة أمام باب المحكمة يطوقها الجند ورأى الجنود يخرجون الاشراف من المحكمة ويسيرون بهم الى المركبة فنظر الاحدب وقال :

- قلت لك سأنقذها .

فنظر زوج الغسالة الى الاحدب وقال : لا شك انه مجنون .

وكان بوليت هذا شريداً شقياً ولكنه كان من غلمان باريس الذين يقدمون على كل المخاطر عند الاقتداء فلم يعلم كيف ينقذ

اورور ولكنه كان معتمداً على نفسه واثقاً من الفوز .

وكان قد سمع ما قاله زوج الغسالة فقال : كلا لست بمجنون ثم هز كتف الاحدب وقال له : قلت سأنقذها .

فجال الدمع في عين الاحدب وقال :

– لقد فات الاوان وأسفاه .

قال : كلا فاتبعني حيث ذهبت وازدحم بالناس حتى تبلغ معي الى المشنقة واذا ابتعدت عني خطوة قضى الامر ولا أكون مسؤولاً عن شيء .

– وبعد ذلك ؟

– تقلدني في جميع ما أفعـل وتقول كل مـا أقوله وإذا اتخذتك شاهداً على أمر فاحذر أن تكذبني واشهد على صدق ما أقول مهما بلغ قولي من الفظاعة .

ولم يفهم الاحدب وسيمون شيئاً مما كان يقوله غير انهما رأيا على وجهه علائم الثقة فاطمأنا .

وعند ذلك قال لهما بوليت :

– لا يجب أن نتبع المركبة بل يجب أن نتقدمها ونصل قبلها ثم اندفع يخترق صفوف الناس مثل السهم يتبعه الاحدب وسيمون حتى وصلوا الى ساحة الاعدام قبل وصول المركبـة وكانوا في طليعة المتفرجين الذين بلغ كرههم النبلاء مبلغاً عظيما من نفوسهم فباتوا يلتذون بمنظر القتل الفظيـع .

* * *

أما المركبة التي كان فيها المحكوم عليهم فكانت تضطر مكرهة أن تسير سيراً متباطئاً لفرط ازدحام الشعب من حولها واعتراضهم سبيلها .

وكانت امرأة عجوز تزحم الناس وتحاول الوصول الى المركبة فلا يعترضها أحد لاشتهارها بالميل إلى الجمهورية حتى اذا دنت من المركبة حاول أحد الجنود ردها فاعترضتهم اعتراضاً شديداً وجعلت تشتم الاشراف فساعدها الناس وأذن لها الجنود بالدنو من المركبة فجعلت تتهكم من على فيها تهكماً مؤلماً وترميهم بقوارص النكات الجارحة دون اشفاق فأمن الجنود جانبها وتركوها وشأنها مع أولئك المنكودين تتهكم عليهم كما تشاء .

وما زالت تتهكم على كل منهم بمفرده حتى وصلت إلى لوسيان دي مازير فقالت له : السلام عليك أيها الغلام الجميل .. حيف على رأسك البديع أن تقطعه على المقصلة ووالله لو كان لي فتاة لما زوجتها إلا لك فانك أجمل من رأيت .

فقال لها لوسيان بسكينة : أحق ما تقولين يا خالتاه ؟ ثم جعل ينظر الى تلك العجوز الشمطاء مبتسماً وقد راق له مزاحها .

— لقد أخطأت أيها الفتى بكرهك للجمهورية .

فابتسم لوسيان ابتسامة شفت عن الاحتقار وقال : لماذا ؟

— لأنهم سيقطعون رأسك أليس ذلك برهاناً كافياً ولكن اشفاقي عليك من البرد أشد من اشفاقي عليك من القتل فان البرد شديد فقل لي أيها الفتى الجميل ما تمرتك ؟

قال : لا أعلم .

قالت : ولكنهم يحكمون عليكم الواحد بعد الآخر وقد قلت لك اني أخشى عليك البرد ولا ينفذ فيك حكم الاعدام قبل ساعة فمتى وصلنا ساحة الاعدام أعطيتك غطائي فتدثرت به .

فضحك لوسيان ضحكاً عالياً وشكرها أما العجوز فانها اغتنمت فرصة غفلة الجند عنها فغمزته بعينها وقالت : ألست الكونت دي مازير ؟

– نعم .

– اطمئن فسينقذونك .

فانذهل لوسيان إذ سمع مثل هذا الوعد مرتين في ساعة واحدة من شخصين مختلفين وأما العجوز فانها قالت له هذا القول وتوارت عن الانظار .

ولنعد الآن الى بوليت والأحدب وزوج الغسالة فانهم كانوا واقفين بالقرب من المقصلة (آلة قطع الرأس) وكان وجه الأحدب يشبه وجه الأموات لفرط اصفراره فقال له بوليت :

– ما هذا الاصفرار يا بنوات انك تعلم اني أحبها ومع ذلك فاني غير مضطرب .

فاطمأن الأحدب بعض الاطمئنان لما رأى من ثقته بأنقاذها وعند ذلك تصاعدت الأصوات ودوت في الفضاء دوي الرعد القاصف فان نحو عشرة آلاف انسان صاحوا بصوت واحد قائلين : هذه المركبة .

وكان بوليت لا يستطيع أن يرى المركبة ومن فيها لكثرة

ازدحام الناس وراءه فقال لزوج الغسالة: ثبّت قدميك في الأرض فاني صاعد فوق منكبيك ...

ثم وثب الى ظهر سيمون وصعد الى كتفيه فوقف فوقهما وقال له: امسك !..

وأجال نظره في المركبة ومن فيها فرأى بينهم اورور تبتسم غير مكترثة للموت فزادت الجرأة جمالها وكاد بوليت يجن من يأسه فقال لسيمون: اطلق رجلي!

ثم نزل عنه وهو يقول: كلا لا تقتل.

ثم صاح ببنوات قائلا: اتبعني وقل ما أقوله واحذر أن تبتعد عني أو تخالفني فيما استشهدك به.

فأجابه الأحدب بصوت مختنق: سأفعل كل ما تريد.

وبعد هنيهة وصلت المركبة إلى المقصلة فجعلوا يخرجون منها المحكوم عليهم كلا بدوره، فكان أول من أخرج دوقة حسناء فصعدت الى درج المقصلة وهي تبتسم، فلما انتهت الى آخرها أشارت اشارة وداع إلى رفاقها الأشراف وقالت بصوت مرتفع:

– لقد مات الملك فليحيى الملك!

وعند ذلك استلمها الجلاد ووضع عنقها تحت شفرة المقصلة الهائلة وضغط على لولب فهوت الشفرة وفصلت ذلك الرأس الجميل.

ثم جاء بعدها دور المركيز الشيخ فأجهز الجلاد عليه ومات بملء البسالة، ثم جعلوا يأتون بالواحد بعد الآخر وكلهم يموتون باسمي الثغور داعين للملكية، فكان الأحدب يغمض عينيه كلما قتلوا نبيلا حتى نادى السجان باسم اورور، فاهتز الأحدب

وتكهرب والتفت بوليت اليه وقال له :

— تأهب فقد دنت ساعة الخلاص .

أما اورور فانها لما سمعت اسمها صعدت درجات المقصلة باسمة غير مكترثة لما ستلقاه فهاجت جرأتها اشفاق الألوف من الحاضرين وجاهروا بالأسف عليها لما رأوا من جمالها ونضارة شبابها .

حتى اذا وصلت الى موضع الشفرة صاح بوليت يقول :

— توقف أيها الجلاد توقف انها حبلى ...

ثم هجم على درجة المشنقة وهو يصيح بملء صوته قائلاً :

— انها حبلى انها حبلى ...

وقد حال بينها وبين الجلاد وجعل يكرر ما قال ...

أما اورور فانها صاحت صيحة رعب وأنفة ولبثت نحو عشر ثوان وهي لا تجد كلاماً لانعقاد لسانها ثم تورد خدها فجأة بعد اصفراره وقالت : لا تصدقوا هذا الشقي فهو من الكاذبين.

غير ان الشعب كان تحمس لما سمعه من بوليت ، فهاج هياج البحر الذاخر وصاحوا جميعهم ينذرون الجلاد ويقولون :

— توقف انها حبلى ...

أما الجلاد وأعوانه فانهم ذعروا وخافوا عاقبة ذلك الهياج، ثم صعد قائد الجند الى المقصلة وحاول انزال بوليت .

فقال له بوليت بصوت سمعه الجميع :

— اني وطني جمهوري مثلكم وهي ملكية نبيلة ولكن ذلك لم يمنعها من أن تحبني ولي على ما أقوله شهود ... انكم لا تريدون قتل ولدي وهو جنين انه سيكون مثلنا من الوطنيين .

فصاحت اورور بالجلاد تقول :

— اسرع واقطع رأسي فان هذا الشقي نذل سافل يريد تلطيخ شرفي قبل الموت وهو لم يلطخ في الحياة .

غير ان بوليت كان يقرر أقواله ويصيح بملء صوته :

— اذا كنتم لا تصدقوني سلوا شاهدي .. تعال يا بنوات .

فأسرع بنوات وقال أمام الناس :

— أشهد انما يقوله هذا الرجل صحيح وان هذه الفتاة حبلى .

فلما رأت اورور الأحدب وسمعته يؤيد قول بوليت وفريته الشائنة شهقت وسقطت على درجات المقصلة مغمياً عليها فصاح الناس قائلين :

— حقـاً انها حبلى .. لا يمكن أن تقتل .

فأمر القائد عند ذلك أن يعودوا بها مغمياً عليها الى السجن إذ لا يستطيع مقاومة الشعب الثائر .

فنزل عند ذلك بوليت ودنا من الأحدب فقال له بلهجة الفائز :

— ألم أقل لك اني سأنقذها ؟

أما الشعب فقد سكن ثائره حين أعادوا اورور الى السجن ولكن هذه الشفقة لم تلبث ان ذهبت من قلوبهم بعد ذهابهـا ووقفوا ينتظرون إعدام بقية المحكوم عليهم .

ولم يكن باقياً غير ثلاثـــة آخرهم لوسيان ، فأخرجوهم من المركبة وأوقفوهم قرب المقصلة ثم أصعدوا أولهم فقتلوه وفيما هم يصعدون بالثاني التفت لوسيان فرأى تلك العجوز التي علمته بالنجاح واقفة وراءه ، فقالت له بصوت منخفض :

ـ انك سترى الآن الشعب يهيج ويختلط الناس بالجند فثق أنهم سينقذونك واخضع لما يقولونه لك .

ـ من الذي ينقذني ؟

ـ أعضاء الجمعية وأنا منهم فتجلد ولا تخف .

فعاد الرجاء إلى قلب لوسيان ولكنه لم يهتد إلى طريقة انقاذه !

وعند ذلك وضعوا الرجل الذي صعدوا به الى المقصلة في موضع الاعدام ورفع الجلاد تلك الشفرة الهائلة بلولب ثم أدار اللولب الذي تهوي به فهوت ولكنها لم تبلغ الى عنق الرجل ، ووقفت في منتصف الطريق ، فأن المنكود أنيناً مزعجاً وصاح الشعب صيحات منكرة وقد وصل إلى مسامعهم ذلك الأنين .

فأعاد الجلاد الشفرة إلى موضعها الأول وأدار اللولب ثانية فهوت الشفرة ولكنها وقفت كما وقفت في المرة الأولى ولم تبلغ عنق الرجل فجعل يئن أنيناً يقطع القلوب من الاشفاق .

وحاول الجلاد أن يعيد الشفرة غير ان الشعب لم يطق النظر الى هذه الفظاعة المنكرة فهاج هياج الأمواج الزاخرة وهجم معظم المتفرجين على تلك المقصلة فلم يستطع الجنود ردهم واختلطوا بهم أي اختلاط .

وعند ذلك شعر لوسيان ان وشاحاً قد ألقي على كتفيه وقبعة باتت فوق رأسه فالتفت فرأى العجوز وهي التي ألبسته الوشاح ورأى رجلاً بجانبها ألبسه القبعة وقال :

ـ هلم بنا إلى الفرار فأن جمعية القناع الأحمر لا تنكث بما تعد .

فكاد لوسيان لا يصدق ما يرى وامتزج مع رفيقيه بالناس

ثم توارى معها عن الانظار ونجا من المقصلة .

بينما كان الكونت لوسيان ينجو هارباً من الموت كان بوليت يسير مع الأحدب وزوج الغسالة فقال له الأحدب :

– انهم عادوا بها الى السجن وغداً يعودون الى قتلها .

– كلا ، إذ لا بد لهم من التحقيق وذلك لا ينتهي قبل ثمانية أيام وفي خلال هذه المدة أنقذها كما سترى ؟

وكان بوليت يقول هذا القول معتمداً على تنوان لما علم من نفوذها وهو لا يعلم انها هي التي تريد قتل اورور .

*

٢
سجن النبلاء

تقدم لنا القول ان الشفاليه دي مازير حين علم بالقبض على ابنته اورور صعق وسقط على الطريق فازدحم عليه الناس وجاؤه بطبيب بينما كانوا ينقلونه الى صيدلية قريبة دنا رجل من بيبي وهو من أهل الحي الذي يسكنه فقال له :

– انك تعين هذا الرجل وهو رئيس البوليس السري ، فلا شك انك من رجاله .

فذعر بيبي وترك صديقه الشفاليه وأركن الى الفرار لا يلوي على أحد ، فان الرجل على كونه بوليساً سرياً منذ عشرين عاماً كان يحترس على سمعته كل الاحتراس ، ولاسيا في ذلك الشارع الذي يقيم فيه فلم يخطر في بال أحد انه من البوليس ، ولذلك كبر عليه الأمر وأسرع الى منزله فأخذ ما كان لديه من المال فوضعه في حزام من جلد ، وتمنطق بـه ، وعول في البدء على الابتعاد عن باريس لشدة خوفه من افتضاح أمره فركب مركبة بريد وسار فيها الى أول قرية من الضواحي .

وبات تلك الليلة في فندق القرية وهو يفكر في أي شارع يقيم حين عودته الى باريس. وفي اليوم التالي أقبل بعض المسافرين من باريس الى ذلك الفندق فسمعهم يتحدثون بحديث الفتاة التي أنقذها الشعب من الاعدام لأنها حبلى .

فكان بعضهم يقولون : انها حبلى حقيقة وآخرون يقولون انها حيلة اختلقوها لانقاذها .

فاشتبه بيبي بأمر هذه الفتاة وسأل المتحدثين عن اسمها ، فقالوا له إنهم سمعوا السجان يدعوها باسم اورور دي مازير .

فسر بيبي سروراً لا يوصف وعوّل على الاسراع بالرجوع للبحث عن وسيلة لانقاذها ، إذ كان يعلم ان هذه الحيلة لا بد أن تنكشف بعد أسبوع فيعودون إلى اعدامها .

وكان أمر انقاذها سهلاً عليه لما لأبيها من الخدمات الجليلة في عهد الجمهورية غير ان الصعب في ذلك انه يجب أن يصرح باسمه الحقيقي كي يعلم أولوا الامر انها ابنته وفوق ذلك فان نفوذ تنوان أشد من نفوذه فهي تعرقل مساعيه دون شك .

وعند ذلك خطر له خاطر وهو ان داغوبير سيكون أعظم معين في سبيل انقاذها وهو دون شك أكثر نفوذاً من انطونيا ومن بول بعد انتصاراته الاخيرة فعول عند ذلك على الرجوع الى باريس ومقابلة داغوبير .

وفيما هم على الطعام دخل رجل بملابس الضباط وهو شاب عظيم الخلقة جميل الوجه أسود الشعر تدل هيأته على القوة وعيناه تدل على الدعة والسلام .

فصبر بيبي إلى أن أتم طعامه فدنا منه وبدأ معه الحديث فقال له : ألعلك قادم من أراس ؟

أجابه الضابط : كلا بل من محل أبعد .

— أمن جيش سامبروميز ؟

— هو ذاك .

— يظهر أن جيوشنا الظافرة قد أحدثت موقعة كبرى ؟

— قد كان ذلك منذ خمسة أيام .

— لقد كان النصر حليفنا كما تعودنا .

— دون شك .

— أرجوك المعذرة أيها المواطن العزيز فاني صادق الوطنية ويهمني الوقوف على أخبار أبطالنا فهل تعرف بطلاً لا تزال الجرائد تذكره منذ خمسة أيام ؟

— من هو هذا البطل ؟

— هو قائد دافع وحده عن جسر ورد عنه حملات الاعداء.

فابتسم الضابط وقال : ان النصر كان ممكناً دونه ..

— لا بأس ولكنه بطل فهل تعرفه ؟

فابتسم الضابط وقال : من هذا البطل ؟

— القائد داغوبير ؟

فأجابه الضابط بملء السكينة . هو أنا .

فاضطرب بيبي اضطراباً شديداً وكان يحب أن يقول له .. انك تحب أورور وأورور تحبك ولكنها في خطر الموت ولا يستطيع سواك أن ينقذها غير انه لم يقل له شيئاً ولكنه حين

صعد داغوبير إلى مركبة البريد المسافرة إلى باريس أسرع بيبي وجلس بجانبه وقد عول على أن لا يفارقه لحظة عين .
وقد كان يحدثه في الطريق فقال له : أين عزمت أن تقيم ؟
ـ ذلك سيان عندي سأنزل في أول فندق أجده .
ـ إنك في الاجازة فيما أظن ؟
ـ أعطيت إجازة اسبوعين .
ـ إنك تغتنم هذه الفرصة دون شك لزيارة عائلتك ؟
فابتسم داغوبير ابتسام الحزين وقال :لا عائلة لي ..
ـ إذن ستزور أصحابك ؟
فتنهد داغوبير وقال : هو ذاك ولكني لا أعلم إذا كنت أجـدهم !..
ـ لماذا تخاف أن لا تجدهم ؟.
ـ إننا في زمن لا يضمن المرء فيه غده وأسفاه .
ـ ذلك قاصر على النبلاء ...
ثم ابتسم وقال له : أظن إنك من عامة الشعب .
ـ إني كنت بيطرياً قبل أن انتظم في سلك الجندية .
ـ إذن لا بد أن يكون أصحابك مثلك فلا خوف عليهم فأين هم إلعلهم يبعدون عن باريس ؟
ـ أربعين مرحلة .
ـ إذن فهم مقيمون في أورليان .
فارتعش داغوبير وقال : كيف عرفت هذا ؟
فابتسم بيبي وقال : إن الناس لا يتحدثون إلا بانتصارك

في هذه الأيام أتظن انهم يخفاهم خافية من أمرك ؟
– ولكن كيف يعلمون إني ذاهب إلى أورليان ؟
– لأنهم يعلمون انها وطنك فقد بحثوا في شؤونك حتى انهم كتبوا تاريخ حياتك .
فقطب داغوبير حاجبه وقال : أيمكن هذا أن يكون ؟
– كل شيء ممكن ومتى وصلنا أخبرك بأمور كثيرة .
– ماذا تخبرني ؟
فأخذ بيبي يده وقال له : ليس الاتفاق وحده الذي دعاني إلى صحبتك .
– ماذا تعني ؟
– صبراً فستعلم كل شيء فان ما سأقوله لا يجب أن يسمعه أحد فصبراً إلى أن تقف المركبة .
فاضطر داغوبير أن يصبر حتى وقفت المركبة ونزلا منها فسار به بيبي وقال له : قبل أن أخبرك بما تود أن تعلمه يجب أن تثق انك بعدما أحرزته من النصر بت قادراً على نيل ما تشاؤه من الجمهورية .
فزاد انذهال داغوبير من هذه الألغاز وقال : ماذا تريد أن أنال ؟
– أنت حقيقة القائد داغوبير البيطري القديم الذي انتصر في المعركة الأخيرة ؟
– نعم أنا هو .
– إنك تحب فتاة نبيلة أليس كذلك ؟

فأصفر وجه داغوبير وقال له بصوت يتهدج :
– كيف عرفت ذلك ؟
– وهذه الفتاة تدعى أورور ولها أخت تدعى حنة ؟
فنظر داغوبير نظرة الخائف وقال له : اسكت .
– إذن فاعلم إنه يجب انقاذها .
فجمد الدم في عروق داغوبير واصفر وجهه حتى بات كالأموات وقال : انقاذها ؟
فشد بيبي على يده وقال له : إنك لم تضطرب أمام المدافع أتضطرب أمام القدر فاعلم إنك حين لقيتني في الفندق كنت ذاهباً إلى لقائك في المعسكر .
– من أرسلك الي ؟
– الذين يهتمون مثلك بأمر الكونتس أورور ؟
– ولكن ماذا أصابها ألعلها في خطر ؟
– نعم وإنك لا تستطيع الذهاب إلى أورليان .
فتورمت أوداج داغوبير وقال : لماذا ؟
– لأن الكونتس أورور في باريس .
– أهي في باريس ؟
– وقد سجنت في سجن النبلاء وحكم عليها بالاعدام .
فبرقت عينا داغوبير فجأة بعد أن كاد يسقط لاضطرابه وقال : إني سفكت دمي في سبيل الجمهورية فهي لا تبخل علي باطلاق سراحها .
– ولأجل هذا حاولت أن أراك فانك الوحيد الذي

يستطيع انقاذها .

فأخذ داغوبير بيبي وقال له بملء السكينة : قل لي الآن أين هي أورور ؟

– بالدير ، أي سجن النبلاء .

– واختها حنة ؟

فارتعش بيبي لهذا السؤال وقال : إنها مطلقة السراح .

– ألعلها في باريس ايضاً ؟

– نعم .

– في أي مكان ؟

– سأقول لك بعد بضع ساعات ...

– لماذا لا تقول الآن ؟

– لأني لا أعلم موضعها ولكن لا بدأ لي ن أعلم .

وقد أبى بيبي أن يخبره بشيء عن حنة قبل أن يرى الشفاليه دي مازير فقال له : أشير عليك أيها القائد أن تقيم في فندق سانت أونوريه حيث يقيم معظم القواد وسأزورك في الساعة الحادية عشرة فأخبرك بما علمته ولا تسألني عن اسمي فهو لا يفيدك شيئاً .

ثم تركه فجأة فسار داغوبير بطريق الفندق وسار بيبي بطريق آخر وقد عادت إليه هواجسه في الطريق وقال في نفسه : إني خدمت بول بايجاد منقذ لابنته ولكني ما خدمت نفسي في شيء فاني لا أستطيع العودة إلى منزلي بعد افتضاح أمري في ذلك الشارع ولا بد لي من ايجاد هذا الرجل فاذا كان لم يذع أمري في الحي فإن الاتفاق معه على الكتمان سهل ميسور .

ولذلك ذهب تواً إلى دكان ذلك الرجل الذي أتهمه انه من رجال البوليس فخلا به خلوة طويلة أظهر له في خلالهـا قوة البوليس السري ومقدرته على الإيذاء في هذا الزمن الذي عمت فيه الفوضى وباتت كلمة البوليس نافذة لا ترد ثم انذره باتهامه انه يأوي النبلاء إذا باح بأنه من البوليس السري

وكان لهذا الرجل بنون صغار ليس لهم معين غيره فخشي شره اشفاقاً على بنيه وتعهد له بالكتمان فعاد بيبي إلى منزله وقد عول على أن يغير ملابسه ثم يذهب للبحث عن صديقه بول .

ولم يكد يستقر في منزله حتى قرع بابه ففتحه فرأى البومة قادمة اليه فقالت له وعلائم الكدر ظاهرة عليها : اني ابحث عنك كل يوم فلم أجدك .

فدخل بها إلى غرفته وقال لها : اخبريني ما حدث ؟

— إن المصاب عظيم يا سيدي فـان أورور لم تقتل ولولا بوليت لكانوا قطعوا رأسها .

— كيف ذلك ومن هو بوليت هذا ؟

— صديق الأحدب فانه صعد إلى المقصلة حين كانت أورور عليها ، وقبل أن يضرب الجلاد عنقها قال قولاً للشعب لا أدري ما هو فهاج الناس هياجاً عظيماً واضطر الجنود إلى إرجاعها إلى السجن .

— وأين هو بوليت الآن ؟

— إنه في الدكان ولكنه عازم على الذهاب إلى سيدة عظيمة يقول انها صديقة روبسبيير وانها ستنقذ أورور .

فارتعش بيبي وأفتكر بتنوان ثم قال للبومة: لا تخشي أمراً فلا يستطيع أحد انقاذها .

— أيقتلونها ؟

— هي وأختها فلا تجزعي واحذري أن يعلم أحد إنك أتيت اليّ .

فانصرفت البومة وبقي بيبي وحده فقال في نفسه : لقد نجونا من خطر فوقعنا في أشد منه فان بوليت هذا هو الرجل الذي عالجته تنوان فاذا كان معتمداً عليها بانقاذ أورور فقد أخطأ وأخشى أن تنتبه بعد أن حدث ما كان من محاولة الناس إنقاذ أورور فتسعى للاسراع بإعدامها ولذلك يجب الإسراع بالعمل قبل فوات الأوان .

وبعد هنيهة خرج من منزله وذهب تواً إلى دكان الغسالة وقد كانوا يعرفونه لما بينهما من الجوار فوجد في تلك الدكان الغسالة وزوجها والأحدب وحنة وبوليت فحياهم وقال لهم : لقدعلمت بما أصابكم فأتيت لأعرض عليكم مساعدتي فماذا تريدون ؟

فشكروه وقال له زوج الغسالة : لا حاجة لنا بشيءولكننا نشكرك جزيل الشكر .

فقال له بيبي : لقد علمت بما حدث لكم ولكن لا تخشوا فما أنا الذي يخونكم .

وكان بوليت قد استقبل بيبي بغير اكتراث ولكنه سمع زوج الغسالة يناديه باسم بيبي فبرقت عيناه وقال له : أأنت هو الذي يدعونه بيبي ؟

– نعم .

– إذا كان ذلك فإني أحمل رسالة اليك .

فجعل كل من سيمون والأحدب ينظر إلى الآخر نظرات قلق فقال لهما بوليت : لا تخشيا فان المواطن بيبي من الأصدقاء ولكني أحب أن أحدثه في بعض الشؤون .

أما بيبي فانه انذهل لما سمعه وقال له : ممن الرسالة ؟

– سأخبرك في منزلك فاذهب بي اليه .

ولم يكن بيبي قد دخل إلى دكان الغسالة إلا ليمنع بوليت عن الذهاب إلى تنوان فلم يعترض بوليت في ما اقترحه وتقدمه إلى منزله حتى إذا وصلا اليه دخلا واقفلا بابه وجلسا يتحدثان فقال له بيبي : ألعل حديثنا يطول ؟

– سوف ترى ...

ثم أخرج من جيبه الكتاب الذي أعطاه إياه المحامي د. ودفعه إليه فقرأه بيبي ثم نظر إلى بوليت وقال : لقد اسعدنا الحظ كلينا ايها الصديق .

– كيف ذلك ؟

– ذلك انك تحب أورور ولو كنت لقيتني امس لكانت الآن من الأموات .

– العلك كنت تمنعني عن انقاذها ؟

– ربما .

فأخرج بوليت مسدساً من جيبه وقال : اني أحب الصدق في الحديث فقل لي الحقيقة أو أطلقت عليك هذا المسدس فقتلتك

دون اشفاق .

غير ان بيبي لم يرعه هذا الانذار فقال له : لقد كان لدي أمس أسباب تدفعني إلى الرضى باعدام الفتاة .

– واليوم ؟

– وأما اليوم فقد حدث لي أسباب أخرى تدعوني إلى انقاذها وإذا اخطأت وذهبت إلى انطونيا فسد الأمر وقضي على الفتاة قضاء مبرماً .

– أوضح ما تقول فاني لم أفهم مرادك .

– بملء الرضى فاعلم إني أنا الذي قبض على أورور ولكني اخطأت فاني كنت أريد القبض على اختها لا عليها افهمت الآن؟

– كلا ولكني أراك تعترف انك بوليس سري .

– إنما اعترف لك بما اكتمه عن سائر الناس لأنك بت من أعواني وكلانا يسعى إلى غاية واحدة وهي انقاذ أورور .

ثم روى له بالتفصيل ذلك الخطأ الذي ارتكبه بالقبض على أورور وهو يحسب انه قبض على حنة .

وكان بوليت يصغي اليه كل الاصغاء فلما أتم حديثه قال له: أية فائدة لك من انقاذ الفتاة أورور ؟

– لقد توقعت منك هذا السؤال فاعلم انها بنت صديق من خير اصدقائي .

– ولكن اختها ايضاً بنته فكيف تريد قتلها وانقاذ أختها؟

– إنهما ليستا بنتي واحد .

– إن هذا مختلط علي لا أفهمه ولكني اعلم انها اختان وإن

أورور تحب أختها كما ان اختها تحبها وإذا أنقـذنا الواحدة تخدم الأخرى .

– هذا لا ريب فيه ولكن أمر حنة منوط بي .

فانقدت عينا بوليت وقال : ولكنه منوط بي أنا فاعلم اني لا أفارقك لحظة بعد الآن وإذا وشيت بحنة فاني قاتلك لا محـالة .

– إني أعدك بكتمان أمرها فتعال معي .

– إلى أين ؟

– للبحث عن والد أورور .

وعند ذلك خرج الاثنان فذهب بيبي توآ إلى الصيدلية التي نقل اليها الشفاليه دي مازير عندما سقط على الأرض لمعالجتـه المعالجة الأولى وسأل الصيدلي عنه فقال له : انه اصيب باضطراب بالدماغ فلم يمت ولكنه جن فأرسل إلى المستشفى .

فذهب الاثنان إلى المستشفى فوجدا بول ، أي الشفاليـه دي مـازير ، في أشد حالات الجنون فجعل بيبي يحدثه مدة طويلة ولكنه كان ينظر اليه نظرات ساهية وهو لا يعرفه فتنبه بيبي وقد يئس منه وقال لبوليت :

– هلم بنا فلم يبق لنا أمل بالاعتماد عليه في انقاذها .

– إننا نعتمد على انفسنا .

وعلى داغوبير ايضاً !..

٤
بكاء داغوبير

ولنرجع الآن الى الوراء فانه بينما كان الجنود عائدين بأورور إلى السجن وقد نجت من قبضة الجلاد بحيلة بوليت كان ابن عمها الكونت لوسيان يسير هارباً وقد ساعـده على الاختفاء ذلك الوشاح الذي ألبسه إياه عضو جمعية القنـــاع الاحمر .

ولم يكن يعلم أين يسير فإنه حين قبض عليه أخذوا كل ما كان لديه من النقود ولكنه كان مودعاً عند الحلاق الذي كان مختبئاً عنده مبلغاً عظيما ولكنه لم يكن يعلم ما حدث لهذا الحلاق بعد ان قبضوا عليه وقد خشي ان يكون اتهموه ايضاً باتصاله بالاشراف وقبضوا عليه ومع ذلك فانه سار توا الى ذلك الدكان كي يستقصي خبر الحلاق ويسترجع ماله فيفتدي به اورور وحنة فقد قال في نفسه انهم قد اعادوها الى السجن ولكنهم لا يلبثوا ان يأتوا بقابله قانونيه فتفحصها وتعلم انها عذراء فيعودون الى اعدامها .

وقد بات رجاؤه وطيداً بجمعية القناع الاحمر ولكنه يحب

لانقاذ الاختين عن يد الجمعية امران احدهما ان يدفع لها اثني عشر الف فرنك ولا يستطيع دفع هذا المبلغ الا اذا لقي الحلاق والثاني ان يعرف مركز جمعية القناع الاحمر وهو لا يعلم اسم احد من اعضائها فانهم كانوا يتقنعون جميعهم فلا يعرف بعضهم بعضا وكانوا يجتمعون كل يوم في مكان .

وبينما هو سائر الى دكان الحلاق شعر بيد قد لمست كتفه فالتفت فرأى ذلك الرجل الذي انقذه ففرح فرحا لا يصفه قلم وقال له : ما كنت اطمع ان اراك فقد اضعتك حين فراري .

– اما انا فلم اغفل عنك طرفة عين فاننا لا نتخلى عن الذين نتولى انقـاذهم ومتى انقذنا نبيلا اعطيناه جوازاً وساعدناه على مبارحة الحدود ، وأما أنت فلا حاجة بك إلى مبارحة باريس .

فعجب لوسيان وقال : لماذا ؟

– لاننا نحن الذين أوقفنا سير المقصلة إذ لدينا أعوان في كل مكان ولكنهم أصلحوها للفور وقتلوا بقيـة المحكوم عليهم فلم ينتبه أحد لفرارك وحسبوك من الذين قتـلوا فكتبوا اسمك في قائمة الذين نفذ فيهم الاعدام والآن قل لي ألديك نقود ؟

– نعم بشرط أن أجد الحلاق ثم أخبره بأمواله التي أودعها عند الحلاق وانه يريد أن يدفع للجمعية فدية الاختين فسار واياه إلى ذلك الدكان فوجد الحلاق فيه يهتم بزبائنه .

وقد دهش الحلاق حـين رآه دهشاً عظيماً لاعتقاده إنه

سجين ولكن لوسيان غمزه .

فانصرف الحلاق إلى الاهتمام بزبائنه حتى فرغ منهم فقص عليه لوسيان عند ذلك جميع ما جرى له وسأله إحضار المال فأحضره في الحال فدفع لعضو الجمعية اثني عشر الف فرنك عن أورور وحنة بعد أن أرشده إلى دكان الغسالة المقيمة عندها حنة فقال له العضو :

– طب نفساً فلا خوف عليها بعد الآن واما أنت فاذهب حيث شئت فلا يتعرض لك أحد .

ولنعد الآن إلى داغوبير فقد تركناه سائراً في الفندق الذي دله عليه بيبي ووعده أن يوافيه اليه في الساعة العاشرة فلما وصل إلى ذلك الفندق صعد به الخادم إلى غرفة وانصرف عنه فسقط داغوبير على كرسي وهو يكاد يفقد رشده ثم وضع رأسه بين يديه وجعل يبكي بكاء الأطفال .

وبعد هنيهة عاد اليه الخادم بسجل الفندق كي يكتب اسمه فيه فكتب داغوبير اسمه، فلما قرأ الخادم اسمه انذهل وقال له : أأنت هو القائد داغوبير ؟

– نعم أنا هو ولماذا الانذهال ؟

فتلعثم الخادم في البدء ثم أخبره بجميع ما حدث في ذلك الفندق وكيف ان البوليس تنكر باسمه واحتال بهذا التنكر فقبض على أورور إلى آخر ما يعلمه القراء مما بسطناه في حينه .

ولما أتم حديثه وروى ما كان من تأثره قال له :

إذا كنت أنت يا سيدي نفس داغوبير الذي تكتب عنه الجرائد في هذه الأيام فانك دون شك تستطيع انقاذ الصبية ولاسيا اذا كانت خطيبتك كما يقولون .

وكان الخادم يكلمه وداغوبير ينظر إلى سجل الفندق المفتوح أمامه فقرأ اسماً مكتوباً بجانب اسمه وهو اسم كاميسات فارتعش وقال له : ألا يزال هذا الرجل عندكم واشار الى الاسم .

فقال له الخادم : نعم .

ـ صفه لي فان هذه العائلة كثيرة الأعضاء .

ـ إنه شاب لا يتجاوز الثلاثين وهو بملابس الضباط ويظهر إن رتبته عالية في الجيش .

ـ هو ذاك وإني أريد أن أراه .

ـ ولكنه نائم الآن !

ـ لا بأس ارشدني إلى غرفته فهو من اصدقائي المخلصين .

ـ إن غرفته في آخر هذا الرواق ونمرتها ١١ .

فخرج داغوبير من غرفته ومضى إلى غرفة ذلك القائد فطرق بابها فأجابه صوت من الداخل : من أنت ؟

ـ أنا القائد داغوبير أيها الجنرال .

فأسرع الجنرال إلى فتح الباب فدخل داغوبير وصافح الجنرال فقال له الجنرال :

ـ إني كنت أتوقع أن أراك هنا فإن معظم الضباط القادمين إلى باريس يختارون هذا الفندق .

– اني لم أقدم اليه خصيصاً بل إن الصدفة قادتني اليه .

– ولكن وزير الحربية لا بد أن يكون قد كتب اليك كي تحضر ليقدمك إلى مجلس الأمة بعد انتصاراتك الأخيرة .

فارتعش داغوبير وهطل الدمع من عينيه .

فذعر الجنرال لبكائه وقال له : ماذا أصابك ألعلك متأثر من هذا النبأ السار ؟

– كلا ولكنه في الساعة التي يقدمني فيهـا الوزير إلى مجلس الأمة يقطع الجلاد رأس من أحب ثم استرسل الى البكاء .

فأشفق الجنرال لبكائه وكان يحبه حباً أكيداً وقال : كن واثقاً إن خطيبتك سيطلق سراحها ...

– ليست خطيبتي ..

– لا بأس انك تحبها فقل أمام المجلس إنها خطيبتك .

– أيطلقون سراحها ؟

– دون شك فليس جميع رجال حكومتنا وحوشاً كاسرة وسوف ترى !..

فتنهد داغوبير وشعر ان الحياة قد عادت اليه بمساعدة هذا الصديق ...

*

بينما كان داغوبير ينتظر بفارغ الصبر دنو الساعة للذهاب إلى مجلس الأمة كان بيي وبوليت قادمين إلى داغوبير بعد أن زارا الشفاليه دي مازير وقنطا منه لاستفحال جنونه . وكان بوليت

قد علم ان داغوبير يهوى أورور .

فهاجت الغيرة في صدره هياج البراكين وحقد حقداً عظيما على داغوبير فأخذ بيبي يسكن جأشه فقال له : لا شك انك ابله لا عقل لك .

— لماذا ؟

— إنك تحب أورور أليس كذلك ؟

— نعم .

— وداغوبير يحبها ؟

— لقد قلت لك اني امتص دمه .

— انك لا تمتص شيئاً .

— سوف ترى .

فابتسم بيبي وقال : يظهر إنك لست من أهل الصيد .

— ما دخل الصيد في شأننا ؟

— أضرب لك مثلاً يشبه حالتكما وهو كلبان يطاردان ارنباً فما زالا يطاردانه ويكونان متآلفين متفقين فاذا اعيى التعب الأرنب أو سقط في حفرة يصبح الكلبان عدوين ويختصمان على من يظفر بالأرنب وهذا شأنك الآن مع داغوبـــير فانك واياه تحبان الفتاة فاذا تركتماها تقتل فلا تدركان منها مأرباً ولذلك يجب عليكما ان تقتديا بكلاب الصيد وان تتفقا على انقاذها .

— وبعد ذلك ؟

— تفعلان أيضاً كالكلبين فتختصمان على الفريسة فينالهـا أشدكما ...

– إني اقتله شر قتل قبل أن ينظر اليها .

– إفعل به ما تشاء وأما الآن فيجب أن تظهر له كل ولاء وتكون خير معين له في إنقاذها .

فأعجب بوليت بحكمة هذا المثل وقال : سأفعل ما أشرت علي به مكرهاً .

فابتسم بيبي وقال له : أتعلم يا بوليت انك من أهل الشر؟

فضحك بوليت ضحك القانطين وقال له : كيف تريد أن أكون من أهل الخير فقد ولدت لقيطاً فما عرفت لي ابا وكنت أنام في الأزقة وأتغدى بما يرميه الباعة من الخضر وفاسد الفاكهة فلما شببت حاولت أن اشتغل فكان رئيس العمال يسرق من أجرتي فرأيت أن السرقة خير من العمل واتخذتها مهنة ثم جاء زمن الثورة فكانت لي خير مورد للارتزاق وكانت الفرجة على النبلاء من خير ما اتسلى به .

– والآن ...

– نعم فقد أحببت امرأة تدعى كوتشون وهي بوابة أحد المنازل فكانت تعولني في أيام ضعفي وتحسن الي كل الاحسان وهي المرأة الوحيدة التي أحسنت اليّ في حياتي . ثم توقف فجأة وعاد فقال : لا شك إن الغرام أضعف ذاكرتي فقد نسيت رجلاً كان له علي فضل عظيم لا انساه ما حييت والحكاية إن الجنود في بدء الثورة يطاردون جميع الناس ويطلقون نيرانهم على الشعب المحتشد الثائر وكنت بين الشعب في ذلك اليوم وقد سرقت غدارة من دكان بائع السلاح فأطلقتها على الجنود فهاجموني وقبضوا علي

فما شككت بالموت وعند ذلك أسرع ضابط طويل القامة عريض المنكبين لا يزال وجهه مرتسما في مخيلتي فانتزعني من يد الجند قائلا : إننا لا نريد الانتقام من الأطفال ثم قذف بي إلى جهة الشعب فكنت افلت من جراد العيار ولا انسى جميل هذا القائد في حياتي .

– أما عرفت اسمه وما رأيته بعد ذلك ؟

– كلا فقد كانت تلك الحادثة آخر عهدي به .

ولبث الاثنان سائرين يتحدثان حتى وصلا إلى باب الفندق فقال له بيبي : انك ستلقى الان داغوبير وأنا اعيد عليك ما أوصيتك به من التأني واللين كي تتمكن من انقاذ من تحبها .

فضم بوليت قبضتيه مهدداً وقال : سأفعل مكرهاً .

ولما دخل الاثنان كان داغوبير وحده فسأل بيبي قائلا :من هذا الرجل وقد أشار إلى بوليت .

ولكن بوليت لم يدع وقتاً لبيبي فانه صاح صيحة انذهال ثم قال لداغوبير : أما عرفتني يا سيدي ؟

– كلا فمن أنت ؟

– أنا هو ذلك الغلام الذي انقذته من الجنود في بدء الثورة وقد أقسمت على أن أخدمك ما حييت .

ثم أكب على يديه يقبلهما ودموع الامتنان تجول في عينيه وهو يقول : من كان يخطر له اني كنت أريد قتل منقذي منذ حين !

ولندع الان هؤلاء الثلاثة مجتمعين في غرفة داغوبير ولنعد

الان الى تنوان ، علة هذه النكبات ومصيرة هذه المصائب فان المحامي د. جاءها ليلة القبض على أورور واطلعها على قائمة الذين سيقتلون في الغد ففرحت فرحاً لا يوصف إذ وجدت بين تلك الأسماء اسم لوسيان دي مازير وأورور ، وهما اثنان من الثلاثة الذين يستطيعون أن يطالبوها بالثروة المسروقة إذا عاد زمن الملكية ، وقد رضيت عن المحامي اتم الرضى وكافأته خير مكافأة فانصرف من عندها على أن يعود اليها في الليلة القادمة .

غير ان سرورها لم يطل فقد جاؤوها بالجرائد في اليوم التالي فقرأت فيها حكاية أورور وعرفت من أوصاف الرجل الذي ادعى انها حبلى انه بوليت فلما عاد اليها المحامي في الليل أوسعته لوماً وتعنيفاً ولكنه طيب خاطرها وقال لها : إن الأمر بسيط فسنأمر غداً بالتعجيل في فحصها ثم تقتل على الأثر بعد أن يظهر فساد الدعوى فطاب خاطرها واستوثقت منه انه سيبذل الجهد بالإسراع بقتلها .

وفي صباح اليوم التالي بينما كانت تنوان في سريرها دخلت اليها خادمة غرفتها وقالت لها : ان المحامي د. يريد أن يراك .

فأجفلت تنوان لتبكيره على غير عادة وأمرت الخادمة بادخاله فدخل وعليه علائم الانقباض فقالت له : ما وراءك ؟

– أقرأت جريدة الأب دوشين ؟

– قرأتها امس .

– وعدد أول امس .

– لم اقرأه فماذا عساه يتضمن مما دعاك الى هذا الانقباض ؟

– ان داغوبير قد رقي رقياً عظيما في الجيش وسيقدمه الجنرال اليوم إلى مجلس الامة .

– وماذا علينا من ذلك فقد صدقت نبوءتي فيه .

– ولكنه يحب اورور كما يقولون فهو قد يشفع بها لدى المجلس وينقذها .

– ولكنك تتمكن من اعدامها قبل قدومه الى باريس

– ولكنه في العاصمة منذ امس واخشى ان يكون علم بأمر اورور فلا يطلب مكافأة عن خدماته غير انقاذها .

فذعرت تنوان ذعراً عظيما وقالت : كيف عرفت ذلك ؟

– عرفته بالصدفة فقد كنت في مجلس الامة فعلمت انهم سيقدمون داغوبير اليوم .

فأجفلت تنوان وقالت : اتظن إن المجلس يجيبه إلى طلبه فأطرق المحامي برأسه دون أن يجيب فقالت له : والان كيف تصنع ؟

– لا أعلم وكل ما استطيعه اني قادر على تأجيل تقديمه إلى الأمة إلى الغد .

فهزت تنوان كتفيها وقد أيقنت انه لم يبق بد من مداخلتها فقالت له : هل تعلم على الأقل أين يقيم داغوبير ؟

– في فندق سانت اونوريه .

– إذن تقدمه إلى المجلس وهذا كل ما أطلبه اليك .

فذهل المحامي للهجتها وقال لها : إن سكينتك تخيفني .

فنظرت اليه نظرة احتقار وقالت له : إني ما نجحت في شأن

إلا إذا توليته بنفسي وهذا ما اتفق لي اليوم .

ثم قامت إلى خزانة دون ان تزيد على ما قالت فأخرجت منها ثوباً أحمر وقبعة من قبعات النور وآلة موسيقية من نوع الكنجة فدهش المحامي لأمرها وقال لها :

— ماذا تخرجين من هذه الخزانة !

— الملابس التي كنت ألبسها حين كنت نورية استكشف الطوالع !..

— ولكن ماذا تريدين أن تصنعي بها ؟

— هذا سر لا أستطيع أن أبوح لك به الآن فاني اسألك قضاء مهمة يسيرة فهل المركبة التي جئت بها تنتظرك ؟

— إنها على الباب .

— اذن أوصلني بها إلى باريس فاني أحب أن أتولى شأني بنفسي

ثم وضعت الملابس والكنجة في صندوق وأمرت أحد الخدم بنقله إلى المركبة وبعد هنيهة كانت المركبة تسير في طريق باريس

★

بينما كانت تنوان سائرة في طريق باريس كان بيبي وبوليت قد وصلا إلى داغوبير فتحدثا معه حديثاً طويلاً وانقلب الرجلان بعده انقلاباً عظيماً فان بوليت بات يود انقاذ أورور من أجل داغوبير لا من أجله وقد اثر هذا الامتنان في بيبي فبات يحب داغوبير وهو لا يحب احداً وأثرت به عواطفه الكريمة خير تأثير فأصبح ميالاً الى الخير بعد أن كان من أفظع أهل الشر .

وبعد حين جاء الجنرال وسار به إلى مجلس الأمة فطلب داغوبير إلى بوليت وبيبي أن ينتظراه في الفندق الى أن يعود فلم يتمكن وزير الحربية من تقديمه إلى المجلس لانهماك المجلس في شؤون خطيرة وتأجلت المقابلة إلى الغد .

وكان الجنرال قد نصحه أن لا يقول شيئاً عن أورور لوزير الحربية وأن يعرض طلبه على المجلس فعاد داغوبير يتعثر بأذياله وهو يكاد يجن اشفاقاً على أورور لحذره من فوات الاوان فأخبر بيبي وبوليت بما اتفق له .

فطيب بيبي خاطره وقال له : إن الحكم عليها لا يمكن ان يكون قبل اسبوع ومع ذلك فاني ذاهب إلى السجن فأقف على الخبر اليقين وأعود اليك فأخبرك فان السجان من خيرة أصحابي

ثم تركه وذهب مع بوليت إلى السجن وبقي داغوبير وحده يتأمل في ما صار اليه وقد عرضت له في تصوراته تلك النورية التي نبأته بمستقبله ، أي تنوان ، واخبرته انه سيغدو من القواد العظام والاغنياء الكبار ويتزوج بمن يحب فقال في نفسه : لقد صدقت هذه النورية بنصف نبوئتها ولماذا لا تصدق في الثانية واذا كنت قد صرت من كبار القواد بعد أن كنت بيطرياً حقيراً فما يمنع أن أتزوج بمن أحب !

وفيما هو يحدث نفسه بهذه الأحاديث نظر من النافذة فرأى امرأة لابسة ملابس النور تعزف على الكمنجة فعرفها لفوره انها تلك النورية التي تنبأت له عن مستقبله في دكانه القديم قرب الدير وقد تنازعه عاملان حين رآها عامل السذاجة الفطرية التي

نشأ عليها فبات ميالاً الى تصديق هذه الخرافات وعامل الاكتساب العقلي الذي استنار بعد دخوله في سلك الجنديةفبات يطرح هذه الخزعبلات ولكنه رأى من صدق هذه النورية في نبؤتها السابقة ما قوى في نفسه العامل الأول .

وكانت تنوان تسير ذهاباً وايابا تحت نوافذ الفندق وقد اتخذت الكنجة ذريعة لاستلفات الانظار اليها فكانت تصيح من حين الى حين بما تصيح به اولئك اللواتي يحترفن مهنة الطوالع ومعرفة الغيب فأطل داغوبير من النافذة ثم أشار اليها أن تصعد اليه بسرعة فخلا بها في غرفته فقالت له : تريد أن أكشف لك مستقبلك يا سيدي الجنرال ؟

– لست جنرالاً بل قائد .

ثم نظر اليها نظرة الفاحص فأيقن انها هي التي جاءته الى دكانه وقال لها : ألم تعرفيني ؟

فأجابته بملء البساطة : كيف تريد أن اعرفك وأنا لم اراك الا الآن !

– انك مخطئة فقد رأيتيني قبل هذه المرة .

– اني رأيت كثيراً من الناس لكثرة تجولي وفوق ذلك فإني لا أعرف الذين عرفتهم بالنظر الى وجوههم بل بالنظر الى ايديهم واستكشاف طوالعهم فهل تريد استكشاف طالعك ؟

– نعم . – ارني يدك لاخبرك اين رأيتك !

فمد داغوبير يده فنظرت تنوان فيها وقالت : نعم لقد ذكرتك الآن فأنت هو البيطري الذي كان قرب باب الدير كيف رأيت

ألم تصدق نبوءتي فيك ألم أقل انك ستلبس الثياب المذهبة ؟
– نعم ولكن ماما قلت لي ايضاً .
– قلت لك انك ستغدو غنياً .
– ولكني لا ازال فقيراً .
– لم يحن الوقت بعد وستغدو من الأغنياء وستتزوج من تحب كما قلت لك هات يدك الثانية .
فمد داغوبير يده فنظرت فيها هنيهة ثم اطبقت حاجبيها وقالت : أرى انك شديد الحزن الان ..
فاضطرب قلب داغوبير وقال : لقد صدقت .
– ان التي تحبها مسجونة .
فذهل داغوبير وقال : كيف عرفت ذلك ؟
– من هذا الخط القصير ثم أرى ايضاً انها محكوم عليها بالاعدام ؟
– هو ذاك واأسفاه !
– ولكنك ستنقذها ؟
فصاح داغوبير صيحة فرح وقال : أحق ما تقولين ؟
– هذا لا ريب فيه ولكن أصبر قليلاً لارى ..
ثم عادت الى فحص يده فنظرت فيها ملياً وقالت :
– اني أرى عجباً .
فاضطرب المنكود وقال لها : ماذا ترين ؟
– أرى في وسط الخط صليباً وهو دليل النصر اي انك ستنقذ الفتاة التي تحبها ولكن يوجد فيه زيج مقطوع وهو يدل على انك ضللت السبيل .
– كيف ذلك ؟

– انهم ينصحونك بغير الصواب .

فأصفر وجه داغوبير وقال : من الذي ينصحني ؟

– اصحابك واني لا أستطيع أن أعلم علم اليقين الا اذا نظرت في زجاجة ماء ...

فأسرع داغوبير وجاءها بزجاجة ماء فقالت له : اقفل النافذة فإن النور الشديد لا يفيد .

فذهب لإقفال النافذة فاغتنمت النورية فرصة غيابه فاخرجت باسرع من لمح البصر ورقة فيها رشاش ابيض فافرغته في الزجاجة دون ان يراها .

ولما عاد داغوبير بعد اقفال النافذة نظرت في الزجاجة فقالت :

– انهم يشيرون عليك ان تلجأ الى علية القوم وتلتمس العفو عن الفتاة .

– هذا أكيد .

– ولكنهم مخطئون ..

– اذاً كيف انقذها !.

– سأخبرك فاملأ قدحاً من الزجاجة واشربه .

– لماذا تريدين ان اشرب ؟

– لان الماء يخفف هياج أعصابك فلا تضطرب يدك حين انظر اليها .

فشرب المكوددون تحسب وعادت تنوان الى النظر في يده وقد اتقدت عيناها ببارق وحشي فقالت : اصغ لنصحي أيها القائد واذهب في الليلة الى الاوبرا فإنك تجد فيها روبسبيير

فادخل اليه في لوجه وسله العفو عن خطيئتك يعف عنها في الحال
فكاد داغوبير يجن من سروره وقد وثق بقولها كل الثقة
أما تنوان فإنها قالت له : اني لا ارى شيئاً في يدك الان
فوق ماذكرته لك فاعمل بنصحي تكن من الفانزين .

ثم تركته وانصرفت مسرعة الى زاوية في الشارع حيث كان
المحامي ينتظرها في مركبة فدخلت اليها وامرت السائق ان
يعود مسرعاً الى منزلها .

– ماذا فعلت ؟ – قضي الامر .

– الملك قتلته ؟

–كلا بل سقيته شراباً يجن بعد شربه ثمانية أيام ألا تكفيك
هذه المهلة لقتل اورور ؟

– انك لا شك من الابالسة .

فابتسمت تنوان وقالت له : اني لو لم أكن كما وصفتني لما
كنت أهواك .

٤
جمعية القناع

ولنعد الآن إلى أورور فانه بعد أن أمر القائد بانزالها عن المقصلة ، أنزلوها عنها وأدخلوها الى المركبة كي يعودوا بها الى السجن بعد اتمام الاعدام فكانت تبكي بكاء اليما وتؤثر الموت ألف مرة على الحياة بهذا العار ولكنها يأست من نفسها فـلم تعد تدافع بكلمة ، وأقامت في المركبة تنظر الى تنفيذ الاعدام بأولئك المنكودين ...

فرأت ما كان من هياج الشعب حين تعطيل المقصلة واختلاطهم بالجنود ، ورأت جميع الذين أعدموا دون ابن عمها لوسيان ، فأيقنت ان أعضاء الجمعية أنقذوه حين اختلاط الناس وعادت المركبة بها إلى السجن وهي مطمئنة على ابن عمها ولا تريد لنفسها إلا الموت ، وهناك عـادت إلى انكار هذه التهمـة الشنعاء وتوسلت إلى السجّان أن يأتيها بقابلة لفحصها وتبرئتها من هذه التهمة الشائنة .. فأجابها ان الأمر غير منوط به إذ يجب عليه أن يرفع تقريراً الى النائب العمومي وهو يرفعه إلى المحكمة

والمحكمة تعرضه على مجلس الأمة ..

فاضطربت أورور وقالت : كم ينبغي لذلك من الزمن ؟

ــ ثمانية أيام .

فكبر عليها الأمر واسترسلت الى البكاء ، فقال لها السجان وقد أشفق عليها :

ــلا تيأسي يا سيدتي فقدتكون عائلتك أرسلت هذا الرجل يتهمك هذه التهمة بغية انقاذك .

فلم تجاوب أورور بشيء وانطرحت فوق سريرهــا فنامت بملابسها نوماً متعباً ولم تستفق إلا حين حيتها الشمس بأشعتهــا فركعت وتوسلت الى الله أن يقيها وصمة ذلك العيب الشائن، ثم ذكرت ما قاله لها السجان من ان هذا الوقح قد يكون آلة لأنقاذها، فتذكرت الأحدب وانه وافق بوليت على قوله فأيقنت انهم يسمون لأنقاذها وانه لا يزال لديها مهلة أيام .

وعند ذلك تعزّت بعض العزاء ودخلت إلى الساحة التي يجتمع فيها المسجونون، فاستقبلوها خير استقبال وجملوا جميعاً يعزونها على هذه التهمة الشنعاء وقد أجمعوا على اعتبارها حيلة لانقاذها .

وكان بين أولئك المسجونين رجل شيخ يدعى سارافيم أشكل أمره النبلاء فانه لم يكن منهم وهو في السجن منذ شهرين لم يحكم عليه بالاعدام ، فكان بعضهم يتهمونه انه جاسوس من قبــل الجمهورية ، ويدفع هذه التهمة آخرون بقولهم ان الجمهورية غير محتاجة الى تجسس قوم ستعدمهم جميعهــم ، والرجل يسمع أحاديثهم واختلافهم في شأنه ولا يجيب، فلما دخلت أورور نظر

اليها نظرة تدل على عدم الاكتراث ثم جعل ينظر الى أولئك الذين احتفلوا بها حين عودتها، فيبتسم تارة ويتجهم أخرى، وفيما هو ذلك جاء السجان وذكر اسمه بصوت مرتفع فصاح الحاضرون قائلين : ألعله جاء دور هذا المنكود ؟

– كلا ، ولكن قريباً له سيمدم ، فنال الأذن بمحادثته وقد قدم ليراه .

فخرج سارافيم مع السجان فأقام مع الرجل الذي زاره ربع ساعة وعاد الى الساحة التي كان فيها النبلاء فجعل يراقب أورور بعد عودته وينظر اليها باهتمام ويشير اليها كلما سنحت فرصة اشارات خفية ، فعلمت أورور انه يريد محادثتها ، فصبرت إلى أن دق جرس الطعام، فذهب الجميع الى المائدة وجعلت مجلسها بجانب مجلس سارافيم فقال لها بصوت منخفض :

– لدي نبأ سار يا سيدتي ألقيه اليك .

فعجبت أورور وقالت له : أتعرفني وما هذا النبأ ؟!

– احذري أن تخبري أحداً بما سأقوله لك فتفسدين ما أصلحه ابن عمك لوسيان .

– ابن عمي ؟

– نعم ، فهو ساع لانقاذك ولا بد له من الفوز ، والآن لا أستطيع أن أوضح لك كل شيء، فصبراً إلى أن نفرغ من الطعام ويعود المسجونون الى رياضتهم وألعابهم فنجتمع ونتحدث ملياً.

فوافقته أورور على ذلك ولم يسمع حديثهما أحد ، وبعد أن فرغوا من الطعام عادوا إلى ألعابهم في ساحة السجن ، فاغتنمت

أورور هذه الفرصة وخلت بساروفيم فقال لها :
– أبدأ فأقول لك يا سيدتي ان ابن عمك لوسيان لم يمت وانه يهديك تحياته .
– لقد علمت انه لم يمت ، ولكن كيف اتصلت به وأنت في هذا السجن منذ شهرين ؟
– ألا تذكرين ان السجان دعاني إلى مقابلة قريب لي ؟
– نعم .
– ان الذي زارني لم يكن قريب ولكنه عضو من أعضاء جمعية القناع الأحمر وقد جاءني بأوامر منها .
– أهي الجمعية التي أنقذت ابن عمي ؟
– هو ذاك ، وستنقذك أنت أيضاً فان ابن عمك دفع لها فديتك ..
– أأنت من أعضاء هذه الجمعية ؟
– نعم ، وأنا عاملها في هذا السجن الذي يوجد فيه كثيرون من عماله من جمعيتنا لا يعلم بهم أحد وستنقذك بدلاً من رجل كان موعد انقاذه غداً ولكنه لم يدفع فديته فأعدم في هذا الصباح .
فاصفر وجه أورور وقالت :
– يا للهول ، أتنقذونني بدلاً من هذا المنكود ؟
– هو ذاك ، فان جمعيتنا لم تؤسس لخدمة الانسانية المجردة فهي لا تنقذ إلا من يدفع لها المال المعين ، ثم ان انقاذ الأسرى يقتضي له كثير من التدابير وستنقذك بهذه التدابير التي اتخذناها لانقاذ ذلك الرجل فلا تجزعي بعد الآن فقد تقررت نجاتك .

– ولكن كيف يكون انقاذي ؟

– لا تهتمي بمعرفتها بل أعلمي انه يجب ان تعملي كل مـا أقوله لك .

– اني لا أخالفك في شيء .

– ألم تري ذلك السجان الذي حادثك أمس ؟

– نعم .

– اذا سألك اليوم ان كنت مرتاحة في غرفتك فقولي له انك تؤثريها على غيرها .

– لماذا ؟

– لأن كل شيء قد تهيأ لانقاذك فيها .

وعند ذلك افترق عنها وهو يقول : لا أحب أن يرانا أحد نتحدث وقد فهمت ما قلته لك فلا تخالفيه ، ثم انصرف وبقيت أورور وحدها وهي تحسب انها حالمة .

وفي المساء دق جرس السجن مؤذناً بدخول كل سجين الى غرفته فذهبت أورور الى غرفتها فلقيها السجان وقال لها :

– ألعلك مرتاحة في غرفتك يا سيدتي ؟

فارتعشت أورور وذكرت وصية سارافيم ، فقال لها :

– أظن ان غرفتك ضيقة وسأنقلك الى خير منها فهلمي معي ، ثم تقدمها ، فتبعته أورور إلى الغرفة التي كان فيها السجين الذي اعدم ، فنظرت أورور اليها وعلمت لأول وهلة ان غرفتها كانت أفضل فأيقنت ان وسائل الفرار قد أعدت في هذه الغرفة . أما السجان فانه قال لها : انك قد تسمعين ضجيجاً في هذه الليلة فلا

تجزعي ، ثم تركها وانصرف، فلم يبق شك لدى أورور وأقامت في غرفتها، فمضى قسم عظيم من الليل دون أن تستطيع الرقاد ثم تغلب عليها النعاس ولكنها لم تكد تطبق عينيها حتى استفاقت مرتعبة إذ سمعت صوت ثقب في أرض الغرفة ، فاستوت جالسة في سريرها وجعلت تصغي ، فأيقنت انهم ينقبون أرض الغرفة لانقاذها،وعند ذلك ركعت وجعلت تصلي ليس من أجلها بل من أجل أولئك الذين قد يخاطرون بنفوسهم في سبيل انقاذها .

وبعد هنيهة اشتدالصوت وكان معظمه تحت سريرها فأضاءت شمعتها وجعلت تنظر الى الجهة التي صدر منها الصوت فلم يطل انتظارها حتى رأت أن بلاطة قد رفعت من الأرض تحت السرير وسمعت صوت يقول لها :

– أزيحي سريرك يا سيدتي الى الجهة الثانية .

وقد تشجعت الفتاة إذ كانت موقنة ان جميع ذلك لانقاذها فأزاحت السرير وصعد رجل من أرض الغرفة اليها وهو مقنع بقناع أحمر، وكان يحمل مبرداً، فأسرع الى نافذة الغرفة المشرفة على الطريق فكسر حديدها بالمبرد وعلق به حبلاً وأطلقه إلى الخارج ، فقالت له أورور :

– ألعلنا نهرب من هذه النافذة ؟!

– كلا ، فان حراس السجن يروننا ، وانما كسرت الحديد وعلقت الحبل كي يتوهموا انك هربت من النافذة ولا يفطنوا لأرض الغرفة فنستطيع بذلك أن ننقذ من نشاء مرة ثانية ، والآن فانزلي من ذلك الثقب الذي فتحته تحت السرير وانتظريني

فاني أريد ارجاع السرير الى موضعه .

فامتثلت أورور ونزلت من ذلك المنفذ فأرجع الرجل المقنع السرير إلى موضعه ثم نزل في أثرها وأعاد البلاطة التي انتزعها إلى ما كانت عليه بحيث لا يفطن لنزعها أحد ثم أضاء شمعة فنظرت أورور على نورها هوة عميقة فرعبت وقالت له : ما هذا !؟

– لا تخشي يا سيدتي فهي بئر من آبار الدير لها منفذ من أسفلها إلى الخارج وقد علقنا فيها سلماً فتعلقي بعنقي فأنزل بك السلم واغمضي عينيك كي لا تصابي بالدوار لشدة عمق الهوة .

فتعلقت أورور بعنقه ونزل بها ستين درجة من درجات ذلك السلم الطويل حتى استقر بها الى الأرض فوجدت رجلين مقنعين بنفس قناعه يحملان مصباحاً فعلمت انهما من أعوانه ولكنها نظرت الى الأرض فرأت على نور ذلك المصباح كثيراً من العظام المتجمعة فذعرت ذعراً عظيماً وقالت : ما هذا ؟

– انها عظام بشر كانت الحكومة السابقة تلقيهم في هذا البئر اخفاء لأمرهم ثم التفت الى رفيقه وقال : هلموا بنا الآن فان الساعة قد بلغت الثانية من الصباح فقالت له أورور : إلى أين ؟

– الى حيث نضمك في محل أمين .

– ولكن كيف نخرج من هذا البئر ؟

– من منفذ يتصل بنهر السين .

ثم أشار إلى رفيقيه أن يتقدما بالمصباح فسارا حتى وصلا الى منفذ من البئر فدخلا منه يتبعهما أورور والرجل المقنع الى دهليز طويل انتهيا منه الى ضفة السين وكان هناك قارب ينتظرهم وفيه

بحار ، فوقفت عند ذلك أورور وقالت لذلك الرجل المقنع :

– لي يا سيدي في باريس أناس أحبهم وهم يبكون لأسري وقرب اعدامي .

– أتمنين بهم اختك يا سيدتي ؟

– ألعلك تعرفها ؟

– كلا ، ولكن ابن عمك الكونت لوسيان قد دفع فديتهـا للجمعية كما دفع فديتك فتعهدت الجمعية بحمايتها وهي الآن آمنة من كل خطر وستجدينها حيث نذهب بك الآن .

فصاحت أورور صيحة فرح وأسرعت بالوثوب إلى القارب فسار القارب بهم يمخر في ذلك النهر الهادىء حتى بلغ الى شاطىء جزيرة بلكورت وهناك منزل صغير تضيء فيه الأنوار فقال لها الرجل المقنع : هو المنزل الذي تلتجئين اليه .

– واختي ؟

– انك تجدينها فيه .

فركعت أورور في القارب وبسطت يديها إلى السماء فقالت :

– رباه انك على فرط كرمك لا يزال بعض الجاحدين يشككون بعنايتك .

* * *

ولنعد الآن إلى حنة فنذكر كيف أنقذوها ذلك ان لوسيان بعد ان دفع الرجل المقنع فدية أورور وحنة ودله على المكان الذي تقيم فيه حنة ، قال الرجل المقنع :

– انتظرني عند هذا الحلاق حتى أعود اليك وأدخل الى

منزله كي لا يراك أحد .

ثم تركه وانصرف وعاد اليه بعد أربع ساعات وهو يحمل ثياباً يلبسها عادة عمال الميناء فقال له :

– ان أورور سننقذها الليلةوأما حنة فستتولى انقاذهاأنت.

– كيف ذلك ؟

– ذلك ان الحكومة تعتقد الآن انكمقتول فلا يبحثعنك أحد لأن اسمك قد تقيد في سجل الذين أعدموا ولكن الحكمة محمودة في كل حال فالبس هذا الشعر المستعار وهذا الثوب الذي جئتك به واذهب في الليل الى دكان الغسالة تجد قربها مركبة واقفة فادن منها وقل لسائقها ان نمرتك ١١٠ فلا يجيبك بشيء ولكنه يتبعك وعند ذلك تجد حنة فتصعد بها الى تلك المركبة وتدع السائق يذهب بكما الى حيث يشاء فقد أعطيناه التعليمات اللازمة .

– وأين أراك ؟

– انك قد لا تراني ولكنك ترى أحد رجال جمعيتنا دون شك وهو يمهد لكم جميعاً سبيل الخروج من العاصمة ثم تركه وانصرف ...

وفي الليل ذهب لوسيان الى دكان الغسالة وكانت حنةوحدها فيها فأخبرها لوسيان بجميع ما اتفقوان أختها قد أنقذت وانه سيسير بها اليها ، فكادت تجن من فرحها لسلامة أختها وسلامة لوسيان الذي كانت تهواه ورضيت بالذهاب معه بعد أن تعود الغسالة فقال لها :

سبيل الى الانتظار فان الموقف حرج .

– ولكن هذه المنكودة ستجن من قلقها اذ عادت ولم ترني.

– لا بأس فسأرسل من يخبرها انك في مأمن وسنكافئها خير مكافأة .

فلم تجد بداً من موافقته وذهبت معه الى تلك المركبة التي كانت تنتظره فسارت بهما تنهب الأرض وتسابق الرياح .

وفي ذلك اليوم نفسه كان بوليت وبيبي خرجا من غرفة داغوبير الى السجن كي يستعلما من السجان عن مصير أورور فقابل بيبي السجان وعلم منه ان اعدامها لا يكون قبل اسبوع اذا ثبت انها غير حبلى .

وكانت تنوان قد جاءت الى داغوبير اثناء غيابهما وسقته ذلك الرشاش على ما تقدم،فلما علم بيبي ما أراد أن يعلمه عاد مع بوليت الى داغوبير وسأل بواب الفندق عنه فقال له :

– انه لا يزال في غرفته ولكن يظهر ان اخلاقه قد ساءت بعد خروج النورية من عنده .

– أي نورية ؟

– انها امرأة تستكشف الطوالع ناداها داغوبير وهي واقفة تصيح تحت النوافذ .

فارتعش بيبي وحدثه قلبه بمصاب فصعد السلم راكضاً وأمر بوليت أن يتبعه ففتح غرفة داغوبير ودخل اليه فوجده جالساً على كرسي وقد تغيرت سحنته وأحمرت عيناه وتدلت شفتاه واضطرب نظره فوقف بيبي باهتاً عند عتبة الباب،أما داغوبير

فانه وقف حين رآه وقال له :
– ما بالك يا حضرة القائد ؟
فقال له داغوبير :
– انك آت يا سيدي الجنرال كي تخبرني اننا سنهاجم غداً طلائع النمساويين أليس كذلك ، اني مستعد يا حضرة الجنرال.
فقال بيبي : ويلاه انه مجنون ثم نظر الى بوليت فقال له :
– ابق هنا ولا تفارقه لحظة فاني أخشى أن يلقي نفسه من النافذة.
ثم أسرع فخرج من تلك الغرفة وهو ضائع الصواب الى بواب الفندق وسأله أن يصف له تلك النورية فلما وصفها له قال في نفسه : انها تنوان دون شك فان هذه الأوصاف تنطبق عليها كل الانطباق ثم سأل البواب قائلا :
– ألا يوجد طبيب قريب في هذا الشارع ؟
– نعم ، وأرشده اليه .
فهرول بيبي اليه وجاء به الى داغوبير ففحصه وقال :
– أظن انه اصيب باضطراب في عقله على أثر خوف شديد!
غير ان بيبي رأى على المائدة زجاجة ماء وقد ازرق الماء فيها بحيث بات يشبه لون السماء ورأى كأس ماء فرغ نصفه ، فأخذ الزجاجة وعرضها على الطبيب ففحصه الطبيب وذاقه بلسانه ثم أعاده ال المائدة وقال :
– لقد عرفت العلة فان أحد أعداء هذا المنكود سقاه سماً يذهب بالعقل ولكني عرفت السم وعرفت ترياقه وسأشفيه .
– كم يقتضي لشفائه من الزمن ؟

— اسبوعين .

فاضطرب بيبي لاعتقاده انهم سيعدمون أورور بعد ثلاثة أو أربعة أيام وانه لا بد من اعدامها اذا لم يشف داغوبير قبل هذا الموعد غير انه لم يجد حيلة فقال للطبيب :

— أرجوك يا سيدي أن تبذل عنايتك بشفائه فهو القائد داغوبير بطل المعارك الأخيرة .

ثم ترك الطبيب عنده وأشار الى بوليت أن يتبعه فلما صارا خارج الفندق قال له بوليت : الى أين نذهب ؟

— الى أنطونيا فانها هي التي سقته هذا السم وهي التي كانت متنكرة بملابس النور .

— ماذا تريد أن تصنع عندها ؟

— سأخبرك حين نصل فقد خطر لي خاطر لم ينضج في مخيلتي بعد ولا بد أن يكون الأحدب معنا .

— تجده عند الغسالة .

— هلم بنا اليه .

ولنعد الآن الى البومة فانها حين علمت ان أورور نجت من الاعدام ورأت ان حنة لم يقبض عليها أيقنت ان بيبي يهزأ بها فعولت على أن تعمل لنفسها .

وكان يوجد مركز للبوليس في الشارع الذي كانت فيه، فلما أرسلتها الغسالة بالملابس الى أصحابها اغتنمت هذه الفرصة وذهبت توأ الى مركز البوليس فدخلت الى المأمور وقالت له :

— اني خادمة عند امرأة سيمون الغسالة في هذا الشارع نمرة

٧ وقد أرسلتني اليك .

– ماذا تريد مني ؟

– ان لديها فتاة من الأعيان وقد أرسلتني كي أخبرك بأمرها.

فكتب المأمور كل ما قالته في سجل أمامه وقال لها: عودي الى سيدتك وقولي لها : كوني مطمئنة فسنسلمها قريباً الى الجلاد.

فسرت البومة سروراً لا يوصف وقالت: متى يكون ذلك؟

– في الحال .

انصرفت البومة وهي تقول في نفسها :

« إذا أنقذوا الواحدة فلا بد من قتل الأخرى » .

ولم تعد البومة تواً الى الدكان بل ذهبت الى الزبائن لايصال الملابس الى أصحابها ، فلما عادت إلى الدكان لم تجد حنة ولم تجد الغسالة فاضطرب قلبها وقالت في نفسها :

« لقد قبضوا عليها دون شك ولكني كنت أود أن أرى ».

وبعد هنيهة دخلت الغسالة مذعورة فقالت لها :

– أما رأيت حنة ؟

– كلا .

ففتحت الباب المؤدي من وراء الدكان الى الحوش وجعلت تنادي حنة بصوت مرتفع .

فأجابتها جارة لها وقالت : لقد ذهبت منذ ساعة .

– الى أين ؟

– لا أعلم فاني رأيتها متأبطة ذراع رجل وقد ركبت معه مركبة وسارت بها .

فصاحت الغسالة صيحة ذعر وعادت الى الدكان فانطرحت على كرسي واهية القوى .

وبعد حين جاء زوجها والأحدب فلما رأى الغسالة على ما كانت عليه من الاضطراب ولم ير حنة سأل عنها قالت لهما البومة :

– انها سافرت وقد اختطفوها .

فأن الأحدب أنين الموجع وحاول أن يخرج من الدكان وهو يقول من أي طريق ذهبوا بها ، غير ان بيبي وبوليت دخلا في ذلك الحين ففهم بيبي لفوره كل شيء وقال لهم : ادخلوا جميعكم وأنت يا بوليت اقفل الباب ولا تدع أحداً يدخل .

وبعد ذلك دنا من الغسالة وقال لها : أين الفتاة ؟

– انهم اختطفوها .

– من الذي اختطفها ؟

– لا أعلم فان جارتي رأت فتى ركب وإياها مركبة .

– كيف ذلك ، ألم تكوني في الدكان ؟

– كلا .

فوضع بيبي يده على كتف البومة وقال لها :

– وأنت ألا تعلمين شيئاً غير ذلك ؟

فاصفر وجه البومة وقالت له بلسان يتلعثم : كلا .

فأخذ بيبي بيدها وأدخلها الى المكان الذي يطبخون فيه من الدكان وقال للاحدب : اتبعني فسنحملها على الكلام .

أما البومة فانها كانت ترتجف وتقول : اني لا أعلم شيئاً .

فأخذ بيبي سكيناً كبيراً كان على المائدة فهزه بيده وقال

لها : أتقولين الحقيقة أو أذبحك ذبح الشاة !

فجثت البومة على ركبتيها وقد رعبت لمنظر السكينة فقالت:

– رحماك فاني أقول كل شيء .

– أنت التي وشيت بجنة ؟

– نعم .

– متى ؟

– منذ ساعة .

– لمن ؟

– لمأمور البوليس في هذا الشارع .

أما زوج الغسالة فانه حين رأى البومة جثت على ركبتيها وسمع اقرارها أوشك أن يجن من يأسه فهم أن يخنقها.. ولكن بيبي حال بينه وبينها وقال له : لا تجزع فان هذا المأمور من أصدقائي وسأسترد منه الفتاة فانتظروني حتى أعود وبينما هو يحاول الخروج سمع قرعاً على باب الدكان وصوتاً يقول :

– افتحوا باسم الشرع .

فأمر بيبي بوليت أن يفتح الباب ففتحه ودخل رجل يتبعه اثنان من البوليس السري ، فلما رأى هـذا البوليس بيبي رجع خطوة الى الوراء لأن بيبي كان رئيسه فناداه بأسمه وقال له :

– ما أتيت تعمل هنا ؟

– أتيت للقبض على فتاة من النبلاء .

فنظر بيبي الى من حواليه نظرة مفادهـا أن لا يجيب أحد منكم بحرف ودعوني أتولى الكلام عنكم ثم نظر الى البوليس فقال

له : لقد تأخرت أيها الصديق فقد قبض عليها .

— من أوقفها ؟

— انا ، وذلك منذ ساعة .

فلما رأى هذا البوليس رئيسه عند الغسالة لم يشك بحرف مما قاله فانحنى معتذراً وانصرف .

أما بيبي فانه حار في أمره بعد انصراف البوليس وقال :

— إذا لم يكن قد قبضوا عليها فمن هذا الرجل الذي اختطفها ؟

وعند ذلك قرع الباب ثانية ففتحه بوليت فدخل منه رجل وقال : أهنا يقيم سيمون برجفين ؟ فأجابه سيمون : نعم .

— ان فتاة كانت سائرة في مركبة في شارع مونتمارتر كتبت هذه الرسالة وعهدت الي بايصالها اليك .

ففضها سيمون بيد ترتجف وقرأ فيها ما يأتي :

(لا تجزعوا فأنا في أمان تام وسيردكم كتاب غداً)

وكانت هذه الرسالة بتوقيع حنة وقد قرأها سيمون بصوت مرتفع فصاح الأحدب صيحة فرح ونظر الى الخط فقال : انــه خط حنة ، غير ان بيبي قطب حاجبيه وقال: لا بد أن يكون في الأمر سر ثم قال للاحدب : اننا في حاجة اليك فهلم معنا.

وبعد هنيهة خرج بيبي وبوليت والأحدب وأخــذ سيمون البومة وقذف بها الى خارج الدكان وهو يقول :

— لقد ربيناك أيتها الأفعى فما جلبت لنا غير الويل فاذهبي وانفثي سمومك في غير هذا المكان لا ردك الله اليه .

٥
الرسالة

ولم يكن بيبي قد أخبر رفيقيه الى الان بشيء من قصده فسار بهما حتى لقي مركبة وأمر السائق ان يسير الى بلازو أي منزل تنوان .

فسأله الاحدب عند ذلك الى أين ذاهبون فقال له :

– اني أستطيع الآن أن أخبرك بكل شيء فاني لم أثق برسالة حنة كل الثقة .

– ولكن الخط خطها .

– هو ذاك ولكنها قد تكون مكرهة على كتابة تلك الرسالة انما يجب أن تعرف هذا الرجل الذي اختطفها فقال له الاحدب:

– ألا يمكن أن يكون داغوبير ؟

فهز بيبي رأسه وقال :

– أرى أيها الصديق انه يجب أن أوقفك على الحقيقة بجملتها فان هذا المنكود بات من المجانين .

فذعر الاحدب ذعراً شديداً وقال :

– داغوبير مجنون ؟!

— نعم فقد جن في هذا الصباح وكان رجاءنا معقوداً عليه بانقاذ البنتين فلم يبق لدي غير طريقة واحدة وهي اكراه انطونيا على انقاذهما ولهذا أردت الذهاب بكما الى منزلها، أتعرف طريقة الدخول الى المنزل يا بوليت ؟

— دون شك فقد أقمت مدة طويلة في هذا المنزل فعرفت كل مداخله .

— كيف ندخل اليه .

— نبدأ بتسلق السور الى الحديقة ثم نلج منها الى المطبخ ومنه الى المنزل ولا يكلفنا ذلك عناء كبير غير ان العادة في هذا المنزل انهم ينامون في النهار ويسهرون في الليل .

— كم فيه من الخدم .

— لا يوجد فيه غير خادمتين وبستاني ولكن البستاني يبيت في منزله في القرية .

— انما نحن ثلاثة رجال نقوى على ثلاث نساء .

— هذا لا ريب فيه غير ان المحامي يزورها كل ليلة .

— ما عدا هذه الليلة فقد اختصما أمس وعلمت اليوم انه مدعو الى العشاء مع روبسبيير عند احدى السيدات .

— اذا كان ذلك فان الأمر سهلاً ميسوراً ولكن ما عساك تصنع عند انطونيا ؟

— سأخيرها بين أن ترد لنا البنتين وبين أن تموت ، فهل لديكم سلاح ؟

فقال بوليت : أنا لدي خنجر .

وقال الأحدب : وأنا كذلك .

فقال بيبي : وأنا لدي غدارتان ، وهذا السلاح كاف لحلها على الاذعان .

ثم سار الثلاثة حتى انتهوا الى ذلك المنزل فنزلوا من المركبة وأوقفوها في محل بعيد وتقدمهما بوليت فقال لهما :

– اني سألج المنزل من القبو الى المطبخ فأفتح لكما الباب فانتظراني عنده .

ثم تركهما فتسلق الجدار وهبط من فوقه الى الحديقة فدخل القبو وصعد منه الى المطبخ دون ان يراه أحد ثم خرج من المطبخ الى فسحة الدار ولم يكن يرى غير نور ضعيف ينبثق من غرفة تنوان فنزل من الفسحة سلماً لينتهي الى الباب ولكنه لم يكد ينزل درجة حتى رأى وصيفة تنوان قدخرجت الى الفسحة تحمل شمعة واتجهت الى السلم فانزوى الى الجدار مستتراًغير ان الوصيفة رأته فذعرت وهمّت أن تصيح فوثب عليها وثبة النمر المفترس فوضع خنجره فوق صدرها وقال لها :

– اذا فهت بكلمة أغمدت هذا الخنجر في صدرك .

وقد قبض على عنقها باحدى يديه فلم تستطع الوصيفةصياحاً وسقطت الشمعة من يدها فانطفأت وسادت الظلمات .

* * *

ولنعد الآن الى تنوان فلقد تركناها وقد خرجت من الفندق بعد أن رمت داغوبير بتلك النكبة وذهبت الى المركبة التي كان ينتظرها فيها المحامي فقالت له : لقد قضي الأمر .

فسارت بها المركبة حتى ابتعدت عن الفندق بعداً شاسعاً فنظرت تنوان الى المحامي وقالت له فجأة :

– يجب أن نفترق إذ يجب عليك أن تذهب الى مجلس الأمة .

– ولكن ، ألا تخبريني ماذا صنعت في ذلك الفندق ؟

– اني أستكشف طالع داغوبير ولم ألبس هذه الملابس الا لهذا الغرض .

– بماذا تنبأت له ؟

– صيرته مجنوناً وسيدوم جنونه ثمانية أيام لا يستطيع في خلالها التماس العفو عن أورور .

ولكن كيف صيرته مجنوناً ؟

– هذا سر من أسراري ، والآن انزل فقد آن الأوان .

– اذن الى اللقاء في هذا المساء .

– لا لقاء بعد هـذا الفراق إلا حين يقطع رأس الفتاة التي وعدتني بقتلها وأخللت بما وعدت .

– وبعد أن ُتقتل ؟

– ربما عفوت عنك .

فحاول أن يلثم يدها ولكنها دفعته بجفاء فنزل من المركبة وهو يتلظى غضباً فانه كان في أشد العوز الى المال ولا سبيل اليه إلا من جيوب تنوان فذهب الى منزله بدلاً من الذهاب الى مجلس الأمة وهو عازم على أن يبذل مجهوده في سبيل إعدام أورور .

وفيما هو سائر التقى ببيبي وهما متفقـان على اعدام الفتاة فتداولا بشأنها وأخبره المحامي بما كان من خصامه مع تنوان .

فضحك بيبي وقال له :

- انها سحابة صيف سوف تنقشع .

ولبثا سائرين وهما يتحدثان حتى وصلا الى منزل المحامي فأعطاه البواب رسالة وقال له : انها من روبسبيير .

فقرأها المحامي وقال لبيبي : كن واثقاً اني لا أذهب الى هذه المرأة في هذه الليلة فاني مدعو الى العشاء مع روبسبيير .

- وأنت كن واثقاً انك اذا لم تذهب اليها أتت هي اليك .

ثم افترقا وهما يضحكان وقد أيقن بيبي من المحامي انه لا يزور تنوان في هذه الليلة،وأيقن المحامي من بيبي انهم سيعدمون أورور بعد ثلاثة أيام .

أما تنوان فانها عادت الى منزلها وهي منقبضة الصدر لأنها كانت تحب المحامي حباً شديداً ولا صبر لها على فراقه ولكنها أملت أن يعود اليها في تلك الليلة فأقامت في سريرها تنتظر وهي لا يهدأ لها بال ولا يغمض لها جفن الى أن سمعت وقع أقدام في الحديقة فنادت وصيفتها وقالت لها :

- اني أسمع وقع أقدام فانظري من القادم .

فأخذت الوصيفة شمعة وخرجت الى الفسحة .

وقد سمعت تنوان بعد خروجها وقع أقدام في الفسحة فاضطرب قلبها وقالت انه هو دون شك ولكنها لبثت في سريرها .

وبعد هنيهة سمعت قرعاً على باب غرفتها فأذنت للطارق بالدخول ، ففتح الباب ، ونظرت تنوان فرأت ان القادم لم يكن المحامي بل كان بيبي وبوليت .

أما بيبي فانه وقف في الباب وهو يبتسم فذعرت تنوان وقالت له : ماذا تريد ؟

فأجابها بملء اللطف والتود :

– اني قادم يا سيدتي بأنباء من المحامي د. فقد رأيته منذ حين ثم دخل الى الغرفة وتبعه بوليت فأقفل الباب .

وكانت تنوان قد رأت بيبي مرة واحدة وأحسنت اليه حين وعدها بالقبض على أورور ، بل هو الذي قبض عليها فلم يكن هناك سبب يدعوها الى الخوف منه غير انهـا مع ذلك ذعرت لدخوله عليها ولاسيا حين رأت بوليت قد دخل معه .

ورأى بيبي انها تجاهلت معرفته فقال لها :

– أرى ان سيدتي لم تعرفني !.

– بل عرفتك ، فأنت رجل البوليس ، ولكن لماذا أتيتني في هذه الساعة ؟

– لأني علمت انك لا تنامين باكراً .

– أأنت قادم من لدن المحامي د. ؟

– نعم ، ولا ..

– اني لم أفهم ما تعنيه .

– اني حين قلت لك اني قادم بأنباء من المحامي لم أكن كاذباً فقد رأيته اليوم وهو يتمشى مع روبسبيير فلا يستطيع الحضور.

– أرسلك لتخبرني بذلك ؟ – كلا .

– اذن ماذا أتيت تعمل هنا ؟

– جئت لأحدثك في بعض الشؤون .

– وهذا الذي يصحبك ؟

فدنا بوليت منها وقال لها : أرى ان سيدتي لم تعرفني أيضاً فأنا الذي أنقذت أورور أمس بادعائي انها حبلى .

فاضطربت تنوان وقالت له ويحك أيها الشقي كيف جسرت على ذلك ؟ ثم نظرت الى بيبي وقالت له : وأنت ماذا تريد مني؟

– لا حاجة الى الغضب والشتم يا سيدتي ، فاذا أصغيت الي عرفت ما أريد .

فمدت يدها الى جرس تريد مناداة خادمتها .

فاعترضها بيبي وقال : لا حاجة الى ذلك .

ثم أخرج غدارته وقال لها : إذا أردت الحياة فاحذري أن تستغيثي ، ثم صوب الغدارة اليها .

فذعرت تنوان ولزمت الصمت وعند ذلك قال لها بيبي : انك اذا كنت عاقلة ونهجت مناهج الحكمة لا نسيء اليك بشيء .

فظنت تنوان انهما يريدان سلبها فقالت لهما :

– ألعلكما تريدان مالاً ؟

فأجابها بيبي : كلا بل نريد منك كتاباً الى المحامي د. وأنا أمليه عليك ثم كشف ساعته وقال :

– اني أمهلك خمس دقائق للتفكير .

– ولكن ماذا تريد أن أكتب ؟

ثم جعلت تجيل نظرها بين هذين الرجلين القابضين على حياتها فقال لها بيبي :

– اجلسي على هذه المائدة واكتبي ما أمليه عليك فقد مضى

من المهلة دقيقتان .

– ولكن قل لي ماذا تريد أن أكتب ؟

– انك أغلظت القول لهذا الفتى الجميل فمن العدل أن تكتبي اليه رسالة تودد تنسيه ذلك الجفاء ، ثم لا يخفاك يا سيدتي ان هذا المحامي على كثرة مكاسبه لا يزال محتاجاً الى المال وهو الآن محتاج الى عشرة آلاف فرنك .

فابتسمت تنوان ابتسامة احتقار وقالت :

– لقد فهمت كل شيء الآن فهو الذي أرسلك .

– لنفرض انك أصبت فخذي القلم واكتبي ما أمليه عليك فلم تجد بدأ من الامتثال وشرعت بالكتابة فأملى عليها بيبي ما يأتي :

« أيها الصديق الحبيب

« اني أغلظت لك القول هذا الصباح .

فرفعت تنوان رأسها وقالت : كيف عرفت هذا ؟

– ان من يمتهن مهنتي يا سيدتي وجب عليه أن يعرف كل شيء ، ثم أعرف أيضاً انك لبست ثوبك القديم .

– أعرفت هذا أيضاً ؟

– بل عرفت ان داغوبير المنكود قد ذهب عقله ، ولكن أتمي الآن كتابة ما أمليه عليك .

فرعبت رعباً شديداً وعادت الى الكتابة وأملى عليها ما يأتي :

« ومع ذلك فاني لا أزال أهواك ولا أحب الي من أن أعفو عنك فاني علمت انك في حاجة الى المال وانه لا يسوءك قبض عشرين ألف فرنك في مثل هذه الظروف .

« غير انه خطر لي خاطر أحببت أن اكتب لك عنه حذراً من فوات الأوان ، وهو اني في هذا الصباح كنت أطلب موت أورور ، أما الآن فقد غيرت قصدي ولا أريد لها إلا الخير .

فرفعت تنوان رأسها وقد اتقدت عيناها وقالت : ما هذا القول وماذا تريد مني أيها الرجل !! ألعل المحامي الذي ...

فقاطعها بيبي بضحكة مرتفعة وقال: لقد كنت أتوهم انك أشد ذكاء مما ارى ألم تعلمي بعد ما أريدة منك أنا وهذا الفتى؟

ـ كلا لم أفهم بعد .

ـ اذن فاعلمي اننا نريد انقاذ أورور ، وإذا كان لا بد من اعدامها فانك لا تنعمين بعدها بالحياة بل انك تموتين قبلها وغاية ما أسألك إياه الآن ان تعودي الى الكتابة .

ـ ماذا تريد ان اكتب ؟

ـ اني موضح لك الحالة فاسمعي : انك بالأمس كنت تريدين إعدام اورور دي مازير .

ـ ولا ازال اريده اليوم .

ـ كلا بل انك لا تريدينه لأني انا وبوليت لا نريد ، وانه لا بد لك من الامتثال .

وكان يقول لها هذا القول وهو يعبث بغدارته غير ان تنوان بقيت مترددة فقال لها : اني امهلك خمس دقائق اخرى .

فاعترضه بوليت وقال : ان المهلة طويلة .

ـ كلا فان بعض الناس يترددون في امورهم ومع ذلك فان هذه السيدة قد تكون تكره اورور كرهاً عظيماً حتى باتت

تؤثر الموت على ان تحيي أورور .

فأيقنت عند ذلك تنوان انه لا حيلة لها معها وانهما يقتلانها دون شك اذا أصرت على المكابرة فسالت دمعة من عينها لقهرها ونظرت الى بيبي فقالت له: املي ما تريد ، فأملى عليها ما يأتي:

« لقد قلت لك ايها الصديق اني في هذا الصباح كنت أسألك « إعدام أورور وأما الآن أسألك حياتها ولا أجد أسهل عليك « من انقاذها فاستمن بروبسبيير فان هـذا الرجل يحكم فرنسا « وترتجف منه أوروبا وبكلمة منه تفتح لك أبواب السجن وإذا « شئت أطلقت سراح أورور هذه الليلة ، ولذلك أرجوك حين « تطلق سراحها أن تسلمها الى بيبي حامل هذا الكتـاب وهو « يذهب بها الى حيث أمرته ومتى فعلت ذلك أسرع الي أيها « الحبيب تجدني سعيدة بلقائك .

« والآن ، فانك قد تكون محتاجاً الى المال ولذلك أعطيت « بيبي حوالة على البنك الذي أقبض منه ريع أموالي وهو يدفعها « اليك . إلى اللقاء أيها الحبيب فاني سأنام الآن كي أحلم بك » .

ثم وقّعت على هذا الكتاب والدموع تذرف من عينيها وقالت لبيبي :

— انك فزت علي اليوم وسأفوز عليك في الغد ويكون انتقامي شديداً .

فلم يجبها بيبي ولكنه نظر الى بوليت وقال :

— توسمت فيك الذكاء أيهـا الفتى وأرى انه يجب أن أستشيرك في أمر أشكل علي ذلك ، انه لنفترض ان المحامي قد

داخله الريب وجاء الىهنا ليرى انطونيافكيف تمنعه منمقابلتها؟
— نسجنها في غرفتها !
— ولكن ما تصنع بالخادمتين ؟
— اذن اقتلها .
— كلا اني لا أريد قتلها الآن فان حسابي معها لم ينته بعد .
فذعرت تنوان ذعراً شديداً لقوله ... وقال بوليت :
— اذن قل رأيك فاني لا أعلم ماذا يجب أن أصنع..
— لقد خطر لي خاطر الآن وهو أن نذهب بهذه السيدة إلى باريس ...
— لقد أصبت يا سيدي .
— وقد خطر لي خاطر آخر وهو اني غير محتاج اليك والى الأحدب في باريس فابقيا هنا واسمع الآنما يجب ان تصنعه وهو ان هذه السيدة مصابة بصداع أليم وأنت طبيبها .
— ولكن إذا جاء المحامي ؟
— يكون ذلك لنكد أنطونيا وسوء طالعها .
— ذلك ؟
— ذلك انك تغمد خنجرك في صدرها قبل أن يصل اليها .
— ووصيفتها ؟
— سيتولى الأحدب شأنها وتكون مهمته كمهمتك مع هذه السيدة ...
ثم تركه وذهب إلى الأحدب فوجده مشهراً خنجره على الوصيفة وهي تكاد تجن رعباً .. فقال له :

– أرسلها يا ابني الى سيدتها فانها محتاجة اليها وإذا صاحت أضعف صيحة فاطعنها بخنجرك طعنة قاضية .

فدفعها الى غرفة تنوان وتبعها بيي فقال لبوليت :

– أفهمت ما أوصيتك به ؟

– كما ينبغي ..

– اذن أوصي بنوات بما أوصيتك وأنا ذاهب فخذ هاتين الغدارتين فلست محتاجاً اليها في باريس واعلم يقيناً انه اذا اجتمع المحامي بهذه المرأة لا تنجو أورور من الاعدام .

ثم تركهم وانصرف الى المركبة التي كانت تنتظره، فسارت به وجعل يقول في نفسه :

« لا بد أن أجد المحامي عند الفجر فان من تعطيه عشرين ألف فرنك لا يسوءه أن توقظه مهما بكرت في إيقاظه .

* * *

وسارت به المركبة حتى بلغت الى منزله في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فصعد اليه وغير ملابسه وتأنق فيها وصبر إلى أن دقت الساعة الخامسة فذهب الى منزل المحامي وطرق بابه ففتح له البواب وقال له :

– لقد حسبتك سيدي المحامي .

– كيف ذلك ، ألم يعد بعد ؟

– كلا فانه يقامر دون شك .

– لا بأس فاني أنتظره .

وبعد هنيهة أقبل المحامي وهو مقطب الجبين .. فسر بيي

لوثوقه من خسارته فاجتمع به المحامي وقال له :

– أهذا أنت أيضاً، اني أسأت اساءة عظيمة أمس بالذهاب مع روبسبيير وكان ينبغي أن أذهب الى أنطونيا .

– بل أصبت يا سيدي وسأبرهن لك .

فنظر اليه المحامي نظرة انذهال وقال : كيف ذلك ؟

– ذلك ان انطونيا تعبدك عبادة فهل أصابك ما أساءك في ليلتك ؟

– اني لعبت وخسرت .

فابتسم بيبي وقال : ألعلك خسرت كثيراً ؟

– مائة ليرا .

– انه مبلغ زهيد لا يدعو الى الاستياء لاسياواني محضر لك عشرة أضعافه ..

فذهل المحامي وقال : عشرة أضعاف هذا المبلغ ! وممن !

– ألم أقل لك ان انطونيا تعبدك عبادة ، واسمع الحكاية ، فاني ذهبت الى انطونيا في هذه الليلة فرأيتها مضطربة اضطراباً شديداً لم أكن أتوقعه فعلمت انه ورد اليها كتاب من ألمانيا لم أعلم ما يتضمنه ولكنه غيّر أفكارها فانها بالأمس كانت تطلب رأس أورور ، وأما اليوم فانها تسألك حياتها وحريتها .

فدهش المحامي اندهاشاً عجيباً لغرابة هذا الطلب حتى خشي أن يكون بيبي من المجانين .

ولكن بيبي أسرع ودفع اليه الكتاب الذي أملاه على تنوان. فقرأه المحامي وزاد انذاله اذ لم يدرك القصد من هذا التغيير

وقال : ان الأمر غريب .

فقال له بيبي : لا أنكر غرابته ولكن لا سبيل الى الجدال معها بعد أن دفعت عشرين ألف فرنك في هذا السبيل .

– أين المال ؟

– انه حوالة على مصرف شهير وهي معي .

– هاتها .

– كلا لم يحن الوقت بعد إذ عهدت الي أن لا أعطيك الحوالة إلا حين تطلق سراح الفتاة .

سأطلق سراحها ، ولكن هات الحوالة فاني مضطر أن أدفع ما خسرته أمس .

– ان دين القمار يدفع بعد أربع وعشرين ساعة ويمكن اطلاق سراح الفتاة قبل هذا الأجل .

– ولكن الأمر غير سهل كما تقول .

– بل أراه سهلاً فان روبسبيير لا يرفض لك ملتمساً .

– هو ذاك ولكن أتظن ان لديه سلطة تخوله اطلاق النبلاء من السجون ؟

– أعطني أمراً منه باطلاق أورور وعلي البقية .

– ولكني لم أعلم السبب في انقلاب انطونيا .

– ولا انا ولكني لو كنت في مكانك لما بحثت عن هذا الأمر ، وماذا يضرك اخراج هذه الفتاة من السجن لاسيما وانك ستقبض عشرين ألف فرنك .

– لقد أصبت ايها الصديق وسأذهب الآن الى روبسبيير .

– اتريد ان اصحبك ؟

– دون شك ، وسنبحث في الطريق عن حيلة تقنع بهـــا روبسبيير على وجوب العفو عن الفتاة .

ثم ذهب الاثنان الى منزل روبسبيير فقال له بيبي وهما في الطريق : كيف عزمت على مخابرة روبسبيير ؟

– رأيت ان اقول له بجلاء ان انطونيا ترغب في اطلاق سراح الفتاة .

فابتسم بيبي وقال : انك ساهر ايها الصديق في المحاماة ولكنك ضعيف في السياسة ، فان روبسبيير يكره النساء فاذا قلت له ما اردت رفض طلبك دون شك .

– اذن ماذا اقول له ؟

– قل لي كيف تمكنت من اطلاق سراح انطونيا حين قبض عليها وهي قادمة الى باريس .

– ذلك اني اقنعت روبسبيير انها تخدم الجمهورية خدمات جليلة بالنظر الى علاقاتها في المانيا .

– اذن قل له الآن ان انطونيا آخذة باكتشاف مؤامرة في المانيا وانها محتاجة الى فتاة مسجونة في الدير لاحباط مساعي المتآمرين .

– ولكن الفتاة نبيلة ؟

– تخدم الجمهورية التي تحتقرها دون ان تريد .

– اني لم افهم ما تعنيه .

– ارى ان تدعني اكلم روبسبيير على ان توافقني على ما اقول.

– ليكن ما تريد .

وسار الاثنان حتى وصلاالى منزل روبسبير فقدمله المحامي بيبي واخبره بالغرض من زيارته .

فتولى بيبي عند ذلك الكلام وقال له :

– يوجد مؤامرة جديدة في المانيا .

– اني سأسحق هؤلاء المتآمرين كما سحقت سواهم .

– هو ذاك ، ولكن يجب ان تعلم اسماؤهم .

– تعرفهم ؟

– كلا ولكني عرفت فتاة منهم تدعى اورور دي مازير وهي رسولهم في باريس .

– أهي تلك الفتاة التي لم يعدموها لأنها حبلى .

قال هي بعينها ، وأنا وانطونيا نضمن القبض على المتآمرين اذا اطلق سراح هذه الفتاة .

فدهش روبسبير وقال : لماذا يطلق سراحها ؟

– لأن انطونيا تريد ان تجعلها صنيعتها فتخبرها انها سعت بانقاذها لاتصالها بعائلتها ثم تعطيها جوازاً تسافر به الى المانيـا وترسل معها خادماً يوصلها اليها .

– اني لم أفهم بعد .

– ان هذا الخادم سيكون انا وسأعرف بعد اتصالي بهـا جميع الذين يتآمرون معها .

فقال المحامي : انها خير وسيلة لاكتشافهم .

وقال روبسبير : اني واثق من ذكائك فقل الان ماذا تريد؟

– سطرين تكتبهما الى مأمور السجن .

فأخذ روبسبيير قلماً وكتب له ما يأتي :

« يطلب من مأمور سجن الدير ان يسلم اورور دي مازير في الحال الى بيبي مفتش البوليس السري لخدمة الجمهورية » .

فأخذ بيبي الورقة فوضعها في جيبه ثم ودع روبسبيير وانصرف فخرج المحامي في اثره وقال له : والان ألا تعطيني الحوالة ؟

– دون شك فخذها ولكن لا بد لك من الصبر ساعتين لتقبض فان المصرف لا يفتح قبل الساعة التاسعة .

وعند ذلك ودع المحامي وسار مسرعاً الى السجن فاجتمع بمأموره وأعطاه أمر روبسبيير فقال له السجان :

– لقد جئت بعد فوات الأوان أيها الصديق .

فاضطرب بيبي اضطراباً شديداً حتى اوشك ان يسقط وقال :

– كيف ذلك ، اعدموها ؟

– كلا ، ولكنها هربت من السجن في هذه الليلة .

– ان هذا محال وكيف تستطيع الفرار .

ثم ذهب به الى الغرفة التي كانت مسجونة فيها اورور فرأى قضبان حديد النافذة مكسورة وقد تدلى حبل منها الى الخارج فاعتقد كما اعتقد المأمور انها هربت من السجن بواسطة النافذة فخرج كالمجانين وهو يقول :

– ترى من انقذها لقد حرت في امري ولم اعد اعلم ما اعمل !

٦

اختفاء حنة وأورور

وسار بيبي وهو لا يدري ماذا يصنع وأين يسير وقد راعه فرار أورور إذ كان يعلم انه لا يوجد من يحبها ويهتم لها غير داغوبير وهو مجنون .

وقد خطر له خاطر رعب له وهو ان روبسبيير على ما كان له من السلطة النافذة في تلك الحكومة كان يوجد فيها من هو أشد منه نفوذاً وقد تعرضت أورور للشعب حين أصعدوها إلى المقصلة فبهرت بجمالها الناس ولذلك قد يتفق أن أحد أرباب النفوذ هام بها كما هام بها بوليت من قبله فاختطفها من السجن بقوة نفوذه ، وانما رعب لهذا الخاطر لأنه بات يحب أورور حباً أبوياً فأشفق أن تكون هذه الزهرة الطاهرة بين مخالب أهل الدعارة والاثم ..

ثم خطر له خاطر آخر وهو أن حنة قد اختطفت أيضاً وكان خاطفها مجهولاً فقال في نفسه :

« ألا يمكن أن يكون خاطف حنة منقذ أورور ؟! »

عند ذلك عوّل على ان يذهب الى دكان الغسالة علّه أن يقف

على ما يكشف له هذا اللغز إذ لم يكن يعلم اين يسير .

وكانت الساعة الثامنة من الصباح فلم يكن يخشى كيد تنوان إذ كان يعلم أن المحامي لا يذهب اليها إلا حين انتصاف الليل ولذلك ذهب تواً إلى دكان الغسالة فاستقبل فيها وعلائم البشر والارتياح ظاهرة في وجوههم .

فدهش بيبي لهذه العلائم وقال لهم :

ـ ألعلكم مسرورون ؟

فأشار اليه زوج الغسالة إشارة خفية مفادها انه لا يستطيع الكلام أمام البومة فانه بعد أن طردها في الليلة السابقة وجدها في الصباح نائمة على بلاط الشارع وقد هرأ البرد جسمها فأشفق عليها وردها الى المنزل ولكنه كان يحترس منها كل الاحتراس بعدما ثبت له من خيانتها فخرج مع بيبي إلى خارج الدكان وقال له : اننا بتنا ليلة أمس على أحر من الجمر بعد انصرافك ببوليت والأحدب ولم تذق أجفاننا طعم الرقاد لاشفاقنا على البنتين ، ففي الساعة السادسة من الصباح خرجت من الدكان للذهاب الى عملي فلم أسر بضع خطوات حتى سمعت رجل يناديني فالتفت فاذا هو كوكليس زوج أخت امرأتي وهو الذي جاءنا بالبنتين فقال لي: اني أنتظر خروجك منذ ساعة. فقلت له: انك آت دون شك لسؤالي عن البنتين فقد قبض عليهما وأسفاه .

قال : بل انهما نجتا ...

فدهشت دهشاً عظيماً وكدت أسقط لسروري فقلت :

ـ كيف عرفت ذلك ؟

قال : اسرع وخذ مني هذه الرسالة تعلم منها كل شيء..
فأخذت منه الرسالة وفتحتها فقرأت فيها ما يأتي :
« خالتي العزيزة
« أكتب اليك لأخبرك اني خرجت من ذلك المنزل السيء الذي
« كنت فيه على أسوأ حال ودخلت في خدمة منزل آخر وافتني
« اليه اختي حنة فلا ينشغل بالك علينا يا خالتي العزيزة فاننا في
« أحسن حال ولا أعلم إذا كنا نستطيع الخروج من المنزل قريباً
« فان الأشغال فيه كثيرة ولكننا سنزورك في أول يوم يتسنى
لنا فيه زيارتك .

« ابنة اختك »

« أورور »

فلما اطلع بيبي على هذا الكتاب قال له سيمون :

– اننا أدركنا القصد منه على كوننا من العمال فان أورور دعت امرأتي خالتها لأن الناس كانوا يعلمون انها بنت اختها وقد فهمنا كنايتها بالخروج من منزل الى منزل .

– حسناً ، ولكن أعلمت كيف خرجت أورور من السجن؟

– لقد حسبنا انك أنت الذي أنقذتها .

– كلا واأسفاه .

– اذن داغوبير ؟

– ولا داغوبير .

– بقي ابن عمها الكونت لوسيان فقد أنقذها وربما هو نفسه الذي ذهب بحنة .

– لا هذا ولا ذاك فان هذا الكونت قد أعدم وقيد اسمه في سجل السجون بين المقتولين .

– ان المهم لدينا ان الأختين قد نجتا من القتل .

وكان بيبي لا يزال مشككاً في نجاتهما غير انه أبى أن يكدر صفو هذا الرجل وامرأته فلم يقل له شيئاً فتركه وانصرف وهو لا يعلم أين يسير .

وقد اضطرب في أمره حتى انه خطر له أن يأخذ جوازاً ويسافر إلى البلاد الخارجية فيقيم فيها إلى انتهاء الثورة فانه بات يخشى انتقام روبسبيير بعد تلك المكيدة التي كادها لتنوان لاعتقاده ان المحامي لا يلبث أن يكشف أمرها ولذلك قرر أن يأخذ جوازاً ثم يذهب إلى بوليت والأحدب ويخبرها بكل شيء ويسافر قبل المساء .

وفيما هو ذاهب إلى طريق قلم الجوازات لقيه رجل فقال له :

– أأنت هو بيبي المفتش في البوليس السري ؟

– أرى انك عرفتني أما أنا فاني لا أعرفك .

– لا بأس ولكني سأقول لك ما صنعته منـذ يومين فانك أفرغت مجهودك في سبيل انقاذ أورور دي مازير ، وذهبت في الليلة الماضية الى خليلة المحامي فأكرهتها على كتابة رسالة إلى هذا المحامي .

فدهش بيبي وقال :

– أتعرف هذا أيضاً ؟

– اني أنهج معك نهج الايجاز لضيق المقام فأقول انك تحمل أمراً من روبسبير ترجو به أن تنقذ أورور .

– ماذا أسمع ألعلك من السحرة أيها الرجل ؟

– ربما .

– ولكن كيف عرفت كل هذه الأمور ؟

فلم يجبه الرجل على سؤاله وقال له :

– انك ذهبت إلى السجن ولكن بعد فوات الأوان واصغ الي فاني صديق الكونتس أورور وأختها حنة .

– أنت ؟

– نعم ، ونحن الذين أنقذنا الأختين غير ان مهمتنا لم تنتهي ونحن في حاجة اليك فانك ذاهب الى قلم الجوازات أليس كذلك؟

فزاد انذهال بيبي وقال له :

– ولكن من أخبرك ؟

– لم يخبرني أحد غير اني رأيتك في طريق القلم وأنا أعلم انك محتاج الى الفرار فما شككت انك ذاهب اليه .

– حسناً ، وبعد ذلك ؟

– أريد ان تذهب إلى قلم الجوازات وتأخذ جوازاً باسمك وباسم عائلتك .

– عائلتي ؟

– نعم ، وهي مؤلفة من بنتي أخيك وخادمك ، أما علمت الآن ان بنتي اخيك هما أورور وحنة وان خادمك هو بنوات

الأحدب .

– لقد فهمت ، فماذا تريد ان أصنع بعد ذلك ؟

– تركب المركبة وتسير بهـا إلى حيث تركت الأحدب فتجيء به إلى منزلك، وعند المساء تنتظر ومعك معدات سفرك في محطة إيطاليا وتجـد في المركبة الاختين وابن عمهما الكونت لوسيان دي مازير .

– ولكن هذا الكونت قد مات ؟

– انه مات لدى جميـع الناس ما خلا أنت ونحن .

فدهش بيبي وقال :

– ولكن من أنتم الذين تحيون الموتى ؟

– انك بالرغم عما بذلته من الغيرة في سبيل انقاذ أورور لو سألتني هذا السؤال أمس لما أجبتك عليه ، أما اليوم فنحن واثقون انك لا تقابل روبسبيير فلا خوف علينا من الاباحـة بأسرارنا على اني أعجب كيف تجهل امرنا وانت من رجال البوليس مع انهـم اخبروك بأمرنا ولكنك هززت كتفيك وانكرت .

– ولكن من انتم ؟

– نحن جمعية القناع الأحمر ، والآن إلى اللقاء في هذا المساء ثم تركه وانصرف .

فلبث بيبي هنيهة واقفاً دون حراك ثم ذهب إلى قلم الجوازات ، فأخذ الجوازات على ما اوصى به الرجل ، وبعـد ذلك ركب مركبة وسار بها الى منزل تنوان فأوقف المركبة

خارج الباب ودخل فوجد بوليت والأحدب يتحدثان بصوت منخفض وعليهما علائم القلق الشديد ، فلما قال لهما بيبي انها نجت اشرق وجه الأحدب واحمر بوليت فقال بيبي في نفسه :

« ان هذا الفتى يعشق اورور فلا يجب ان يعلم انها مسافرة إلى الخارج ولا ينبغي ان يراها بل نحتاج إلى بقائه هنا كي يمنع تنوان من الاجتماع بالمحامي قبل ان اسافر ». ثم قال لهما بصوت مرتفع :

– لا استطيع الآن ان اخبركما بما حدث تفصيلاً فاقتصر على القول ان اورور باتت بعيدة عن الخطر ، والآن اخبراني بما حدث هنا ؟

فقال له بوليت : ان انطونيا نهجت مناهج الحكمة إذ كانت تعلم انه لو بدر منها اقل بادرة لأغمدت خنجري في صدرها .

فتقدم بيبي عند ذلك وطرق باب غرفة تنوان فأذنت له بالدخول ودخل فلما رأته نظرت اليه نظر الأفعى وقالت له :

– أعدت إلي أيها الشقي ؟

فأجابها ببرود :

– ارى ان الأجدر بك ان تصغي الي .

– وأي شأن بقي لي معك ؟

– أبدأ فأقول لك ان المحامي سر سروراً عظيماً من النقود التي أرسلتها اليه وهو سيزورك في هذا المساء ليشكرك .

فابتسمت ابتسامة احتقار .

– ثم أخبرك يا سيدتي ان اورور دي مازير قد اطلق سراحها

امتثالاً لأمرك فان المحامي ذهب بي الى روبسبير فأعطاني الأمر باطلاقها ونحن مسافرون الليلة ولذلك جئت لأودعك .

فأوشكت تنوان ان تجن من غضبها ولكنها لم تجب .

فنادى عند ذلك بوليت وقال :

ـ اني محتاج إلى بنوات أصحبه معي وأما أنت فستبقى هنا.

ـ أأبقى للمهمة نفسها ؟

ـ دون شك فاذا بدر من انطونيا ما يريبك فان لديك خنجراً وغدارة فاقتلها بأيهما شئت .

ـ حسناً ، فالى أية ساعة أبقى هنا ؟

ـ الى الساعة السادسة من المساء وبعد ذلك تبرح هذا المنزل وتدع انطونيا وشأنها فيه .

ثم تركه وانصرف فلقي الأحدب في الباب فقال هلم معي فان الوقت ضيق .

ـ إلى أين ؟ ـ سأخبرك في المركبة .

فذهب الاثنان ، ولما سارت بهما المركبة قال له بيبي :

ـ اننا سنسافر مع اورور وحنة .

ـ وبوليت ؟ ـ لا حاجة لنا به .

وبينا كان بيبي والأحدب سائرين في المركبة إلى باريس كانت تنوان تنظر الى بوليت وتقول في نفسها :

« اني إذا استطعت التخلص من هذا الفتى لمدة ساعة احبط جميع مساعيهم واثال ما اريد » . .

*

غير ان بين الادارة والقدرة بوناً بعيداً فان تنوان عرضت كأساً من الخمر في الصباح على بوليت فقال لها :

– اني تعودت العطش والجوع فبت صبوراً عليهما ولذلك لا أشرب ولا آكل عندك ولو ملأت جيوبي ذهباً .

فكفّت عند ذلك عن الافتكار بتسميمه فان حبه لأورور خير رادع له عن الخيانة غير ان تنوان لم تقنط منه وقالت في نفسها :

« اني قتلت كريتشن وقتلت مدام دي مازير وذهبت بعقل داغوبير فلا أعدم وسيلة للتخلص من هذا الأبله » .

أما بوليت فانه أشهر خنجره وذهب فجلس عند باب الغرفة .

وكانت الخادمة تذهب وتجيء الى الغرفة وتكلم سيدتها باللغة الألمانية فقال بوليت لتنوان :

– كلميها بأية لغة شئت ولتذهب وتجيء حيث تشاء ولكن كوني واثقة انه اذا دخل اليك أحد سواها فأنت قتيلة لا محالة

وقد كان حين تذهب الخادمة يدخل الى غرفة تنوان ويجلس بجانبها حتى إذا عادت الخادمة بالبستاني أو سواه قتلها قبل أن يصل أحد اليها .

فعلمت تنوان ان التخلص من هذا الفتى غير سهل ولكنها لم تقنط ولم تنقطع عن التفكير لإيجاد طريقة مضمونة فان فتيان باريس مشهورون بالحذق والتروي .

وبينما كانت جالسة بجانبه وعليها علائم الهم والتفكير نظرت اليه وقالت له فجأة :

– انك لا تريد أن تأكل ولا تشرب عندي ولكنك لا تمنعني عن الأكل فيما أظن ؟

– دون شك فما أمرت أن أقتلك جوعاً .

– اذن تأذن لي أن أتغدى ؟

– دون شك .

فنادت عند ذلك تنوان وصيفتها وقالت لها : هاتي الغداء .

وبعد ربع ساعة مدت مائدة في غرفتها جمعت أفخر ما طاب من أشكال الطعام ، فتنهد بوليت لأن الجوع أضنكه ، فبدأت تنوان بالطعام ثم قالت للوصيفة باللغة الألمانية ، أصغي الى حديثي كل الاصغاء كي لا يفوتك منه حرف واذهبي الى المطبخ تجدي تحت خزانة الأشربة زجاجة من النبيذ عليها ورقة حمراء فانزعي الورقة عنها وائتيني بها ثم اعلمي ان هذه الزجاجة تحتوي على خمر ممزوج بالمخدر .

فقالت لها الخادمة :

– ألعل سيدتي تريد أن تتخدر ؟

– ربما اضطررت الى ذلك فان من شرب من هذا الخمر يتخدر بعد ساعة ولا يستفيق إلا بعد اثنتي عشرة ساعة ، وأنا سأشرب هذا المخدر ورجائي أن يشرب منه هذا الفتى أيضاً حين يراني شربت منه ويثق انه غير مسموم فينام مثلي .

– وبعد ذلك فماذا أصنع ؟

– تجدين في درج الطاولة الصغيرة الكائنة في غرفتي زجاجة صغيرة تحتوي على سائل أخضر فصبّي بضع نقط منها في فمي

أستفيق للحال .

– لقد فهمت يا سيدتي كل شيء ..

ثم انصرفت لتنفيذ ما أمرتها به ، وعند ذلك قالت تنوان لبوليت :

– أرجوك معذرتي إذا كلمت خادمتي بلغة لا تفهمها فاني أكلمها بشؤن منزلية ..

– تكلمي أيه لغة تريدينها بشرط أن لا يدخـل أحد غير الخادمة إلى هذه الغرفة .

– اني أعلم انك لا تتوقف عن قتلي .

– إذا خطر لك غير ذلك فانك مغفلة .

فتنهدت تنوان ولم تجبه ثم جعلت تقطع دجاجة وتأكل منها وبوليت ينظر اليها والجوع ينطع أحشاءه .

وعند ذلك جاءتها الوصيفة بزجاجـة الخمر ففضت ختمها وصبّت منها في كأسها فشربت تنوان ما فيه جرعة واحدة .

وهنا سالت لعاب بوليت ولم يطق صبراً على الجوع فهجم على الزجاجة وصحن الدجاج هجوم المفترس . فقالت له تنوان :

– ماذا تصنع ؟

– لقد قلت لك اني لا آكل ولا أشرب عندك لأني أخاف أن تدسي لي السم في الطعام والشراب ، أما وقد رأيتك تشربين من هذه الخمر المعتقة وتأكلين من هذة الدجاجة فلم يبق علي خطر من التسمم .

– انى لا أمنعك من أن تأكل من طعامي فما منعتك من قبل !

فأقبل بوليت على الدجاجة يزدردها ازدراداً ثم شرب كل ما في الزجاجة حتى روى عطشه وتنوان تنظر اليه وعيناها تتقد من حين إلى حين بما كان يضيء في صدرها من الأمل حتى إذا فرغ قالت له :

– اني نمت أمس نوماً مزعجاً ولا أجد بداً من الرقاد .

– ذاك موكول اليك فافعلي ما تشائين .

فقامت تنوان إلى سريرها فاضجعت عليه وأشعل بوليت غليونه وجلس يدخن عند باب الغرفة .

ولكنه لم يمر به نصف ساعة حتى شعر بدوار فخشي العاقبة ولكنه قال في نفسه : ان الخمر لا يمكن أن تكون مسمومة فانها شربت منها ولم أذق من الطعام غير تلك الدجاجة التي أكلت منها .

ثم قام وذهب الى النافذة ففتحها التماساً للهواء ولكن رجليه كانتا تضطربان فعاد الى الجلوس وهو حائر في أمره .

وكان خنجره مشهراً في يده فسقط الخنجر فجأة وسقط رأسه إلى الوراء وتمكن منه المخدر فأطبق عينيه ونام .

وكانت الخادمة تراقبه فلما رأت ما كان منه جاءت اليه فنادته فلم يجب فهزته فلم يستفق فالتقطت ذلك الخنجر الذي طالما أرعبها وألقته من النافذة وأسرعت الى غرفة زينة سيدتها ففتحت ذلك الدرج وأخرجت منه الزجاجة فجاءت بها إلى غرفة سيدتها .

وكان المخدر قد أثّر بتنوان كما أثّر ببوليت ولكنها لم تلبث أن صبّت الوصيفة بضع نقط من الزجاجة بين شفتيها حتى انتفضت كأنها قد اهتزت بالكهربائية وفتحت عينيها فنظرت في

البدء إلى ما حواليها نظراً تائهاً ثم قالت : لقد تذكرت كل شيء ثم التفتت إلى وصيفتها وقالت لها :

– ماذا جرى ؟

– لقد قضي الأمر . . .

فنظرت الى الساعة المعلقة في الجدار وقالت :

– ان الظهر لم يحن بعد ولا يزال الوقت متسعاً فاذهبي الى السائق ومريه أن يعد المركبة وعودي الي في الحال .

فأشارت الخادمة بيدها الى بوليت وقالت لها :

– ماذا نصنع بهذا الفتى ؟

فنظرت اليه نظرة شفت عن انتقامها وقالت :

– مري البستاني أن يطرحه في البئر .

– ولكنه يغرق فيها !!

فأجابتها بملء السكينة ، هذا ما أرجوه .

ثم انصرفت الوصيفة وعادت تنوان إلى غرفتها وهي تقول: « ان أورور الجميلة لم تسر بعد في طريق ألمانيا ، وأما هذا الشقي بيبي فسينال حظه من انتقامي قبل المساء » .

٧

الاحدب وبيبي

ولنعد الان الى المحامي د. فانه في الساعة التاسعة قبض الحوالة وعاد الى منزله فدفع كل ما عليه لدائنيه ولم يعد يكترث لتنوان فان جيبه كانت محشوة بالدنانير وهذا كل ما كان يطمع فيه .

وعند الظهر أخذ قبعته وحاول الذهاب الى مجلس الأمة ولكنه قبل أن يخرج من غرفته سمع دق جرس الباب الخارجي وقد كان قد أرسل البواب في بعض الشؤون فخرج وفتح الباب بنفسه فظهرت له تنوان وقد أصفر وجهها من الغضب وتطاير من عينيها بريق النار ...

فذعر المحامي وتراجع الى الوراء فقالت له بصوت يتهدج من الغضب : أرى انك لم تكن تتوقع زيارتي ؟

– هو ذاك ، وكنت عازماً على الذهاب اليك في هذا المساء كما أمرتني بكتابك .

– ان الناس يحسبونك من أهل الشهرة والذكاء لأدركت اني لا أكتب مثل هذا الكتاب إلا والخنجر مشهور علي .

– ويح لهذا الجاني فلا ينجو من انتقامي فاخبريني بماالتفق.
فأخبرته عند ذلك بجميع ما فعله بيبي .
فاستغرب المحامي ما سمع وقال : أية فائدة لهذا الرجل من انقاذ الفتاة وهو من رجال البوليس ؟
– لا أعلم والوقت ضيق عن البحث انما يجب القبض على هذا الرجل قبل أن يبرح باريس بأمر روبسبيير ...
فقاطعها المحامي وقال :
– ان روبسبيير إذا علم بما حدث لا يغفر لي هذه الزلة .
– انه لا يجب فقط أن يعلم بل يجب أن يعلم ذلك منك .
– هذا محال !
– اذن أنت نذل جبان وما أخطأت فراستي فيك .
فاصفر وجه المحامي ولكنه هز رأسه ولم يجب .
أما انطونيا فانها هاجت في البدء هياج اللبوة ثم هدأ ثائرها وعادت اليها سكينتها فابتسمت ابتسامة احتقار وقالت :
– أظن انك لا تزال محتاجاً الى المال أليس كذلك ؟
ثم أخرجت من جيبها محفظة ملؤها الأوراق المالية فعدتها ونظرت اليه وقالت له : خذ وأطع .
فأطرق المحامي برأسه وضحكت تنوان ضحكاً عالياثم قالت :
– قلت لك خذ وأطع ولا تتلبس بلباس الشرف فما خلق هذا الشرف الوهمي لأمثالنا .
فنظر اليها المحامي وقال : – ماذا تريدين أن أصنع ؟
– أريد أن تذهب الى روبسبيير وتسأله أن يعطيك أمراً

بالقاء القبض دون أن تذكر فيه اسم أحد .
– ألا أكلمه عن بيبي ؟
– كما تريد بشرط أن يكتب لك الامر ولكن يجب أن تراه في الحال .
– سأنال ما تريدين بعد ساعة .
– حسناً ، والآن قل لي أين يقيم بيبي ؟
فأرشدها الى منزله وقال لها :
– انه مجاور لدكان الغسالة التي كانت فيه اورور .
فنهضت تنوان عند ذلك تحاول الانصراف فقال لها :
– ألا تريدين انتظاري هنا إلى أن أعود ؟
– كلا فاني أحب أن أعلم إذا كان بيبي قد عاد الى منزله.
ثم خرجت وخرج معها المحامي الى المركبة التي كانت تنتظرها فيها وصيفتها وأمامها صندوق يحتوي على ملابس مختلفة فصعدت الى المركبة وقالت للمحامي :
– عندما تنال الأمر عد إلى منزلك وانتظرني فيه .
ثم أمرت السائق بالمسير إلى السوق الى الشارع المقيم فيه بيبي وأرخت ستائر المركبة فخلعت ملابسها ولبست ملابس الشحادين حتى إذا وصلت إلى ذلك الشارع أوقفت المركبة وقالت لوصيفتها :
– انتظريني حتى أعود .
ثم نزلت من المركبة وهي تتوكأ على عصا وقد تنكرت هيأتها كل التنكر فلم تسر بضع خطوات حتى رأت بيبي وبنوات

يسيران أمامها فجعلت تقتفي أثرهما وكلما وقفا وقفت هي ايضاً تسأل الناس الصدقة وما زالت في أثرهما حتى رأتهما دخلا الى دكان الغسالة فوقفت في مكان ترى منه داخل الدكان .

وكان أول ما رأته الغسالة والبومة ثم رأت الرجلين دخلا ورأت بعدئذ علائم السرور قد ارتسمت على وجـه الغسالة ، فذكرت حين رأت البومة ان بيبي أخبرها مرة حين كان يخدمها بإخلاص ان هذه البومة كانت له خير معين وإنها كانت تتجسس له أخبار الأختين وذكر لها انها فتاة صغيرة ، فقالت في نفسها :

« اني في حاجـة الى جاسوس يراقب بيبي الى المساء وقد ظفرت به فان هذه الفتاة ستكون خير جاسوس » .

ولم يقم بيبي طويلاً في الدكان فانه خرج يتبعه بنوات إلى منزله كي يستعد للسفر .

وبعد هنيهة خرجت الغسالة بعد أن أوصت البومة بما لم تسمعـه تنوان ، فصبرت تنوان حتى رأتهـا توغلت في الشارع فدنت من الدكان وطلبت صدقة من البومة .

ولم تكن البومة من أهل الاحسان غير انها تأثرت من لهجة تنوان ودخلت إلى الدكان فأتتها بقطعة خبز .

فدخلت تنوان عند ذلك إلى الدكان وجعلت تنظر إلى تلك الفتاة الصغيرة نظرات كهربتها وجعلت ترتجف فأيقنت تنوان انها ستبلغ منها ما تريد وقالت لها :

— ألم تعرفيني أيتها الفتاة ؟

— كلا ...

– ولكني أنا عرفتك فأنت التي كنت تتمنين إعدام أورور وحنة ...

فاتقدت عينا البومة وهاجت في قلبها عوامل الحقد فقالت:

– أتعرفين الأختين ؟

– نعم ، وأكرههما كل الكره وقد أقسمت على أن أعدمهما.

– وا أسفاه ، لقد فات الأوان .

– كلا يا ابنتي فاذا فعلت كل ما أقوله لا يفوت الأوان وأبلغ منهما ما أريد ...

– أتقطعون رأسيهما ؟

– دون شك ، فقولي الآن من هذان الرجلان اللذان كانا في الدكان ؟

– ان أحدهما يدعى بيبي وهو رجل منافق خدعني وهزأ بي ويسرني اعدامه كما يسرني اعدامهما .

– وسيعدم أيضاً فاطمأني واخبريني ماذا كان يقول للغسالة؟

– أخبرها ان أورور خرجت من السجن وانها مع أختها في منزل على ضفة السين وانهم مسافرون جميعاً في هذا المساء .

– أيسافر الأحدب أيضاً ؟

– نعم .

– اذن ستعود البنتان الى هنا .

– كلا ، فان الغسالة ستذهب اليهما لوداعهما وقد اتفقت مع الأحدب وبيبي على الذهاب معاً .

– إلى أين ؟

– لا أعلم ..

– هذا الذي يجب أن تعلميه بل أرى انه خير لنا لو تخبأت أنا في الدكان بحيث أسمع كل شيء ولا يراني أحد .

فوقفت البومة موقف المتردد وذكرت ان زوج الغسالة طردها فباتت ليلتها على بلاط الشارع غير ان حقدها تغلب فأشارت بيدها إلى المرتفع الذي تنام عليه وقالت لها : إذا صعدت إلى هذا المرتفع ترين وتسمعين كل شيء ولا يراك أحد .

– متى تعود الغسالة ؟

– بعد نصف ساعة .

– وإذا خرج بيبي من منزله أترينه ؟

– دون شك .

– انتبهي جيداً . ثم أعطتها قطعة من الذهب وقالت لها :

– ابقي عند الباب وسأعود اليك قريباً .

وكانت تنوان بحاجة إلى التفكير فقد علمت أن بيبي مسافر في المساء ولكنها لم تعلم موعد الاجتماع ولم يكن لديها قوة للقبض عليه ولذلك ذهبت الى حيث كانت تنتظرها المركبة فكتبت رسالة إلى المحامي ترجوه فيها أن يحضر بستة من رجال البوليس الى مكان عينته قرب الدكان متى استولى على الأمر من روبسبيير وأمرت وصيفتها إلى أن تذهب بهذه الرسالة إلى منزل المحامي وأن تنتظره حتى يعود .

فسارت الوصيفة بالمركبة وعادت تنوان إلى الدكان فقالت لها البومة :

– انهما لم يخرجا بعد .

– اذن ، راقبي الباب وأنا صاعدة إلى المرتفع ولكني إذا أردت الخروج من الدكان بعد عودة الغسالة فكيف أخرج ؟

– من نافذة مفتوحة في المرتفع تشرف على سلم يشرف على الطريق العام ، فصعدت تنوان واضجعت على فراش البومة .

وبعد هنيهة عادت الغسالة بملابس للغسل فأمرت البومة أن توقد النار في الفرن وبدأت بالعمل .

ولم يطل الوقت بعد ذلك حتى عاد بيبي والأحدب إلى الدكان فسأل بيبي الغسالة عن البومة فأجابته انها توقد النار ، فقال لها :

– إذن ألا تزالين مصممة على توديع الأختين ؟

– هوذاك فاني أحبهما حباً أكيداً .

– اذن ، يجب أن نذهب معاً بل يذهب كل منا على حدته حذراً من المراقبة ونجتمع في محطة إيطاليا في الساعة الثامنة من المساء .

– أتكون الأختان هناك ؟

– دون شك .

وكانت تنوان قد سمعت هذا الحديث وعلمت ان الاجتماع في محطة إيطاليا وهذا كل ما كانت تود أن تعلمه فخرجت من النافذة إلى السلم وانسلت منه إلى الشارع وهي تقول في نفسها : « لقد ظفرت بهم ولا يفلتون من قبضتي هذه المرة » .

٧
الغسالة

في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم كان بيبي يسير قرب محطة ايطاليا وكانت الامطار تتساقط والشارع مقفر وهو ينظر الى ورائه من حين إلى حين عساه يرى الاحدب أو الغسالة .

وفيما هو على ذلك جاءه رجل وسأله كم الساعة .

فارتعش بيبي لصوته إذ عرف أنه عضو جمعية القناع الأحمر الذي لقيه في الصباح فتعارفا وسأله بيبي إذا كانت أتت المركبة فقال له :

– كلا لم يحضر بعد .

– وأنا أيضاً أنتظر الأحدب رفيقي في السفر وتلك الغسالة التي كانت عندها الاختان فأنها تريد أن تودعهما .

– ولكنها لا تودع غير واحدة منهما ولا تجزع فان جمعيتنا متى تولت انقاذ من يلجأ اليها تنقذه دون شك ولكننا أردنا الاحتياط فان سفرنا جميعاً قد يستلفت الأنظار وقد عرفت اننا نستخدم كوكليس صاحب الخمارة وهو الذي جاء بكتاب حنة

إلى زوج الغسالة وهو لديه جواز منظم يذهب ويجيء به كل يوم فألبسنا لوسيان وحنة ملابس الفلاحين وخرج بهما كوكليس في مركبتة منذ ساعة .

— وأورور ؟

— انها في مركبة واقفة عن قريب .

— وأين نجد حنة والكونت ؟

— في شوازي على بعد ساعة من هنا .

وبينما هما سائران الهويناء يتحدثان سمعا وقع أقدام قريبة منهما فالتفت بيبي فرأى الأحدب والغسالة وقد اجتمعا وأدركا بيبي فقال لهم الرجل المقنع : اني سأوصلكم الى المركبة وبعد ذلك لا تحتاجون إلي في شيء .

وبعد حين وصلوا جميعهم إلى حيث كانت المركبة فصاحت أورور صيحة فرح حين رأت الأحدب والغسالة .

أما بيبي فانه دنا منها وقال لها :

— لقد بذلت يا سيدتي كل جهد في سبيل انقاذك .

— لقد عرفت ذلك أما أنت بيبي مفتش البوليس السري ؟

— نعم .

فمدت اليه يدها وصافحته شاكرة .

أما الغسالة فانها عانقتها وهي تبكي وتقول :

— كنت أود لو رأيت حبيبتي حنة .

فقالت لها أورور بصوت يضطرب :

— ان هذا الاضطهاد لا يطول ومتى تبدلت هذه الحال

ورجعنا الى فرنسا فنلتقي اننا نعتبرك أماً لنا ونحبك حب الأمهات.

وعند ذلك قطع عليهما الرجل المقنع هذا الوداع وقال :

– لقد حان الاوان فقد بلغت الساعة الثامنة .

ثم التفت إلى بيبي وقال له :

– لا يوجد في شوازي غير شارع واحد ولا يوجد في هذا الشارع غير خمارة واحدة وهي خمارة كوكليس وهناك تجد لوسيان وحنة فاستودعكم الله .

وعند ذلك صعد بيبي والاحدب إلى المركبة بجانب أورور فسارت بهم إلى المحطة وهناك أبقاهما بيبي في المركبة ونزل منها كي يرى جوازه فقال له العامل :

– انكم لا تستطيعون السفر .

فقطب بيبي حاجبيه وقال : لماذا ؟

– لانـه ورد لنـا أمر من مجلس الامـة أن لا نؤذن لاحد بالمرور هذه الليلة .

فاستاء بيبي وقال له :

– سوف ترى إذا كان هذا الامر يشملني .

ثم دخل إلى مركز المحطة فرأى فيه ستة جنود فقال لهم :

– أين رئيس المحطة ؟

فابتدره ضابط وقال :

– أنا هو فماذا تريد ؟

– أريد الخروج من باريس ولدي جواز .

– محال .

– اذن فانظر هذا الامر واطلعه على الامر المكتوب بخط روبسبيير فقرأه الضابط وقال :

– ان هذا الامر لا يفيد أيضاً .

فرجع بيبي متذعراً ، وعند ذلك دخل رجلان فعرف أحدهما وهو الذي كان يعمل في البوليس السري تحت أمرته وقد تنكر باسم داغوبير حين قبض على أورور بالفندق .

فانتعشت روحه حين رآه وقال له :

– تعال واخبر هؤلاء البله ان الامر الذي بأيديهم لا يشملني.

– واأسفاه أيها الرئيس اني أنا الذي أوصل اليهم هذا الامر فاني مأمور بالقبض عليك وعلى من معك .

فدهش بيبي وقال :

– أنت مأمور بالقبض علي ومن الذي أمرك ؟

– أعطاني الامر المحامي د. وهو موقع عليه من روبسبيير وتاريخه الظهر، وعلة هذه النكبة أنطونيا فقد جعلتك في أحرج المواقف .

فجمد الدم في عروق بيبى ونظر إلى الخارج فرأى الجنود حاطوا بالمركبة من كل صوب .

وقد حاول بنوات الدفاع عن نفسه ولكن تغلبوا عليه وقيدوه ، وأما أورور فانها ذعرت في البدء ذعراً شديداً ثم استسلمت إلى القضاء وقالت في نفسها :

« لقد كتب لي في اللوح المقدور أن أموت بيد الجلاد ولا حيلة في قضاء الله » .

وبعد ذلك بساعتين كانت أورور وبنوات مسجونين في سجن موقت وكان هذا البوليس السري واسمه نيبيل قد صدر اليه الأمر بالقبض على بيبي ومن معه وابقائها في المحطة إلى أن ترد اليه أوامر جديدة غير انه حين رأى أورور وهو الذي قبض عليها منذ أسبوع بأمر من بيبي أيقن ان انطونيا إذا كانت قد دفعت له مبلغاً عظيماً للقبض على الفتاة فان أورور دفعت له مبلغاً أعظم لانقاذها فاستفاد فائدتين ثم قال في نفسه :

« انهم إذا كانوا أمروني بالقبض على بيبي ومن معه فانما هم يريدون أورور لا بيبي » .

وأما بيبي فقد لبث ساهياً مفكراً وقد أيقن ان روبسبيير سينتقم منه شر انتقام وكان الجنود قد دخلوا بأورور والأحدب وجعلوا يشتمونها أقبح شتم تشفياً من النبلاء .

فأشفق نيبيل عليها كما أشفق على رئيسه بيبي وقال للجنود اني مأمور بملازمتكم إلى أن تردني أوامر جديدة فاذهبوا إلى مراكزكم ودعوني معهم .

فانصرف الجنود وقدم نيبيل كرسياً لأورور وضمها لها قرب الموقد وجلس الأحدب على الأرض بالقرب منها فلم يمر بهما ساعة حتى تغلب عليهما النعاس فناما وبقي بيبي ساهراً فان خوفه من روبسبيير أطار النوم من عينيه .

وكذلك نيبيل فانه لم ينم أيضاً فلما رأى ان الأحدب وأورور ناما دنا من بيبي وقال له همساً :

— لا تجزع أيها الصديق فاني أستطيع انقاذك .

– أتستطيع انقاذنا ؟
– انقاذك وحدك .
فاتقدت عينا بيبي وقال :
– ولكن كيف ؟
– ان الأمر سهل فاني أفتح لك الباب وأطلق سراحك .
– ولكن ألا تعلم أيها التعس ان ذلك يعود عليك بشر العواقب ؟
– كلا ، ألست أنا الذي قبضت على أورور أول مرة بأمرك ؟
– هو ذاك .
– وقد قبضت عليها مرة ثانية وأنت معها ولكني افترضت ان وجودك معها لم يكن غير خدعة منك .
– كيف ذلك ؟
– ان أنطونيا تسألني غداً ماذاصنعت ببيبي فأقول لها انك ذهبت بملء السكينة بعد أن قبضنا على الفتاة فاذا اعترضتني في ذلك أقول انني لم يخطر لي في بال ان بيبي يحاول انقاذهذهالنبيلة وهو الذي أمرني أن أقبض عليها في المرة الأولى وانما حسبت انه خدعها هذه الخدعة كي يتمكن من القبض عليها .
فاتقدت عينا بيبي بأمل النجاة وقال :
– ان الفكر حسن صالح .
– هو ذاك ولكنهم سيأمرونني غداً باصلاح خطئي ، فاذا قبضت عليك لا بد من تسليمك ولذلك فقد وجب عليك الفرار .
– أين المفر وجميع الأبواب مقفلة في وجهي ؟

– كلا فانهم لم يقفلوا غير محطة ايطاليا اذ علموا انك مسافر منها فأسرع إلى السفر من محطة ألمانيا لاسيما وان جوازك مذكور فيه انك مسافر إلى ألمانيا فأسرع بالهرب .

فنظر بيبي إلى أورور وهي تائهة نظرة القانط وقال :

– أليس من العار أن أدع هذه الفتاة وأهرب ؟

– انهـا مقتولة لا محالة وبقاؤك معهـا لا يفيد فخير لك ان تذهب ثم فتح الباب ودفعه ورافقه إلى خارج المحطة .

فانصرف بيبي قانطاً من الحياة فانه فشل في أول عمل أراده من أعمال الخير في حين انه لم يفشل في عمل من أعمال الشر .

وسار وهو لا يعول على شيء ولا يعلم أين يسير إلى أن عرض له فجأة اسم داغوبير فخطر له أن يذهب اليه كي يعلم ما حدث له فقد بقي له فيه شيء من الرجاء ثم انه كان يطمع أن يرى رجل جمعية القناع الأحمر فقد رأى من هذه الجمعية مـا أدهشه وقال في نفسه :

« انهم إذا علموا بما أصاب أورور فلا بد أن ينقذوها وان الوقت لا يزال فسيحاً فانهم لا يعدمون هذه المنكودة قبل ثلاثة أيام ... »

وسافر حتى وصل إلى الفندق المقيم فيه داغوبير فوجده لا يزال فيه على حاله من الجنون والطبيب لا يزال عنده .

فخلا بيبي بالطبيب وأخبره بوقف داغوبير وكيف انـه أصيب بالجنون وهو على أهبة الذهاب إلى مجلس الأمة لطلب العفو عن خطيبته المحكوم عليها بالاعدام ثم قال له :

– انهم يعدمونها بعد ثلاثة أيام فهل تستطيع أن تشفيه قبل هذه المدة ؟

فظهرت على وجه الطبيب علائم الأسف الأكيد وقال :

– كلا ، واأسفاه .

ثم سكت هنيهة فقال :

– يوجد طبيب أبرع مني في معرفة السموم وأضدادها وأنا من تلاميذه .

– من هو هذا الطبيب ؟

– هو ألماني يدعى الدكتور كفنر ولكني لا أعلم أين أجده فانه تارة يقيم في فرنسا وتارة في ألمانيا .

– وإذا وجدناه ، أتحسب انه يشفيه قبل ثلاثة أيام ؟

– انه يشفيه للفور أو يقتله وذلك انه يعالج مثل هذه الامراض بالصدمة الكهربائية على طريقة خاصة به .

– إذا كنت تعرف هذه الطريقة يا سيدي الطبيب فجربها به فانه إذا شفي بعد أسبوع وعلم بقتل خطيبته قتل نفسه دون شك ...

وفيما هو يقول هذا القول طرق باب الغرفة ففتح بيبي الباب ثم تراجع منذعراً ذلك انه رأى بوليت داخلاً ورأسه معصب بعصابة مصبوغة بالدم .

٩
بوليت في البئر

ولنذكر الآن كيف وصل بوليت الى فندقداغوبير فقد علم القراء ان تنوان أمرت البستاني أن يلقيه في بئر خارج الحديقة ثم ذهبت إلى باريس مع وصيفتها بعد أن تأكدت من سقوطه في البئر .

أما البستاني فانه جره من رجليه حتى وصل به إلى حافة البئر ورماه ثم هرب مذعوراً وقد تمثلت له هذه الجناية بأقبح الصوَر .

وأما بوليت فانه سقط على رأسه في مياه البئر فأصاب رأسه أرضها وجرح في موضعين منه .

وكأنما قوة الصدمة وبرودة المياه قد أبطلتا فعل المخدر ففتح عينيه وهو ينتفض من البرد ويحسب نفسه انه في حلم فوقف فبلغ الماء إلى عنقه وكان الدم يسيل على وجهه فيغطي عينيه ، وبعد دقيقة ثاب إلى رشده وذكر كل ما مر به وذلك الدوار الذي أصابه بعد أن شرب من خمر تنوان فأيقن انهم خدروه ورموه في هذا البئر .

وعند ذلك سمع وقع أقدام عند فم البئر فقال في نفسه :

« انهم ينظرون دون شك في ما جرى لي بعد أن رموني فغطس تحت المياه كي لا يروه » .

وكان الذي عاد إلى البئر البستاني وتنوان :

— أواثق أنت من كثرة المياه في البئر ؟

— دون شك .

ثم أطل ناظر إلى المياه وقال :

— ولكني لا أرى جثة عائمة على وجه المياه والعهد بالغرقى ان جثثهم تطفو فوق المياه .

— هو ذاك ، ولكنها لا تطفو إلا بعد انتفاخها ويظهر انها لم تنتفخ بعد .

ثم ابتعدا فذهبت تنوان مع وصيفتها إلى باريس وعاد البستاني إلى عمله في الحديقة كأنه لم يرتكب وزرا .

أما بوليت فانه رفع رأسه فتنفس ثم عاد إلى الغطس وفعل ذلك عدة مرات حتى وثق انه لا يوجد أحد عند فم البئر فجعل يغسل جراحه ويفحص هذه البئر باحثاً عن طريقة للنجاة حتى وجد جدرانها شبه منافذ جعلت خصيصاً للنزول إلى البئر والصعود منها فوثق من النجاة وصبر ساعة ثم تسلق الجدران وقد استنزفت قواه لما سال من دمائه حتى وصل إلى فم البئر فأطل برأسه ونظر نظرة اللص إلى جميع الجهات فلم يجد أحداً فوثب إلى الارض وجعل يعدو راكضاً إلى جهة باريس حتى ابتعد بعداً شاسعاً عن ذلك المنزل الجهنمي واطمأنت نفسه وعند

ذلك تلاشت قواه وسقط على الارض مغمياً عليه لا حراك به .

ولم يعلم كم بقي اغماؤه غير انه حين استفاق وفتح عينيه رأى نوراً ينبعث من مصباح مركبة قريبة منه ووجود نفسه بين رجلين يهتمان بـه وهما يتكلمان بنفس اللغـة التي سمـع تنوال وخادمتها تتكلمان بها .

فتنهد بوليت وقال : أين أنا ؟

فقال له أحد الرجلين :

– لا تخف يا بني فاني طبيب أعالجك وقد كدت أسحقك بمركبتي ، فهل تشعر بألم شديد ؟

– كلا .

– إلى أين ذاهب ؟

– إلى باريس .

– كيف جرحت ؟

– سقطت في حفرة على الطريق .

فلم يزد الطبيب في سؤاله وقال له :

– اذن اصعد إلى مركبتي فاني ذاهب إلى باريس .

وبعد ساعة وصلت المركبة الى المحطة فسألوا الطبيب عن اسمه فأراهم جوازاً مكتوباً فيه انه رئيس أطباء الرين فأذنوا له بالدخول ، ودخلت المركبة بالطبيب وخادمه وبوليت حتى إذا اجتازت شارع المحطة قال الطبيب لبوليت :

– ألك منزل تأوي اليه في باريس ؟

– نعم .

فأعطاه قطعة نقود ذهبية وقال له :

– تعال إلي غداً لأضمد جراحك فانك محتاج الى معالجة ثلاثة أيام وهذه رقعة زيارتي فانك تعرف منها اسمي وأين أقيم .

فنزل بوليت من المركبة بعد أن شكر الطبيب شكراً عظيما وانصرف فكان أول ما خطر له أورور وبيبي فذهب إلى منزل بيبي وهو يرجو ان يجده فيه فما وجده فذهب إلى دكان الغسالة فما لقي غير البومة ولم يعلم منها سوى ان بيبي ذهب مع الاحدب الى حيث لا تعلم فقال في نفسه : انه قد يكون ذهب لعيادة داغوبير فذهب اليه ورآه مع الطبيب كما تقدم .

فبعد أن ذهل بيبي لقدومه سأله عما جرى له فأخبره عن حادثته بالتفصيل من حيث لعبت برأسه الخمرة في منزل تنوان إلى حين استفاقته في البئر ونجاته .

ثم قص عليه ما اتفق له مع الطبيب الالماني .

فنظر بيبي إلى الطبيب وقال له :

– ألا يمكن ان يكون الطبيب الالماني استاذك ؟

– سوف نرى .

ثم سأل بوليت أن يصفه له فوصفه فقال له : ما اسمه ؟

– لا أعلم ولكنه أعطاني رقعة زيارته كي أعود اليه فيضمد جراحي .

فأخذ الطبيب الرقعة منه فقرأها وقال :

انه هو بعينه فقد أرسلته الي الاقدار وقد نجا داغوبير .

فقال بيبي وأورور أيضاً .

فنظر بوليت الى الاثنين وهو لا يعلم شيئاً من سر مـــا ظهر على وجهيهما من علائم السرور .

ان الفرج يأتي حين التناهي في الشدة فان بيبي كان يعتقد منذ ساعتين انه قضى على أورور القضاء المبرم فبات يعتقد الآن ان الفوز بنجاتها مضمون فان الطبيب الألماني سيشفي داغوبير للفور كما قال تلميذه وإذا شفى ذهب إلى مجلس الأمة والتمس العفو عن خطيبته جزاء انتصاراته الباهرة فلا يخيب المجلس ملتمسه .

وعند ذلك عزم بيبي على ان يذهب لدعوة الطبيب الالماني فاعترضه الطبيب وقال له :

– لا فائدة من ذهابك فانه لا يحضر إذ لا يعود مريضاً في الليل ولا بد من الصبر إلى الصباح فأحضر به أنا .

فاغتنم بيبي لهذا التأجيل وقال :

– ولكننا إذا ذهبنا اليه وأخبرناه بما يدعونا إلى الاسراع فلا أخاله يمتنع .

– اني أعرفه حق العرفان فهو على كرم أخلاقه وحسن مروءته شاذ الطباع ولا أبغض اليه من الخروج من منزله في الليل .

وفيما هما يتحدثان وقد تجهم وجه بيبي سمعوا صوت مركبة وقفت على باب الفندق .

وبعد هنيهة سمعوا قرعاً على باب غرفة داغوبير فقال الطبيب لبيبي : من القادم ألعلك واعدت أحداً على الالتقاء ؟

– كلا . ثم توالى قرع الباب ففتحه بيبي ودخل منه رجل .

فصاح الطبيب وبوليت صيحة واحدة فان القادم كان نفس الطبيب الألماني وهو مرتد ملابس الاطباء العسكريين .

فعرف تلميذه وحياه ثم سأله عن العليل فدله على داغوبير .

ـ ماذا أصابه ؟

ـ جنون فجائي .

ـ أعلمت السبب في جنونه ؟

وكان الطبيب قد حفظ ذلك الماء الذي شرب منه داغوبير فعرضه على استاذه ونظر فيه وفحصه باعتناء تام ثم غمس فيه باصبعه وذاقه وبعد هنيهة ابتسم وقال : ان الأمر ليس بخطير .

ـ دون شك .

ـ أيكون شفائه بسرعة ؟

ـ على الفور .

ثم كلم تلميذ باللغة الالمانية فنزل الى المركبة وعاد بصندوق صغير يحتوي على أدوات وعقاقير .

وكان قد رأى بوليت فقال له : ـ ما شأنك هنا ؟

فأجابه بوليت : انك يا سيدي لو لم تحضر لكنت ذهبت اليك .

ـ لماذا ؟

ـ لتشفي هذا القائد الكريم فاني مدين له بالحياة .

ـ أما بيبي فانه كان يقول في نفسه : ان ليس كل ذلك طبيعياً معقولاً فاننا كنا عازمين على أن نذهب حتى إلى المانيا لاستدعاء هذا الطبيب ثم هو يحضر من نفسه كأنه سقط الينا من الغيوم .

أما الطبيب فانه فتح الصندوق ونظر إلى بيبي فقال له :

– أرى انك مهتم بأمر هذا القائد فهل هو من أقربائك ؟
– كلا ، ولكنه شبه قريب .
– انما سألتك هذا السؤال لأن واجباتي تدعوني إلى أخبارك ان العلاج الذي سأعالجه به لا يخلو من الخطر إلا إذا أردنا شفاؤه في زمن طويل ولكني أراك واقفاً على سر هذا القائد فلا أجد بداً من اخبارك بالحقيقة وهي أني حين عودتي الآن من ألمانيا وجدت عندي رجلين فأعطياني مالاً وفيراً وقالا لي : اذهب الى فندق سانت أونوريه وسل عن القائد داغوبير فانه أصيب بجنون فجائي وقال طبيبه أنه يشفيه بثمانية أيام غير انه يجب أن يشفى بيوم .

فقلت لهما : ان طريقة الشفاء العاجل محفوفة بالخطر .

– لا بأس فانه إذا طال شفاؤه ثمانية أيام مات بعد شفائه منتحراً دون شك ثم تركاني وانصرفا .

فقال له بيبي : وأنا أقول لك يا سيدي نفس ما قالاه .

– اذن أجرب عليه الطريقة المستعجلة .

– ذلك لا بد منه .

فالتفت عند ذلك الى تلميذه وكلمه بالألمانية فأعطاه من الصندوق زجاجة تحتوي على سائل يشبه لونه لون السائل الذي شرب منه داغوبير فلم تكد تستقر في جوفه حتى صاح صيحة هائلة وصعق فسقط على سريره لا يعي وقد اصفر وجهه فبات كالأموات .

وقد خاف بيبي وبوليت خوفاً عظيماً ونظر كل من الطبيبين

إلى الآخر دون أن يجيب فان حياة داغوبير كانت بين أيديهما وقد أصبح جثة هامدة فلم يعلم بيبي إذا كان ذلك موتاً حقيقياً أم هو تخدير عارض .

أما الطبيب وضع اذنه فوق صدر داغوبير ثم قال :

— ان القلب لا ينبض أبداً .

فقال له بيبي بلهجة القنوط :

— ألعله مات ؟

— كلا ، وربما يكون قد مات ولكنني لا أستطيع معرفة الحقيقة قبل ساعة .

ثم أخذ كرسياً وجلس قرب سرير داغوبير بسكينة الأطباء الذين يشاهدون حوادث الموت في كل يوم .

حتى إذا مضت الساعة وقد جمد الدم في عروق بوليت وبيبي من الخوف على داغوبير أخذ الطبيب مبضعاً وفصد به داغوبير فسال منه دم بلون الورد وأشرق وجه الطبيب بنور البشر فوضع أذنة فوق صدر داغوبير وأصغى هنيهة ثم قال :

— ان القلب عاد إلى النبض .

فقال له بيبي : أنجا ؟

— لقد شفي دون شك وزال الخطر .

وقد أصاب الطبيب فان داغوبير فتح عينيه فجأة وقال :

— أين أنا ؟

ثم أجال في الحاضرين نظراً مضطرباً حتى استقر نظره على بيبي فعرفه وقال له :

— أهذا أنت ؟

فدنا منه بيبي وقال له بلهجة شفت عن سروره :

— نعم أنا هو يا سيدي القائد .

فنظر اليه نظرة قلق شديد وقال : أورور ...

— انها في قيد الحياة فلا تجزع .

— أهي مطلقة السراح ؟

— سيطلقون سراحها غداً إذ يعفون عنها من أجلك .

فسقط داغوبير على سريره بعد استيائه وقال :

— رباه ومن يعلم ما يجيء به الغد .

فقال الطبيب عند ذلك :

— انه في حاجة الى الرقاد فاخرجوا جميعكم وسأبقى عنده وحدي ...

فأخذ بيبي بوليت وقال له :

— هلم بنا وسنعود بعد غد .

ولما صارا خارج الفندق قال له بوليت :

— لقد كانت في هذا الصباح مطلقة السراح فماذا حدث بعد ذلك ؟

— حدث انهم قبضوا عليها وان هذه النورية أشد منا دهاء.

وفيما هما سائران يتحدثان دنا رجل من بيبي ولمس كتفيه ..

فالتفت بيبي اليه وعرف انه عضو جمعية القناع الأحمر وقال له:

— هذا أنت ؟!

— نعم ، وقد علمت انه قبض عليك وعلى أورور .

– كيف عرفت ذلك ؟

– ان الجمعية عهدت الي ان لا أبرح المحطة حتى أراكم خرجتم منها فبقيت فيها وعلمت انهم قبضوا عليكم جميعاً .

– ولكن أعلمت كيف نجوت ؟

– نعم .

– أعلمت أيضاً ماذا فعلت ؟

فابتسم الرجل وقال :

– لقد كتب عليك أيها الصديق أن تجيء وانما بعد فوات الاوان ...

– كيف ذلك ؟

– ذلك اننا نحن الذين أرسلنا الطبيب الالماني إلى داغوبير ونحن الذين سننقذ أورور .

– ولكنكم تنقذونها لان داغوبير سينال العفو عنها .

– ذلك إذا أجابوه الى ملتمسه أما وإذا رفضوا فلا بد لنا من انقاذها بالرغم من رفضهم فان المقصلة لم تقو علينا الى الآن وكل من دفع فدية نجا .

فقال له بيبي : إذا كان ذلك فأية حاجة لكم بداغوبير ؟

– لأننا ننال به مأربنا من أهون سبيل فاذا لم ينجح بحثنا عن طريقة أخرى .

– أيعلم وزير الحربية ان داغوبير مجنون ؟

– نعم .

– أتظنه يثق برجوع الصواب اليه فجأة ؟

– لدينا اصدقاء عنده واتخذنا كل الوسائل اللازمة للغد وإذا كنت من العاقلين تعمل بنصيحتي .

– ما هي ؟

– ألم يقل لك نيبيل ان لديك الليل بطوله للخروج من باريس؟

– كيف عرفت ذلك ؟

– اننا نعرف كل شيء فاغتنم الفرصة واخرج من باريس اني لك من الناصحين .

– كلا لم يحن بعد الوقت .

– كيف ذلك أتبقى فيها معرضاً لنقمة روبسبيير ؟

– نعم ، وسأبقى إلى ان تنجو أورور وتخرج من باريس .

– ألا تخشى أن يقبضوا عليك في خلال انتظارك .

فضرب بيبي على جيبه وقال :

– لدي من المال ما يكفي لفدية نفسي عندكم ولكني لا التجيء اليكم إذا لم أعرف أن أجد مخرجاً مما انا فيه وما قضيت عشرين عاماً في خدمة البوليس عبثاً .

– ولكن ماذا تريد أن تصنع في باريس ؟

– اني أريد أن أنتقم من انطونيا على اني اشكرك لنصحك ولا انسى جميلك علي .

– والآن إلى اين ذاهب ؟

– إلى مكان يجيئني فيه بوليت كل ساعة بأخبار داغوبير ثم ودعه وانصرف مع بوليت .

١٠
سجن الدير

اما أورور والاحدب فانهما ناما في السجن الموقت الى الصباح وعند الفجر فتح الباب ودخل منه سجانا سجن الدير احدهما ذاك الذي نقم على أورور حين فرارها لخوفه على منصبه وثانيهما ذاك الذي ساعدها على النجاة ، وقد رأت من خلال الباب المفتوح تلك السيارة الصفراء التي ينقلون بها المسجونون ، فنهضت أورور وهي شامخة الرأس تبتسم ابتسامة الاستخفاف بالموت وقالت :

– لا تخف يا بنوات فليس رأسك الذي يريدون قطعه .

– ليست الحياة بطيبة بعدك يا سيدتي وما عزائي إلا بالموت معك ..

وعند ذلك دنا منها السجان وقال متهكماً :

– لقد وقع الطير في الشرك ايتها النبيلة الحسناء فقد كدت افقد منصبي بسبب فرارك ولكن ثقي انك لا تفلتين بعد الآن ولا يشفع بك هذا الجمال الفتان .

فقالت له بلهجة العظمة : اني لم اعرف روبسبيير ولم اره في

حياتي ولكني واثقة انه لم يأذن لك باهانتي ايها الوقح .

فهاج السجان وشتمها اقبح شتم ثم أمر الجنود أن يحملوها إلى المركبة ولكنها نظرت إلى الجنود نظرة اثنتهم عن الدنو منها وذهبت بنفسها إلى المركبة فصعدت اليها وتبعها بنوات وبعد ساعة وصلوا بها إلى سجن الدير فسجنوها في غرفة رطبة مظلمة وجاءها السجان الفظ بقطعة من الخبز اليابس وقدح من الماء وقال لها: هذا طعامك وشرابك إلى ان لا تعودي في حاجة إلى طعام .

أما بنوات فانهم أطلقوا سراحه كما فعلوا في المرة الأولى فوقف المنكود عند باب السجن وقد عول على أن يموت جوعاً .

ومضى النهار على اورور وهي في اسوأ حال حتى إذا أقبل الليل جاءها السجان الآخر الذي ساعد على انقاذها يحمل سلة فيها طعام شهي وخمر وفاكهة فقال لها :

-- لقد امروني ان لا أحضر لك غير الخبز ولكني لا أجد رقيباً عليّ الآن فحملت اليك نصف عشائي .

فاثنت عليه أورور ثم قالت له : أرجوك ايها الصديق ان تدير وجهك هنيهة .

فامتثل السجان وهو لا يعلم ما تريد .

فرفعت اورور ثوبها وأخرجت من وسطها حزاماً كانت ممنطقة به وفيه مائة دينار فنادت السجان وقالت له : خذ هذا المال فاذا كان لك بنت فاجعله مهراً لها .

فأبى السجان اخذه وقال لها: إنك قد تحتاجين اليه ياسيدتي

فابتسمت اورور ابتسام قنوط وقالت : إن من كان ذاهباً الى الموت لا يحتاج إلى مال فخذ ايها الصديق إنك رجل طاهر القلب ولا اريد ان يرثني الجلاد .

فقال لها السجان: ولكن من انبأك يا سيدتي انك ستموتين.

فارتعشت اورور وتذكرت ان هذا الرجل كان قد ساعد في انقاذها وسرى الرجاء إلى قلبها فان من كان في عمرها لا يحب الموت ثم قالت له : ماذا تعني بما تقول ؟

– ان الموت قد يكون غالباً أبعد مما تظنين .

– ولكني هذه المرة لا أستطيع النجاة من السجن .

– كلا واأسفاه .

ثم قال لها همساً كأنه يخشى أن يخترق صوته الجدران :

– إن جمعية القناع الأحمر انقذتك بالأمس وهي ستنقذك اليوم.

– ولكن كيف .

– لا اعلم ولكني واثق كل الثقة انهم ينقذونك فما حنثوا بوعدهم مرة إلى الآن .

ثم تركها وانصرف فنامت اورور تلك الليلة وهي تحلم احلاماً مختلفة يمثلها اختلاط اليأس بالرجاء .

وفي صباح اليوم التالي جاءها هذا السجان وهو مقطب الجبين فقال لها : يظهر يا سيدتي ان لك اعداء اشداء يريدون التعجيل بقتلك فان الطبيب سيزورك قريباً .

– لقد توقعت ذلك وغداً سيقطعون رأسي .

فاطرق السجان برأسه وقال : إن ثقتي بهذه الجمعية كانت

شديدة .

فأجابته واليأس باد بين عينيها : انها لا تستطيع ان تعينني بشيء ، ثم حاولت ان تعطيه المال فأبى اخذه وقال : من يعلم ما يكون فلا يزال لي رجاء . وقد الحت عليه فاصر على الاباء وقال لها: ضعيه يا سيدتي تحت فراشك فاذا قدر الله ان تخرجي من هنا إلى ساحة الاعدام اخذته .

فامتثلت اورور وخبـأته تحت الفراش ، ثم سألتـه عن الأحدب فأخبرها انهم اطلقوا سراحه وانه لم يبرح باب السجن كل الليل ولم يذق طعام لانه يريد الموت جوعاً .

فتأثرت اورور لحبـه الشريف واخلاصه العجيب فجعلت تبكي بكاء الاطفال .

وبعد ذلك بساعة جاءها طبيب عليه سمات الادب والوقار فحياها باحترام وقال لها : لقد عرفت يا سيدتي السبب في زيارتي دون شك ؟

— نعم فقد اخبرني السجان .

— ان واجباتي يا سيدتي تقضي علي بتنفيذ مـــا امرت به ولكني اكتفي بسؤالك فهل انت حبلى ؟

فغطت اورور وجهها بيديها خجلاً ثم نفر الدمع من عينيهـا وقالت : ان هـذا الظن اثم يا سيدي وهم يريدون قتلي فليقتلوني فأية فائدة لهم باهانتي ان الموت لا عار فيه يا سيدى وامـا هذه التهمة الشائنة فهي اثم لا يغتفر .

— لقدصدقتك يا سيدتي وسأكتب تقريري بناء على هذا القول

ثم تركها وانصرف فركمت وجعلت تصلي .

وفي المساء جاءها السجان بالطعام وهو يجهم الوجه فقال لها : اری ان رجال هذه الجمعية قد خدعوني .

— انهم فعلوا كل ما استطاعوا فعله فلا لوم عليهم ولا تثريب

وفيما هي تقول ذلك سمع ضجيج في فسحة السجن وقرقعة سلاح الجنود فاضطرب السجان وقال : رباه مـاذا اری هوذا الجنود اقبلوا فهل باتوا ينفذون الاعدام في الليل ؟

وبعد لحظة دخل ذلك السجان الفظ الذي اهان اورور وقال

— اورور دي مازير .

فأجابته قائلة : هوذا انا .

وكان يكلمها عادة بلهجة الساخر المتهكم غير انه كان هذه المرة منقبض السحنة مجهم الوجه تدل هيئته على الحزن والخوف معاً فتلطف مع اورور على غير عادته وقال لها : تفضلي معي .

وكان الجنود مصطفين في ساحة السجن صفين والسجان يمشي بينهم مع اورور جنباً إلى جنب فقال لها : اسألك يا سيدتي ان تسامحيني على ما بدر مني امس من فاسد الاقوال .

فقالت له بغير اكتراث : ان الذين يـذهبون الى الموت لا يحقدون وقد غفرت لك .

ثم واصلت السير معه وكانت كلما سارت تسمع ضجيجاً ولغباً فذكرت ضجيج الشعب حين كانت فوق المقصلة .

فاصفر وجهها ولكن خطر لها خاطر عزاها بعض العزاء وهو ان عذابها لايطول ولاتمضي ساعة حتى تفارق الحياة فمشت عند

ذلك دون خوف حتى وصلت مع السجان إلى الباب وهو مقفل.

فالتفت اليها السجان وقال لها ثانية : أتغفرين لي يا سيدتي؟

– اني أغفر لك وأرجو لك عفو الله فعش سعيداً .

فنظر السجان إلى الحراس وقال لهم : افتحوا الباب .

ففتح الباب ونظرت أورور عند ذلك جمهوراً عظيما من الناس ومئات من المشاعل تضيء ظلام الليل .

فوقفت عند الباب وقد راعها هذا المنظر وجعلت تبحث عن مركبة الاعدام فرأت فجأة ان رجلا قد اخترق جماهير الناس وهجم هجوم الأسود فاحتمل أورور وهي تكاد تسقط لرعبها فصاحت صيحة فرح تلتها أصوات ضجيج الاستحسان من الجماهير .

ذلك ان هذا الرجل كان القائد داغوبير فهتف الناس هتافاً عظيما وجعلوا يصيحون قائلين : ليحيا البطل داغوبير ولتحيا خطيبته .

وقد عرف القراء دون شك ما اتفق فان داغوبير بعد أن شفاه الطبيب الألماني من جنونه ذهب إلى وزير الحربية فذهب به إلى مجلس الأمة وهناك هنأه الرئيس لانتصاره باسم الشعب وقال له :

– بماذا تريد أن نكافئك ؟

– بالعفو عن خطيبتي وهي نبيلة ولكني سأجعلها من خير الوطنيات .

فصاح الشعب المتجمهر في المجلس قائلا : العفو العفو .. ولم يكن أحد يجسر على الاعتراض غير المحامي د. ولكنه لم يفعل

لما رآه من اجماع الناس على طلب العفو وفوق ذلك فقد قبض اجرة نذالته من تنوان ..

* *

وفي هذه الليلة نفسها خرجت مركبة من باريس وسارت في طريق فلاندر تنقل داغوبير وأورور وهي تقول له : لقد آن لي أن أبوح لك اني أحبك منذ عهد بعيد .

ولما وصلت المركبة إلى سانت دنس وقفت فدنا منها رجلان وهما بوليت وبنوات فقال داغوبير مخاطباً أورور : ها هما صديقانا وسنصحبها معنا .

فقال له بوليت: خذا معكما يا سيدي بنوات أما أنا فسأبقى.

فمدت له أورور يدها وقالت له: لماذا تبقى هنا أيها الصديق؟

فارتعد بوليت ولم يجسر أن يلثم تلك اليد ثم قال لها :

– تسأليني لماذا أريد أن أبقى ، اني اوثر البقاء لأن ببي محتاج الي .

– ما حاجته اليك ؟

– ان سيدة نبيلة حسناء لا ينبغي أن تكون فقيرة ويجب على أنطونيا أن ترد لك ثروتك التي اختلستها .

فعجبت أورور وقالت . انطونيا !!

فقال لها داغوبير: هي التي كانت تدعى من قبل تنوان النورية.

أما الأحدب فانه صعد إلى المركبة . وأما بوليت فانـــه انحني بملء الاحترام أمام أورور كأنه يريد التكفير عن سيئاته الماضية ثم سار والدموع تذرف من عينيه .

١١
ملك النور

غير الفرنسيون في عهد ثورتهم كثيراً من مصطلحاتهم القديمة في عهد الملكية حتى انهم تطرقوا الى الايام والشهور فغيروا أسمائها .

ففي اليوم التاسع من شهر ترميدور ، أي الشهر الحادي عشر من سنتهم تبدل الحكم القديم الذي نشأ بعد قتل الملك لويس السادس عشر كما بسطناه في الجزء السابق بعنوان « النبلاء » وحل محله حكومة جديدة يدعونها ديركتوار وهي حكومة يتولى شؤونها خمسة ممن أصابهم الانتخاب باجماع الأمة فعفت آثار الظلم القديم وسكن روع النبلاء الهاربين وارتاحت المقصلة من سفك دمائهم ، فبعد أن كانت باريس تضطرب بجملتها وقد تمكن منها الرعب تنفس قومها الصعداء وجعلوا يبالغون بالزهو وأسباب السرور والتهتك بالملاهي انتقاماً مما أساء به الدهر اليهم في الحكومة السابقة التي كانوا يلقبون زمنها بزمن الرعب وحسب ذلك العهد وصفاً انهم كانوا يعدمون في كل يوم خمسين نبيلاً ونبيلة أو متصلة بالنبلاء .

وكأن الباريسيون أرادوا نسيان ذلك العهد الأليم فتهتكوا وعاد المهاجرون الى العاصمة متنكرين فكانوا يرقصون في مراقص سرية خاصة أطلقوا عليها « مرقص الشهداء » إذ لم تكن تفتح أبوابها الا لكل من فقد أباً او أماً او أخاً او اختاً في مقصلة الثائرين .

على ان الشعب بجملته كان جانحاً إلى السرور كأنه بجملته كان منكوباً بالفظائع السابقة ولذلك لم يكن أحد ينام في الليل.

وكان أشهر المحلات التي يترددون عليها محل يدعى «تريفولي» فكان يجمع كثيراً من الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه حديقة غناء تأوي اليها الأطيار على اختلاف أجناسها .

وكان الناس يلبثون فيها منعكفين على الهرج والمربدة الى الساعة العاشرة فيحل السكون فجأة محل الحركة والسكينة محل اللغط ويصطف اولئك الناس المتجمهرون صفين كالفرقة المنظمة .

و يفعلون ذلك كلما تمر بينهم في تلك الساعة مركبة تشبه مركبات المرافع وهي مركبة زرقاء بلون السماء صفراء الدواليب وعلى بابيها كتابة باللون الأحمر لم يستطع احد في باريس حل رموزها إذ كان يظهر ان حروفاً مستعارة من الحروف الشرقية وكان يجر هذه المركبة أربعة من الجياد الضخمة العظيمة وسائقها يلبس ملابس مختلطة ألوانها بين الأصفر والاحمر والازرق وعلى جانبيه خادمان يلبسان ملابسه حتى إذا وقفت المركبة وثبا إلى الأرض بخفة الغزلان وأسرعا إلى فتح باب المركبة ووقفا بملء الاحترام فتخرج عند ذلك منها امرأة أشد غرابة من خادميها

وحاشيتها وهي بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين إذ يستحيل معرفة عمرها وعلى رأسها قبعة جمعت أفخر ريش الطيور وفي كل أصبع من أصابعها خاتم أو اثنان من أنفس الزمرد والماس والياقوت وفي عنقها عقد من اللؤلؤ يبلغ حجم اللؤلؤة منه حجم بيضة الحمام وبين يديها كلب صغير من كلاب هافانا يشبه لون جلده لون القهوة الممزوجة باللبن .

والحقيقة ان هيئتها وهيأة حاشيتها كانت تدعو الى الهزء ، غير ان الناس لم يكونوا يهزؤن بها ويضحكون عليها بل يحيونها بملء الاحترام ، وعندما تدخل إلى تريفولي يتبعونها مسافات طويلة كأنما هي آية الجمال والعقل .

ففي الليلة التي بدأت فيها روايتنا هذه مرت صاحبة المركبة الزرقاء بمركبتها حسب عادتها كل ليلة منذ أسبوعين وكان هناك رجل قصير القامة كبير البطن متزيياً بزي اهل القرى فدنا من فتى يناهز الخامسة والعشرين من عمره وهو متوكأ على عصا ضخمة طويلة كثيرة العقد كانت سلاح الناس في ذلك العهد فحياه بأدب وقال له :

— اسألك المعذرة يا سيدي وأرجوك ان تأذن لي بمحادثتك.

فقال له الفتى بلطف : ماذا تريد مني أيها الصديق ؟

— اني يا سيدي من أهل الريف .

فضحك الفتى وقال : ارى ذلك من ملابسك .

فلم يستاء القروي لضحكه وقال له : هذه هي المرة الأولى التي جئت فيها إلى باريس ، لذلك أجد كل ما اراه غريباً .

– ذلك لا ريب فيه ولا سيما في هذه الأيام .

– اني أحب ان اعرف من هي هذه السيدة التي مرت في المركبة ، ألعلها مدام تاليان (احد مشاهير اعضاء مجلس الأمة في ذلك العهد كانت امرأته مشهورة بالذكاء) .

فضحك الفتى ايضاً وقال : لقد اخطأت يا سيدي القروي.

– اذن ألعلها امرأه احد حكامنا ام هي اميرة اجنبية .

– لا هذا ولا ذاك ثم نظر اليه محدقاً وقال :

– أحق انك من القرويين ؟

– اني كما قلت لك .

– الا تعرف احداً في باريس ؟

– كلا .

– اذن لا تسوءك عشرة فتىألف ملاهي هذهالعاصمة وعرف اسرارها .

– بل اكون له من الشاكرين .

– تأبط ذراعي ولنخرج من هذا الجمع المحتشد فقد افيدك واقضي حاجتك .

– انت ؟

– نعم انا ثم جذبه وسار به إلى محل منفرد وقال له : اني اسألك المعذرة بدوري وسأخبرك عن حالتي بملء الايجاز فانك حين لقيتني كنت خارجاً من بيت القمار حيث نهبوني فيه ولم يبق في جيبي درهم ولذلك لا استطيع الدخول إلى هذا المكان الذي دخلت اليه السيدة ان اشرب شيئاً إذ لا مال لي .

ـ اذا كان هذا عذرك فالأمر ميسور لأني سأتولى الانفاق عن سعة .

ـ اذن هلم بنا نشرب في البدء .

ـ ثم سار به إلى خمارةوجعلا يشربان حتى إذا روى الفتى ظمأه قال للقروي : كيف خطر لك ان تحسب هذه السيدة صاحبة المركبة ، مدام تاليان التي هي مثال الأدب والجمال .

ـ ذلك اني لا اعرفها ولكني اسمع انها من كبار العقائل فلما رأيت الناس يكرمون صاحبة المركبة الزرقاء هذا الاكرام خطر لي انها قد تكون تلك السيدة .

ـ كلا .

ـ انها نورية .

ـ انك تمزح دون شك .

ـ لست بمازح ولكنها نورية من أصحاب الملايين .

ـ ماذا يدعونها ؟

ـ تنوان .

فأجابه القروي ببساطة : انه اسم غريب .

ـ اتريد ان احكي لك حكايتها ؟

ـ بملء الرضى .

ـ اذن اطلب زجاجة ثانية فلا ينطلق لساني إلا بالشراب.

فامتثل القروي وبعد ان جرع الفتى جرعة من الخمر عاد الى الحديث فقال : إن المرأة نورية كما قلت لك وقد جاءت إلى باريس في زمن الثورة وذلك منذ خمسة اعوام اي في اشد اطوار

الرعب حين كان روبسبيير يقطع في كل يوم خمسين رأساً من رؤوس النبلاء كي يلهي أهل باريس .

– وهل كانت في ذلك العهد غنية كما هي اليوم ؟

– نعم .

– وكيف لم يقطعوا رأسها ا كانت تتظاهر بالفقر ؟

– بالعكس .

– هذا عجيب فقد كنا نسمع في قريتنا ان الخطر على الأغنياء أشد منه على النبلاء .

– هو ذاك غير ان هذه النورية خطر لها خاطر وقاها الخطر

– ما هو ؟

– انها اشترت غرام المحامي د. اعظم رجال مجلس الأمة نفوذاً وصديق روبسبيير الحميم وكان هذا المحامي كثير الحاجة الى المال فكانت تقضي حاجاته وهذا الذي صانها وأبقى رأسها بين كتفيها .

– ولكن في اليوم التاسع من ترميدور قد أتى ؟(اليوم الذي تغير فيه الحكم السابق وسقط نفوذ أصحابه) .

– هو ذاك ولكن المحامي د. قد غير آرائه فتخلى عن روبسبيير وانضم إلى تاليان فزاد نفوذه وقويت شوكة تنوان به حتى ليقال انه تزوجها .

– ارى ايها الغلام انك واقف على الحقيقة بتفاصيلها .

– العل الخمرة دبت في رأسك ؟

– لماذا ؟

– لأني اراك تخاطبني دون كلفة وبلهجة المستخف .

– لست مستخفاً بك واذا كنت احادثك دون كلفة فذلك لأني أعرفك منذ أمد بعيد .

– أأنت تعرفني ؟!

– كيف لا أعرفك اتظن ان هـذه الملابس ومرور خمسة أعوام تغير هيئتك يا بوليت .

– اتعرف اسمي القديم ايضاً ؟

– هو ذاك غير اني اعجب كيف لم تعرفني انت !

فحدق به بوليت هنيهة فلم يعرفه فكشف القروي قبعتـه ورفع شعره المستعار فدهش بوليت دهشاً عظيماً وقال : انت هو بيبي !

– نعم انا هو وقد سرني التقائي بك فاني كنت أبحث عنك .

فأكب بوليت على عنق بيبي وعانقه بملء الحنو .

١٢
تعارف الاختان

ثم أمسك بوليت بيد بيبي وقال له وهو يبتسم ارق ابتسام:

ـ ماذا أصابك ومن اين انت عائد ولماذا عبثت بي هـذا العبث فسألتني عن حوادث تعرفها اكثر مما اعرفها انا ؟

فأجابه بيبي : العادة يا بني انه حين يفترق صديقان ثم يلتقيان يبدأ اصغرهما بتفصيل ما جرى له خلال الفراق فاروِ لي الآن حكايتك فقد تركتك مع غلمان الأزقـة ورأيتك الآن من ابناء النعمة كما تدل ظواهر لباسك واساليب حديثك فما هذا الانقلاب ؟

ـ ان الأمر بسيط كما سترى .

ـ اذن قص علي ما جرى .

ـ انك تذكر ذلك اليوم الذي اوصلنا فيه داغوبير واورور وبنوات الى المحطة ؟

ـ دون شك .

ـ انهم سافروا وبقينا نحن بعد ان تحالفنا على ان نسترجع من

تنوان الثروة التي اختلستها .

ـ هذا اكيد .

ـ فعدنا الى باريس واقمنا في فندق قريب من فندق سانت اونوريه الذي كان يقيم فيه داغوبير .

ـ كل ما تقوله اكيد لا ازال اذكره .

ـ وفي صباح اليوم التالي خرجت انت من الفندق وقلت لي انك ستعود عند الظهر .

ـ ولم أعد لا في الظهر ولا في المساء ولا في اليوم التالي .

ـ بل انك لم تعد ابداً فقد انتظرتك اسبوعين دون فائدة فخطر لي عندذلك انك قتلت تنوان او ان تنوان كادت لك فقبضوا عليك ولم يكن لدي شيء من المال وكرهت أن ارجع الى مهنة اللصوص فخطر لي خاطر وهواني قلت في نفسي لقد اتفقت مع بيبي على ان نسترد من تنوان تلك الثروة الطائلة التي اختلستها من اورور واختها واذا كان بيبي قد احتجب فلماذا لا اتم بنفسي ما كنا شارعين به ؟

فقال له بيبي : اقلت في نفسك هذا القول ؟

ـ نعم وقد قلت ايضاً انه إذا كانت تنوان قد قتلت بيبي فاني انتقم له منها شر انتقام .

ـ بورك فيك يا بني فقد توفقت في اختيارك .

ـ وكنت قد دخلت مراراً الى منزل تنوان وتسلحت بخنجر ومطرقة وانت تعلم ان المطرقة اسرع في قضاء الحاجات وتفضل على الخناجر والمسدسات .

ـ هذا اكيد .

ـ وانت تعلم اني اعرف بعادات اهل المنزل فانهم يناموني في آخر الليل لان المحامي د. يأتي إلى تنوان عند منتصف الليل ولا ينصرف قبل الساعة الثالثة .

فلما وصلت الى المنزل كان الليل قد انتصف فاختبأت في حفرة واقمت فيها انتظر ولكن انتظاري لم يطل فاني بينما كنت في الحفرة وعيناي شاخصتان الى نوافذ المنزل المضيئة مر بالقرب من تلك الحفرة رجلان وهما البستاني والسائق فكانا يتحدثان وسمعت الثاني يقول للاول : ان المحامي لا يحضر الليلة لانه سيخطب غداً خطبة طويلة في مجلس الأمة وهو يتأهب لها وقد دخلت سيدتنا الى غرفة نومها وليس لنا ما نعمله فلنذهب الى الخمارة .

فوافقه رفيقه ومر الاثنان بالقرب مني دون ان يرياني فراقبتهما حتى رأيتهما في الحقول .

وعند ذلك نهضت من الحفرة ودخلت إلى المنزل من نافذة المطبخ كما دخلت في المرة الأولى .

ثم ولجت من المطبخ إلى فسحة المنزل الداخلية فسمعت الخادمة وقع اقدامي وجاءت وشمعتها بيدها كي ترى من القادم وكنت لا ازال حاقداً عليها منذ ذلك اليوم الذي خدروني فيه فاسرعت اليها قبل ان تصيح وضربتها بالمطرقة على رأسها فسقطت على الأرض دون ان تصيح .

وبعد ذلك صعدت إلى غرفة تنوان وكان مفتاحها في قفلها

ففتحت الباب ودخلت فوجدتها جالسة تقرأ .

أما هي فلم تلتفت الي في البدء لاعتقادها ان الداخل خادمتها غير اني لما دنوت منها التفتت فرأتني وصاحت صيحة ، فلم اقتلها في تلك الساعة لأني كنت محتاجاً إلى محادثتها .

وعند ذلك أجبتها بأدب وقلت لها : لا تخشي بأساً فاذا لزمت الحكمة والتعقل فلا أصيبك بمكروه .

وهنا لا بد لي ان أشهد لهذه المرأة بالبسالة النادرة والصبر العجيب في مواقف الشدة فانها بعد ان ذعرت في البدء عادت اليها السكينة وقالت لي : انك ما زلت قد وصلت الي يا ابني فلا بد أن تكون قتلت خدمي .

— اني لم أقتلهم جميعاً بل قتلت الخادمة فقط .

— وماذا صنعت بالآخرين ؟

— انهم يشربون الخمر في بلازو .

— اذن أنا وحدي في هذا المنزل وفي قبضة يدك .

— هو ذاك كما ترين .

فقالت لي بملء السكينة والهدوء :

— اذن لقد عرفت قصدك فانما انت قادم الي لتسرقني .

— ليس هذا كل قصدي .

— وانك حاقد علي دون شك فستقتلني وتسرق ما عندي .

— ربما ...

— ان المرء لا يموت مرتين فاقتلني ثم اسرقني ولكنك لا تجد مالاً وفيراً عندي كما تتوهم .

فقلت لها بلهجة دلت على ريبي فيما قالته : سوف نرى .

فابتسمت وقالت : اني أضع أموالي في مصارف فرنسا في هذا الزمن الذي نحن فيه فانهم يرسلون لي في كل شهر فوائد أموالي وأما الأموال فليست في هذه البلاد .

— ولكني أجد شيئاً في كل حال .

— هو ذاك فانك تجد مائة ليرة وبعض الجوهرات .

— هذا يكفيني ثم دنوت منها والخنجر مشهر بيدي فلم يظهر على وجهها شيء من علائم الخوف ولكنها ابتسمت وقالت لي :

— رد خنجرك إلى غمده ايها الغلام واجلس نتحدث فذلك خير لك وسأعطيك من المال اكثر ما تطمع ان تجده بعد قتلي .

— واذا كنت طامعاً بغير المال ؟

— ماذا تريد غيره أتريد الانتقام ؟

— نعم ...

فضحكت ضحكاً عالياً وقالت لي :

— اننا خلقنا ايها الغلام لنتفق وإذا كانت العداوة قد نشبت بيننا فذلك خطأوك لا خطئي ..

— أتظنين ذلك ؟

— دون شك فأنك شغفت بتلك الفتاة التي كنت أكرهها .

— والآن ألا تزالين تكرهيها ؟

— لقد تناقص كرهي لها الآن .

فنظرت اليها محدقاً وقلت لها : لماذا ؟

— أقفل باب هذه الغرفة حتى إذا أقبل أحد لنجدتي تستطيع

قتلي قبل اغتصاب الباب ومتى اتخذت كل ما تريده من أسباب الاحتياط تعال نتحدث .

فأقفلت الباب وأنامعجب بسكينتها وعدت اليها فقلت لها:

– اني مصغ اليك .

– لا بد ان تكون علمت شيئاً من تاريخي وحكايتي ... اني كنت وصيفة من قبل الكونتس دي مازير فسرقت من منزلها صندوقاً يحتوي على ثروة طائلة ..

– اني أعرف هذه الحكاية ..

– واذا كنت أردت قتل أورور فذلك للاستيثاق من ان لا أحد أحداً في المستقبل يطالبني بهذه الثروة ..

– هذا طبيعي معقول .

– ان الطبيعي المعقول قدلا يكون حقيقياً في بعض الاحيان وسأقول لك السبب الذي حملني على السعي في إعدام اورور ولكني أريد قبل ذلك ان اثبت لك اني لم أفعل ما فعلته خوفاً على أموالي .

– ألعلك اودعتها مصارف ألمانيا ؟

– كلا ، ولكني امينة عليها فاني من النور وأنا تابعة لطائفة قوية شديدة النفوذ وقد انضم الى سلكها كثير من الالمانيين والهنغاريين والبوهميين على اختلاف طبقاتهم فبيننا المتمولون والأغنياء وأرباب الجاه المتصلون بالامبراطور ونحن جميعنا نخضع لرئيس سري له بيننا منزلة فوق منازل الملوك فاحتميت به وأودعته أموالي على أن اتمتع بفوائد هذه الاموال ما حييت وإذا

مت عادت تلك الاموال الى الطائفة .

فقطب بيبي حاجبيه وقال له : أقالت هذا القول ؟

نعم وكانت تتكلم بلهجة صادقة لم تدع لي أقل مجال للريب.

فابتسم بيبي وقال له :

– انك لا تزال في مقتبل الشباب يا بني فتمم حديثك .

وعند ذلك قالت لي تنوان :

– أرأيت كيف اني لا أخاف على أموالي !!

– إذا كان ذلك فلماذا تكرهين أورور هذا الكره وتطلبين لها الموت ؟

– لأني غيورة .

– ألعلك غرت من جمالها ؟

– كلا بل من حبها لداغوبير فانه قبل ان يكون جندياً كان بيطرياً وكنت خادمة فأحببته حباً لا يوصف ثم انتزعته مني أورور وهذا هو السبب في كرهي لها .

– والآن ألا تزالين على هذا الكره ؟

– لقد تناقص كثيراً .

– لماذا ؟

– لأني لم أعد أهوى داغوبير وقد زال حبه من قلبي فجأة حين علمت انه تزوج أورور ، وأنت أيها الغلام الذي نشأ على هواها ألا تزال تهواها ؟

– نعم ...

– لكنك لم تعد تطمع فيها !

– ذلك لانه لم يبق لي رجاء .
– بل ذلك لانه لم يبق لك عقل .
– وكيف أحبها وهي بعيدة عني ؟
– ان من يحب أيها الابله لا يثنيه بعد المسافة ، فافترض انك دخلت الى منزل كي تقتلني ثم خرجت منه فلبست خير الملابس وصرفت أوقاتك بالعلم حتى تبلغ منه ما يقوم باودك وانك بعد عامين او ثلاثة ، أي بعد أن تتثقف وتتهذب ، تستبدل اسم بوليت باسم هيبوليت وتستخدم في قلم من أقلام الحربية وأنت جميل الوجه زلق اللسان زكي الفؤاد ألا تظن انك تستطيع بلوغ مأربك بعد أن تفعل ما قلته لك ؟

فكادت تخدعني بكلامها فقلت لها أيها الشيطان الرجيم كفى .

– أرى ان كلامي قد أثر بك وانك صعدت الدرجة الأولى من سلم الطمع فأردت ان تكون من اجلها شيئاً مذكوراً .
– ولكنها لا تحبني !
– ستحبك متى تأدبت وصرت أهلاً لحب أمثالها .
– ولكنها امرأة داغوبير ؟

فضحكت وقالت : ولكن داغوبير قد يقتل بل ان قلبي يحدثني انه يقتل وعند ذلك ...

فمرت على عيني غمامة فجردت خنجري وهجمت عليها .

فقهقهت ضاحكة وقالت : أيها الابله انك تقتلني وتهرب من منزلي بمال قليل تنفقه في مدة شهر وتبقى لصاً كما أنت ولا تنال من أورور غير الحسرات .

فسقط الخنجر من يدي ولم أستطع قتلها .

فقال له بيبي : ويحك أكنت قادراً على قتلها ولم تفعل ؟

ـ نعم فقد ذهب عقلي في تلك الساعة وكنت كالمجانين .

ـ لقد أصبت يا بني فان الحب والجنون واحد، أتم حديثك فقد شاقني وطلب زجاجة ثالثة بينما كان بوليت يمسح العرق المنحدر من جبينه .

* *

ثم عاد إلى الحديث فقال :

ـ انك لم تر هذه المرأة ضاحكة فانها لو كانت مغضبة لكنت قتلتها لفوري ولكنها كانت تضحك ضحكاً غريباً فسقط الخنجر من يدي وعادت الى الضحك فقالت :

ـ أرى جلياً انك لا تزال تحب أورور وانك تريد أن تهواك فاغوتني بحديثها ثم خطر خيالك فجأة في خاطري فالتقطت الخنجر ، فالتفتت الي وقالت باسمة :

ـ ماذا حدث ولماذا عدت الى الوعيد ؟

ـ أريد ان أعلم ماذا فعلت بصديقي .

ـ أي صديق تعني ؟

ـ بيبي .

ـ اذن انت أيها الغلام من أهل الفضول .

ـ اريد ان اعلم اين هو صديقي فاني لم أره منذ اسبوعين والويل لك إذا كان قد مات فاني أنتقم له منك .

ـ اذن رد خنجرك الى غمده فان صديقك لا يزال في قيد

الحياة ...

ـ ألم ترسليه الى المقصلة ؟

فضحكت وقالت : لا شك انك ابله .

ـ ولكني أريد ان اعلم الحقيقة .

ـ اصغ الي فسأخبرك بأمره . ان بيبي أخطأ باقامته في باريس فقد كان لديه جواز وكان بوسعه أن يسافر به الى الخارج.

ـ هل أصيب بمكروه ؟

ـ انه في السجن ولكنه لم يمت وثق انه لا يموت فيه .

ـ وكان سجنه بأمرك ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

ـ لأنه تعرض لي في شؤوني ولا أحب أهل الفضول وأنا أعيد عليك ما قلته وهو انه لا يموت في سجنه لأنه ليس في سجن البوليس ولا سجن الدير او سواهما من السجون التي يرسل من فيها إلى الاعدام ولكنه في شارتون أي مستشفى المجانين .

فقاطعه بيبي وقال له : هذه هي أول مرة نطقت فيها هذه المرأة الهائلة بالصواب فانها قد سجنتني حقيقة في ذلك السجن ستة أشهر فكان يحسبني الناس من المجانين .

ـ اذن لقد أحسنت بتصديقها فقد كتب علي أن لا أقتل هذه المرأة ولا أذكر بالتدقيق حقيقة ما جرى بين بيبي وبين تلك المرأة غير انها أتمت غوايتي فخرجت من عندها بعد ساعة وأنا هائم بأورور هيام المجانين لا يهمني في هذا الوجود إلا أن ارقى

في الوظائف واكون كفؤاً لها ..

وقد أعطتني تنوان قبضة من الذهب وقالت لي اذهب الى باريس وتأنق في لباسك وعاشر أدباء الناس واحضر التمثيل وكلما فرغت جيوبك عد الي املأها من الذهب الوضاح .

فذهبت وبدأت منذ ذلك اليوم بحياة جديدة.

وان المرء مهما بلغ من افلاسه إذا حسنت حاله شهراً ينسى شقاءه القديم ويتوهم انه كان كل عمره من الأغنياء وهذا ما اتفق لي فاني بالغت في الاسراف حتى إذا أنفقت اكثر مما كان لدي خفت خوفاً شديداً وذكرت سابق إفلاسي .

ولم أعد إلى تنوان فاني خشيت أن تغتنم الفرصة فتنتقم مني وكان لا يزال باقياً معي بقية من المال فذهبت ليلة الى الأوبرا وكانت تنوان فيها فرأتني وسلمت علي وأشارت الي ان أصعد إلى لوجها . وهناك لم أكن أخافها فصعدت اليها فقابلتني خير مقابلة وقالت لي : ألم ينفذ المال بعد ؟

فأطرقت مستحيياً وقلت : انه على وشك النفاد .

— لماذا لم تأت الي فأعطيك ما تحتاج اليه ؟

فنظرت اليها نظرة شفت عن كل ما داخل قلبي من الريب فأدركت معناها وقالت لي وهي تضحك : لقد أخطأت لسوء ظنك فقد غفرت لك منذ زمن بعيد ثم انك تعلم انك ستكون في المستقبل عدتي في الانتقام فكيف أؤذيك وأنت حليفي ؟

قلت : كيف ذلك ؟

— ذلك ان أورور ستحبك في مستقبل الأيام لاسيا وقد

أصبحت فتى جميلاً بعد هذا الانقلاب .

فجعل قلبي يخفق خفوق الطائر واني وجهي احمراراً شديداً فضحكت ثم أعطتني قبضة من الذهب وقالت لي : لا تكن غراً أبله ومتى نفذت نقودك فعد الي لأني أحب أن أراك .

فوثقت بها بعد ذلك وجعلت أذهب اليها كلما أفلست فلا يصيبني أذى سوى ان جيوبي كانت تتورم بعطاياها .

وقد اتفق ليلة اني كنت عندها وكان المحامي د . فكانت تبسط ورق اللعب وتستكشف به الطوالع فتجهم وجهها فجأة وتقطب حاجباها ثم نظرت إلى المحامي وقالت له :

— ألا تزال موالياً لروبسبيير ؟

قال : لا أزال كما كنت .

— انك مخطىء ويجب أن تخاصمه وتبتعد عنه .

— لماذا ؟

— لأن سقوطه بات قريباً وقد عرفت ذلك من هذا الورق .

وقد كان الحق فيما قالت فانه بعد ثلاثة أيام (أي في ٩ من شهر ترميدور انقلبت هيئة الحكومة ولكن المحامي كان قد تمكن بفضل هذه الداهية من موالاة تاليان ومجافاة روبسبيير .

فقال له بيبي : وبعد ذلك ؟

— وبعد ذلك أصبحت تنوان والمحامي أشد نفوذاً من قبل .

— وأنت أبقيت صديقهما ؟

— بل ضيفهما .

— ولكني أراك بملابس الأعيان !

— هـذا الذي أرادته تنوان كي أروق في عين أورور وقد حملتني على الاعتقاد بأمور أخرى عرفتها من الورق كما تقول .

— ماذا قالت لك ؟

— انها منذ ثمانية أيام بسطت الورق ونظرت فيه ثم قالت لي :

— اني أرى أورور لابسة ملابس السواد فان الكولونيل داغوبير (وقد رقي الآن الى رتبة كولونيل قد مات) .

فدهشت لقولها وقلت : أحق ما تقولين ؟

— ان أورور تبكي الآن ولكنها ستتعزى فان ساعتك قد دنت ..

فقال له بيبي : أصدقت كلامها ؟

— صدقته كل التصديق بعدما سمعت باذني نبوءتها عن سقوط روبسبير وصدقها .

— اذن أنت الآن من أصدقاء تنوان وإذا اقتضت الحال ساعدتها علينا ؟

— معاذ الله ان أفعل ولاسيما إذا كنت واثقاً من امكان رد المال إلى الأختين .

— اني لم أجيء الى باريس إلا لهذا الغرض .

— ألعلك قادم من مستشفى شارنتون ؟

— لقد هربت منه منذ عام وذهبت الى المانيا وأنا أعلم الآن أين أودعت هذه الخائنة أموالها .

— انها لدى قبيلة النور .

— هو ذاك ولكني وجدت طريقة لاستردادها .

– أحق ما تقول ؟

– نعم انما كنت معتمداً عليك بعض الاعتماد وأما الآن ...

فخجل بوليت لهذا التوبيخ وأسف لسيرته الماضية فقال له :

– أقسم لك اني لا أعرف رئيساً لي سواك واني أمتثل لكل ما تأمرني به .

– اذا كان ذلك فيجب أن تبدأ بعدم الافتكار باورور .

فتنهد بوليت ولم يجب .

وعاد بيبي الى الحديث فقال: ولنفترض ان داغوبير قد مات فان أورور لا تكون لك لأنها ما خلقت لك .

– لقد أصبت والحق اني كنت من المجانين .

– والآن أخبرني كيف انك تستطيع ان تقبض من تنوان كل ما تحتاج اليه ، ألديك الان أجرة الدخول الى الحديقة ؟

– لقد قلت لك اني قامرت فخسرت كل ما كان لدي .

– ولماذا لم تقابل تنوان حين مرت بنا ؟

– كنت عازماً على مقابلتها فتصديت لي وحدثتني وفوق ذلك فاني كنت منشغلاً عنها بالنظر إلى نيشات .

– من هي نيشات هذه ؟

– انها بائعة البنفسج على باب الحديقة وهي من الفتيات الحسان.

فضحك بيبي وقال :

– قول انك عاشق ومن كان عاشقاً فكيف يتحبى النساء .

– ذلك ان العشق نوعان عشق عين وعشق قلب .

– اذن لقد راقت في عينك هذه الفتاة ؟

– نعم ...

– لابأس فاني أوذن لك بأن تغازلها والان فهلم بنا نذهب.

– إلى أين ؟

– اننا ندخل الى الحديقة فتذهب انت فتحي تنوان .

– وأنت ماذا تصنع أتنتظرني ؟

– كلا بل أذهب معك فتقدمني لها كرجل من أعيان الريف

– ولكن ألا تخاف ان تعرفك ؟

– أعرفتني انت فتعرفني هي ؟

– لقد أصبت فهلم بنا .

ثم تأبط كلاهما ذراع الاخر وسارا إلى الحديقة .

فلما وصلا الى الباب الأكبر وجدا خلقاً كثيراً محتشدين حول نيشات وهي تلاطفهم وتبتسم لهم ألطف ابتسام وتبيعهم مما لديها من طاقات البنفسج .

فنظر اليها بيبي ثم قال لبوليت :

– لقد أعجبني ذوقك يا بني فانها فوق ما وصفت من الجمال.

غير ان بيبي لم يلبث ان حدق بها حتى خطرت له ذكرى بعيدة فاضطرب لها وقال : ماذا أرى ؟!

فدهش بوليت لاندهاشه وقال له : ماذا حدث ؟

فأخذ بيبي بيد بوليت الى محل منعزل وقال له :

– اصغ الي فاني سأروي لك رواية اناء زهر .

– وأي شأن للزهر بما نحن فيه ؟

– اصغ واستعلم فقد كان لي منذ عشرين عاماً اناء فيه غرسة

ورد وكانت ضئيلة ضعيفة تكاد تذبل لأن الشمس لم تكن تشرق عليه غير نصف ساعة في اليوم فخطر لي ان أرسلها إلى صديق لي يقيم في الخلاء فأخذتها اليه فاقتلعها من الاناء وغرسها في الارض فكانت معرضة للشمس والهواء المطلق وفي العام التالي زرت هذا الصديق وتفقدت الغرسة فوجدتها قد أينعت وتثاقلت أغصانها لكثرة الزهر .

ـ أوضح لي فاني لم أفهم بعد .

ـ اني أكني بهذه الغرسة عن نيشات .

ـ وأية علاقة لها بها ؟

ـ لقد عرفت هـــذه الفتاة فقد كانت وحشاً مفترساً في حداثتها فباتت الان فتاة حسناء .

ـ تقول انك عرفتها .

ـ وأنت ايضاً يجب ان تعرفها .

ـ انا ! اني لا أذكرها .

ـ ألا تذكر تلك الخادمة الهزيلة التي كانت في منزل الغسالة منذ اربعة اعوام .

ـ أتعني بها البومة ؟

ـ نعم ، فان تلك البومة صارت الان بائعة بنفسج وصار اسمها نيشات .

ـ أتظن انك مخطىء فان الشبه بعيد ..

ـ انك لو خدمت البوليس عشرين عاماً مثلي لما رأيت هذا البعد في الشبه ولعرفتها للفور كما عرفتهــا أنا ثم دفعه الى باب

الحديقة ودخل وإياه .

* * *

أما تنوان فانها طافت في الحديقة فكانت تارة تقف حيث يرقصون وتارة تجلس على مقعد فوق الخضرة فتمتع طرفها بمناظر العشاق وهم يسيرون في تلك الحديقة الغناء يتناجون ويتناغون ولا يلوون على أحد .

وان من عرف تنوان وهي خادمة في منزل الكونتس دي مازير لا يعرفها دون شك وهي على ما تظهر عليه من ظواهر الترف والنعمة غير انها على غرابة زيها وزي حاشيتها لم يكن احد يهزأ بها بل كانوا يحترمونها كل الاحترام وما زال هذا المال داعياً الى الاحترام ولو كان بأيدي الرعاع .

ثم انهم جميعهم كانوا يعلمون علاقتها مع المحامي د. وليس بينهم من يجهل نفوذ هذا الخطيب الشهير في ذلك العهد وفوق ذلك فانهم كانوا يعلمون انها عاشقة لا يروقها غير الجمال حتى لقد روي عنها انها أسعدت كثيراً من اهل الصبا والجمال ولهم في ذلك عليها حكايات مشهورة كانت تتناقلها الالسن عنها كلما رأوها في محل عمومي .

فلما ذاع خبر قدومها إلى الحديقة أسرع الشبان اليها وأحدقوا بها كالنطاق غير ان تنوان لم تكترث لهم هذه الليلة بل كانت مقطبة الحاجبين تبدو عليها آثار المشاغل وتقدح عيناها شرراً .

وكان يظهر من ملامحها انها منهمكة في شأن خطير او ان خطراً ينذرها في تلك الحديقة التي تفرغ فيها الناس للمفاسد

فنسوا اهوال الأمس ولم يعبأوا بما يجيء به الغد .

ولذلك تسير جازعة مضطربة من مرقص الى مرقص ومن مجلس إلى مجلس وهي لا تنظر إلى الفتيان حسب عادتها بل الى الفتيات .

وفيما هي تسير ارتعشت ووقفت فجأة اذ رأت فتاة حسناء تسير وحدها كأنها لم تلق فتى يراقصها .

وهي فتاة ممشوقة القامة شقراء الشعر سوداء العينين تبتسم ابتساماً يدل على السويداء والكآبة .

فتصدت لها تنوان في الطريق وقالت لها :

– اسألك المعذرة ايتها الحسناء ...

فنظرت اليها الفتاة معجبة وقالت لها : ماذا تريدين مني ؟

– كيف ذلك ألم تعرفيني ؟!

– كلا ...

– اذن يظهر انك لا تكثرين التردد على هذه الحديقة .

– هذه اول مرة اتيت اليها .

– ألعلك من اهل الريف .

– كلا بل من اهل العاصمة ولكني لست من أهل هذا الحي .

– ألا تذهبين الى المراقص ؟

– كلا ، ولكني أذهب عادة إلى قاعات مارس وليس في نيتي العودة الى هذه الحديقة لأني لا أعرف فيها أحداً .

– ولكن من كانت لها جمالك لا تعدم أصدقاء يطلبون ودادها فاذا صبرت الى الدور الثاني من الرقص تجدين كثيرين

يتمنون مراقصتك .

فأجابتها الفتاة بلهجة غريبة : انى لا ارقص ابداً .

ـ اذا كان ذلك فلماذا تحضرين الى المراقص ؟

ـ هذا سر من أسراري .

فلم تستاء تنوان لذلك بل ظهرت عليها دلائل الفرح كأنها طمعت ان تجد الفتاة التي تبحث عنها فقالت لها :

ـ ماذا تدعين أيتها الحسناء ألعل ذلك سر من الأسرار أيضاً؟

ـ كلا أيتها السيدة فاني ادعى جرمين .

ـ ولكن كيف لا تعرفيني ؟

ـ هذه اول مرة رأيتك فيها .

ـ اني ادعى انطونيا وانا اغنى امرأة في باريس .

فأجابتها بلهجة دلت على عدم الاكتراث :

ـ اني أهنئك يا سيدتي وأرجو لك دوام النعمة .

ـ ولكن لسوء حظي وحيدة فلا ولد لي ولا قريب حتى اني أكاد أموت من الضجر .

ـ اتأتين اذاً إلى هذه الحديقة للتسلية ؟

ـ لهذا ولغرض آخر فاني آتي ايضاً للبحث عن شخص .

ـ ألم تجديه بعد ؟

ـ اظن انني وجدته .

وجلست تنوان عند ذلك على مقعد وأجلست الصبية بجانبها فقالت لها الفتاة : كيف تظنين انك وجدته ؟

ـ نعم ، فهو انت .

فابتسمت الفتاة وقالت :

– كيف يكون ذلك ولا يعرف احدنا الآخر قبل الآن ؟

– هو ذاك ولكني حين رأيتك ملت اليك كل الميل وهذا من اسرار النظرة الاولى التي حار فيها ارباب العقول .

– اني لا افهم يا سيدتي ما تقولين .

– اني موضحة لك ما اشكل عليك فاني ابحث عن فتاة مثلك تشاطرني هذا الثروة التي اتنعم بها .

– اني لا استطيع يا سيدتي ان اكون صديقة احد.

– حتى انا ؟ حتى انت .

– ولكني كثيرة المال ؟

– لقد سمعت منك هذا القول .

– اني اتبناك واجعلك من اسعد النساء .

فنهضت الفتاة عن المقعد وقالت : اني يا سيدتي احضر الى المراقص كل ليلة ولكني لا احضر للتسلية .

– اذن لماذا ؟

– لا أتذكر واني اسألك العفو يا سيدتي فاني لا استطيع البقاء طويلا ثم اخذت وشاحها كي تضعه على كتفيها فارتعشت تنوان اذ رأت في عنقها خيطاً احمر من الحرير وكان الخيط قد ربطته الفتاة في عنقها كالعقد فقالت تنوان في نفسها : لقد اخطأت بالتجائي الى هذه الفتاة فانها من النبيلات وما هذا الخيط الاحمر في عنقها الا اشارة الى مسفك من دم النبلاء ورمزاً للتعارف في مراقص الاعيان الذين يأتون الى

باريس متنكرين.

حتى اذا انصرفت الفتاة عنها قالت : يا خيبة المسعي فان جمال هذه الفتاة كان اعظم معين لي على تنفيذ مشروعي فلنجدد البحث ثم نهضت فجعلت تمشي في تلك الحديقة وفيما هي تسير رأت ؟ رجلين هما بوليت وبيبي فدنت من بوليت وقالت له : اهذا انت ؟

– نعم ياسيدتي ثم انحني ولثم يدها .

فنظرت تنوان عند ذلك نظرة الفاحص الى بوليت وبيبي ولكنها لم تعرفه كان متنكراً اتم التنكر ثم قالت لبوليت : لماذ تأخرت بالسلام علي الى الآن فاني في الحديقة منذ الساعة العاشرة ؟

فابتسم بوليت وقال : اتريدين ان اعترف لك بكل شيء ؟

– دون شك .

– اني لم ادخل الى الحديقة الا الآن.

– كيف ذلك والساعة قد بلغت الثانية بعد انتصاف الليل؟

– لاسبيل الى انكار ما تقولين .

– اذن لقد صرفت ليلتك في احدى المحلات السيئة ؟

– هذا اكيد .

– ويظهر انك قامرت وخسرت .

– وهذا اكيد ايضاً.

فابتسمت تنوان وقالت: انك سيء السلوك ثم قالت بلهجة حنو : العلك خسرت كثيراً ؟

– كل ما كان معي ثم غمز بعينه وقال مشيراً الى بيبي :

ولكني لحسن حظي لقيت هذا الرجل .

فقالت له بلهجة المحتقر : من هذا الرجل ؟

فاجابها بصوت منخفض : انه من اهل القرى وقد حسبك مدام تاليان وهو الذي انفق علي فانه لم يكن معي درهم .

فضحكت تنوان واعطته عشرين فرنكا ثم قالت له : اذهب فاشتر طاقة من الزهر وعد الي فاني اريد محادثتك .

فانحنى بوليت امامها ثم تأبط ذراع بيبي وسار واياه الى باب الحديقة وهو يرجو ان يرى نيشات بائعة الازهار فسار بيبي معه وهو يقول انها لم تعرفني .

* * *

لم يكد بوليت وبيبي يسيران بضع خطوات حتى رأيا رجلا لا يقل في غرابة منظره ولباسه عن تنوان .

فقد كان لون وجهه يشبه لون الزيتون الاخضر وهو اسود العينين مجعد الشعر تدل تقاطيع وجهه وملابسه انه من النور ولكنه كان يخالف النور بقبح وجهه في حين ان هذه الطائفة قد اشتهرت بالجمال .

على انه مع ظواهر قبحه كانت هيئته تستلفت الانظار لتلك الخواتم المرصعة التي كان متحلياً بها .

وكان يجول في تلك الحديقة كأنه يبحث عن شخص يرجو ان يجده فيها فلما رآه بوليت ضحك وقال لبيبي :

– ارى ان هذا ما خلق الا لتنوان .

فاضطرب بيبي لمرأى هذا الرجل اضطراباً لم يلاحظه

بوليت وقال له : لقد اصبت

اما هذا الرجل فقد كانت تبدو عليه دلائل الاهتمام حتي انه لم يكترث لانظار الناس المحدقة به من كل صوب ومر بالاثنين دون ان ينظر اليهما .

فقال بوليت : اراهن ان هذا النوري يبحث عن تلك النورية .

– ان هذا ممكن .

– ان من يسمعك تقول قولك بهذه اللهجه يحسب انك تعرفه .

– هو ذاك يابوليت فاني اعرفه وما اتيت باريس الامن اجله.

فدهش بوليت دهشاً عظيما وقال :

– اذا كان ما تقوله اكيداً فكيف لم تكلمه ؟

فلم يجبه بيبي ولكنه سار به الى محل معتزل وقال له لنتحدث بسرعة فان الامر خطير الم تكذب علي منذ ساعة ؟

– متى قال : حين قلت لي انك لاتزال مستعداً لخدمتنا ومساعدتنا برد المال الى الاختين .

– اني اعيد ما قلته فاني طوع لك فيما تريد .

– اذن اصغ الي انك ستشتري طاقة زهر لتنوان وتذهب بها اليها بعد انصرافي

– كيف ذلك اتتركني ؟

– نعم اذ لدي كثير من المشاغل هذه الليلة الم تقل لي ان تنوان اودعت اموالها عند ملك النور ؟

– هذا الذي قالته لي بلهجه صادقة ولكني لا اضمن شيئاً

من اقوال هذه المحتالة

- ولكنها قالت : لك الحقيقة هذه المرة وان ملك النور هو هذا الرجل الذي لقيناه الان وهو قد اتى باريس خصيصاً لمقابلة تنوان وسيجتمعان وبالنظر الى حسن علائقك مع تنوان فأني اسألك قضاء مهمة .

- ما هي ؟

- هي ان تراقب الاثنين وتعلم اذا كانا قد ذهبا معاً ثم تعود الى فندق بون ايفان حيث اقيم فتخبرني بما رأيت .

- غداً ؟

- غداً او الليلة فاني انتظرك في الحالتين .

فهم بوليت بأن يسأله فقاطعه بيبي وقال : ستعلم البقية في غير هذا المقام والان استودعك الله وودع بوليت وانصرف .

فبقي بوليت وحده وهو يقول : ما هذه الاسرار بل ما هذه الليلة المفعمة بالحوادث وقد وقف باهتاً حائراً يشيع بيبي بنظره حتى توارى عنه فافتكر بطاقة الزهر وذهب الى حيث كانت تقيم نيشات كي يشتري منها .

غير انه لم يرها في موقفها وكانت امرأة هناك ادركت غايته فقالت له : ان بائعة الزهور قد دخلت الى الحديقة فعاد الى الحديقة وبحث عنها فلم يجدها .

ثم عاد الى المكان الذي ترك فيه تنوان فلم يجدها ايضاً .

وفيما هو يفتش عليها في الحديقة رأى ذلك النوري جالساً حول مائده مستديرة وامامه كاس شراب مرطب وهو ينظر

الى الراقصين والراقصات نظرات تشف عن سرور عظيم بهذه الملاهي فقال بوليت في نفسه : ما اظن بيبي مخطئاً في هذا الرجل فانه ما جاء الى هذه الحديقة الا متلهياً ولم يجيء للبحث عن تنوان.

ثم تركه وجعل يطوق في الحديقة فلم يكد يتوغل فيها حتى وقف فجاة وقال في نفسه : ارى عجباً .

ذلك انه رأى تنوان واقفة مع نيشات بائعة الزهر تحدثها باهتمام شديد والفتاة مصغية اليها بامعان اشد وكلتاهما لم تریاه فقال في نفسه اني احب ان اعلم بماذا يتحدثان .

وكانتا جالستين على بساط من الخضرة فجاء بوليت فوقف وراءهما وجعل يصغى الى الحديث .

اما تنوان فانها كانت قد انتظرت بوليت بعد ان ارسلته لشراء طاقة الزهر ولكن بوليت لم يكن في حاجة الى العجلة وفوق ذلك فقد كان يعلم انها لم ترسله الا لتتخلص منه فجعل يسير في الحديقة باحثاً عن بائعة الازهار وكل ما مر بامرأة حسناء يقف ويتأمل محاسنها .

غير ان بائعة الازهار اي نيشات رأت تنوان في الحديقة وقدمت لها ضمة بنفسج فاهتزت تنوان حين رأتها اهتزازاً كهربائياً مع انها لم تكن المرة الاولى التي رأت فيها نيشات فان هذه الفتاة كانت تقف دائماً عند باب الحديقة لبيع ازهارها وكانت تنوان تأتي كل ليلة فتراها وتسير دون ان تكترث بها .

على انها كانت تراها عرضاً ولم تحدق بها مرة بعينيها البراقتين فلما قدمت لها ضمة البنفسج وحدقت بها اهتزت كما قدمنا

وقالت لها : ما اسمك ايتها الحسناء .

– نيشات

– امهنتك بيع الازهار ؟

– كما ترين يا سيدتي

– اتكسبين كثيراً من هذه المهنة ؟

– بعض الاحيان

– وهذه الليلة ؟

– لم يبق لدي غير ثلاث ضمات .

– اني اشتريها منك بجملتها ثم اعطتها عشرين فرنكا فأخذت نيشات قطعة الذهب شاكرة وهمت بالانصراف ولكن تنوان استوقفتها وقالت لها : انك قد بعت ازهارك ولم يبق لك ما تعملين

– هذا أكيد .

– اتريدين ان تتحدثي معي هنيهة ؟

فنظرت اليها نيشات نظرة انذهال فقالت لها تنوان : انك لا تندمين في كل حال اتعرفينني ايتها الفتاة ؟

من لايعرفك في هذه الحديقة ياسيدتي فانك اشهر الناس فيها

– اذن تعلمين اني غنية ؟

– بل اعلم انك واسعة الثروة .

هو ذاك فان لي من المال ما لا استطيع عده .

– اهنئك يا سيدتي فانك من اسعد النساء .

– إذا كنت تحسبين المال مجلباً للسعادة فاني اكفيك منه واجعلك

غنية .

– انا ؟

– نعم .

فنظرت اليها نيشات نظرة اعتراض كأنها تقول لها : لماذا تهزئين بي ثم اضطربت فجأة كانما قد عرضت لها ذكرى قديمة وقالت لها : يظهر لي يا سيدتي ..

ثم توقفت عن الكلام كانها لم تجسر على التصريح بما ارادت قوله فقالت لها تنوان : ماذا يظهر لك ؟

– يظهر لي يا سيدتي اني رأيتك من قبل .

– دون شك فاني احضر الى هذه الحديقة كل ليلة .

– هو ذاك ولكني لم ارك هنا . –اين ؟

– لا اعلم .. بل اعلم .. ولكن .. كلا ان هذا محال .

فاخذت تنوان عند ذلك بيدها وجلست معها على بساط الخضرة فقالت لها : اوضحي ماتقولين يابنتي فاني مصغية اليك.

١٣

نيشات

وكانت نيشات تنظر اليها وحجب الماضي تزاح عن عينيها فتنجلي تذكاراتها السابقة وما زالت تفكر وهي واقفة بين الشك واليقين حتى قالت فجأة : كلا اني لست مخطئة فانت هي .

ويظهر ان ذاكرة تنوان كانت اضعف من ذاكرة نيشات فحسبت ان هذه الفتاة قد رأت امرأة تشبهها .

غير ان نيشات عقبت على جملتها فقالت :

— الست انت يا سيدتي التي حاولت اعدام الاختين ؟

فارتعشت تنوان وجعلت تحدق بالفتاة .

فقالت لها نيشات : ان الحادثة قد جرت ياسيدتي منذ اربعة اعوام وكان اسم احدى الاختين حنة والثانية اورور .

— كيف تعرفين ذلك ؟

— ذلك انــك اتيت ذات يوم الى دكان في شارع بتي كارو وكنت لابسة ملابس المتسولات .

— هذا اكيد . — وهناك كلمتني .

— كلمتك انت ؟ — نعم يا سيدتي

فارتعشت تنوان وقالت :

– لقد ذكرت الآنفاني كلمت يومئذ فتاة حديثة السن نحيلة

– انا هي ياسيدتي

كيف هذا ايمكن ان تتغير هيئتك هذا التغير ؟

اني كنت في زمن النمو ولكني انا هي تلك الفتاة .

اذن انك تدعين البومة ؟ – هذا هو اسمي الحقيقي.

فنظرت اليها تنوان مبهوتة لما طرأ عليها من الانقلاب وقالت لها : ولكنك اصبحت بارعة الجمال ؟

– ان الجمال من نعم الله ينعم بها على من شاء.

– ولكن اخبريني بكل امرك بالتفصيل .

– ان حكايتي بسيطة وهي ان الغسالة طردتني من دكانها في اليوم الذي برحت فيه الاختان – وبعد ذلك ؟

جعلت اهيم في الشوارع فبدأت با لتسول ثم ظفرت برجل عجوز فاشترى لي ملابس واواني في منزل ولم يكن لي من العمر غير اربعة عشر عاماً ولكن هذا الشيخ كان يحب الفاكهة الخضراء

– وبعد ذلك

– ان هذا الرجل كان شديد النفوذ فما مضى شهر حتى تمكنت منه كما اريد فبدأت بالانتقام من زوج الغسالة الذي طردني من منزله

– كيف انتقمت منه ؟

– حملت الشيخ على ان يشي به ففعل وقبضوا عليه

– أأعدموه ؟

– كلا ولكنهم ارسلوه الى الليمان مع اللصوص واني لؤثر هذا الانتقام على القتل .

– والان ألا تزالين على ما كنت عليه من الشر ؟

فابتسمت نيشات ابتسامة الابالسة وقالت :

– اني اردت الانتقام .

– ولكن بماذا اساءت اليك الاختين ؟

– انهما كانتا جميلتين وكنت قبيحة ألا تكفي هذه الاساءة

فضحكت تنوان وقالت : ألاتزالين تكرهينهما .

– كل الكره وان كنت لا اعلم ما جرى لهما .

– واذا رأيتهما اتسئيهما – كل الاساءة .

فقبلت تنوان جبينها وقالت لها بلهجة حنو : اتمي حديثك يا ابنتي فاني معجبة بك كل الاعجاب .

– ان هذا الشيخ الذي يهواني كان يثقل علي بل كاد يقتلني بافتخاره علي وقوله لي انه التقطني من الازقة فلم اجد بدأ من التخلص منه – كيف فعلت .

– انه كان في الظاهر من حزب الوطنيين يختلط مع الثائرين ويشترك معهم فى اناشيدهم ولكنه كان في الحقيقة من حزب النبلاء فكان متنكراً باسم غير اسمه الحقيقي وكان يراسل احزاب الملكية فما زلت ابحث عن مراسلاته حتى عثرت بها فسرقتها وارسلتها الى البوليس فقبضوا عليه – أأعدموه

– نعم ياسيدتي

– بورك فيك فانك من اهل العزم والعقل وبعد ذلك .

– احببت فتى جميلا كان يضربني ثم احبني رجل كنت اضربه وما زلت على ذلك حتى انفت التقييد وملت الى الاستقلال فجعلت ابيع الازهار .

– اذن ألا تحبين احداً ؟ – على الاطلاق .

– واذا قضت الاحوال ان تحملي رجلا على حبك اتفعلين

فابتسمت نيشات وقالت : افعل كل ما يجب ان يفعل

– اني كنت ابحث الان عن فتاة حسناء اعهد اليها اغواء رجل وحمله على الافتتان بها ومن يعلم فقد تكونين هذه الفتاة

فأجابتها البومة : اني ابلغ منه ماتريدين بشرط ان اريد

فتأبطت ذراعها وقالت : اذن تعالي معي – الى اين .

– الى منزلي – ماذا نصنع فيه .

– اقدم لك العشاء فيه مع ذلك الرجل الذي اريد ان يحبك

– فتأملت نيشات هنيهة ثم قالت : العل هذا الرجل من الاغنياء

– واية فائدة لك من غناه مازلت انا غنية ؟

فاهتزت نيشات سروراً وقالت : اخشى يا سيدتي ان تكوني هازئة بي .

– اني لاامزح بل اقول الجد فقد وجدتك حسناء طماعة ردية حسودة ورأيت انك لاتزالين تكرهين الاختين لانهما تجاسرتا فكانتا اجمل منك فأيقنت انك ستفعلين ما اريد

وسأبلغ بك ما أتمناه فتعالي معي اني سأتبناك .

وعندها سارت بها في الحديقة فخرج بوليت عند ذلك من مكمنه والعرق البارد ينصب من جبينه ثم جعل ينظر اليهما وهما تبتعدان ويقول في نفسه : لقد اصاب بيبي فأن نيشات بائعة البنفسج هي نفس البومة خادمة الغسالة فكيف خطر لي ان اعشق هذا الحيوان ولما ثاب من دهشته قال في نفسه : ترى من هو هذا الرجل الذي تريد تنوان ان تسلط عليه نيشات انه لا بد ان يكون هناك سر ولا بد لي من معرفة هذا السر وعند ذلك عول على ان يقتفي اثرهما كي يعلم ما يكون .

اما تنوان ونيشات فانهما سارتا الى جهة باب الحديقة وبوليت يتبعهما دون ان يرياه .

وفيما هما تسيران وقفت تنوان فجأة فقالت نيشات لماذا وقفت ؟

– انظري ثم اشارت بيدها الى ذلك الرجل النوري الذي رآه بوليت وبيبي .

وكان هذا الرجل جالساً حول مائدة عليها زجاجة شراب وكانت علائم الانشغال الشديد بادية عليه حتى انه لم ينتبه الى المرأتين اللتين تنظران اليه .

ومع ذلك فان تنوان اختبأت وراء شجرة من قبل الحذر .

فقالت لها نيشات : من هو هذا الرجل ؟

– امعني النظر فيه . – انه قبيح المنظر .

– ولكنه غني قادر بل هو اغنى مني واقدر وله نفوذ في

المانيا لا يعادله نفوذي هنا .

– ان الغني وحده يشفع بقبحه ولكن من هو ؟ اهو الرجل الذي تريدين ان يحبني ؟ – هو بعينه .

فابتسمت نيشات باحتقار وقالت: لابأس مازال من الاغنياء.

– تعالي فاني لا احب ان يراك . – لماذا ؟

– سأوضح لك كل شيء في حينه فهلمي معي الآن .

وسارت المرأتان حتى وصلتا الى باب الحديقة وكانت مركبة تنوان واقفة في انتظارها فصعدت اليها مع بائعة البنفسج والناس ينظرون الى نيشات مندهلين لركوبها مع تنوان .

فكان بعضهم يقولون ان اخلاق هذه المرأة اشد غرابة من الانجليز ويحسدون نيشات على هذه النعمة فقد قال احدهم سائلا بعض المتحدثين: ما عساها تصنع ببائعة البنفسج؟ فاجابه احدهم انها ستجعلها اميرة وتحدد بها عهد النبلاء .

ولما توارت المركبة عن الانظار قالت تنوان لنيشات : ان هذا الرجل الذي اريد ان تغويه هو زعيم الشعب الذي انتسب اليه .

– الى اي شعب تنتسبين ياسيدتي ؟ – اني بوهيمية .

– وهذا الرجل من النور ؟

– بل هو ملك النور . – اذن سأغدو ملكة ؟

– ستصبحين ملكة اذا عرفت ان تغويه .

ما اعجب ان اغدو ملكة في باريس في عهد الجمهورية .

– اصغ الي ان هذا الرجل قد جاء الى باريس لارجاع ثروة

طائلة

— لمن ؟ — للذين سرقت منهم .

— اذن المال في قبضته ؟ — نعم .

فاتقدت عينا نيشات ببارق من الامل وقالت لها :

— ماذا تريدين ان اصنع ؟

— اريد ان تدعيه يتدله بغر امك وتمنعيه عن ارجاع الثروة المسروقة

— واية فائدة لي من ذلك ؟

— يكون لك حصة من هذا المال .

— اذن اجمعيني به وعلي البقية .

— اني لم احضرك معي الا لهذه الغاية .

— اذا كان ذلك فلماذا خشيت ان يراني في الحديقة .

— ذلك لاني اريد ان اجعلك لديه طاهرة نقية كملائكة الله .

— لقد فهمت . وجعلت تطيعها طاعة لا حد لها .

اما بوليت فانه بعد ان رآهما ذهبتا بالمركبة عاد الى مراقبة ملك النور فالفاه يشرب جرعات صغيرة ثم نهض وسار الى باب الحديقة فتبعه بولت .

وكانت هناك مركبة اجرة واقفة بالانتظار فصعد اليها ملك النور وبوليت بالقرب منه .

فالتفت السائق وتأهب للسير فقال له : الى اين يريد سيدي ان يذهب — الى منزل السيدة انطونيا فهل تعرفه ؟

— ثم ضرب الجواد بسوطه فاندفع بالمركبة يسابق الرياح .

اما بوليت فقد قال في نفسه : انبيبي اوصاني ان اراقب هذا الرجل الى ان يذهب مع تنوان فاسرع الى اخباره في الفندق وهما لم يذهبا معاً لكنه ذهب الى منزلها كما سمعت من قوله للسائق ، ثم ان البومة قد تداخلت في الامر وذهبت مع تنوان وذلك لم يتوقعه بيبي فلا بد اذن من الاسراع باخباره

وعند ذلك ركب مركبة فسارت به مسرعة الى الفندق المقيم به بيبي فوجده لايزال ساهراً يفتش في رسائل عديدة كانت بين يديه فاخبره بجميع ما سمعه ورآه فقطب بيبي حاجبيه ثم : قال اننا مع مثل هذه المرأة يجب ان نتوقع كل شيء والان فانك لا تستطيع ان تفهم شيئاً الا اذا قصصت لك ما جرى في المانيا منذ بضعة اشهر

— قل اني مصغ اليك .

فبدأ عند ذلك بيبي يسرد الحوادث التي جرت في المانيا مما له علاقة شديدة بهذه الرواية وهي كما يلي :

* *

في ليلة من ليالي نوفمبر كان رجل وامرأة يسيران بعناء شديد على شاطيء الرين ووجهتهما مدينة كوبلنتز .

كان الرجل كهلا وهو شديد سواد الشعر يكاد يشبه الابنوس لو لم يخطه الشيب وقد تجعد جبينه فدل على حياة مضطربة .

وكانت المرأة التي تصحبه فتاة صبية لا تتجاوز ثمانية عشر عاماً وكان كلاهما من تلك الطائفة النورية العظيمة التي لم يتصل احد إلى معرفة اصلها بعد فاختلف المؤرخون فيها فمن قائل انها

جاءت الى اوروبا من الشرق الاقصى ومن قائل انها قدمت من مصر وقائل ان موطنهم الاصلي بوهيميا ولكنهم لم يتفقوا على رأي حتي ان تلك القبائل نفسها لا تعلم حقيقة اصلها .

وكان الرجل والفتاة يسيران جنباً الى جنب في طريق شاقة موحلة كثرت فيها مستنقعات الامطار .

ولم يكن الليل قد اقبل بعد ولكن الشمس كانت قد توارت في حجابها ولم يبق من نوار غير نور الشفق فكانت تبدو منه للعيون تلك السهول القفر التي خربتها الحرب وتلك البروج القديمة المسلطة على الرين .

وقد استلفتت نظر الفتاة قبة جرس عالية فقالت لرفيقها : انظر يا ابي اليس هذه التي نراها قبة كنيسة كوبلنتز ؟

– كلا يا ابنتي فقد علمت اني سألت منذ ساعة إحد الفلاحين عن المسافة الباقية بيننا وبين هذه المدينه فقال خمس مراحل .

– ولكنك سألت منذ ساعة .

– هو ذاك – وقد مشينا كثيراً .

فتأوه الرجل ونظر الى ابنته نظرة ملؤها الحنو والإشفاق وبعد هنيهة تأوهت الفتاة ايضاً وقالت: لقد انهكني السير يا أبي؟

– أتريدين أن أحملك ؟

– كلا فقد تعبت انت ايضاً مثلي اليس كذلك يا ابي ؟

– هو ذاك فقد مشينا كثيراً .

– اننا مشينا ثلاثين ساعة على الاقل ثم نظرت الى ابيها وقالت له : اتمشي كثيراً ايضاً ؟

— كلا فقد اوشكنا ان ننتهي من هذه الرحلة الشاقة .
— اذن لا نسير الى ابعد من كوبلنتز ؟
— كلا فاننا قد نقيم في المدينة خمسة عشر يوماً .
— وبعد ذلك ؟
— نعود الى غاباتنا وجبالنا التي لم تدنسها اقدام الاجانب بعد.
— انعود من نفس الطريق التي جئنا منها ؟
— تقريباً .

فظهرت علائم الرعب على وجه الفتاة اما ابوها فانه ابتسم وقال لها : طيبي نفساً يا موبينا جئنا مشياً على الاقدام ولكننا نعود في مركبة .

فنظرت اليه نظرة حزن ممزوجة بفضول كانها تقول له اني احترم اسرارك فانك ابي ولكن هذه الاسرار قد اتعبتني .

اما الرجل فكأنه ادرك معنى نظرتها اذ قال لها انك لو تعلمين المهمة التي انتدبت اليها لغفرت لي ما احملك من المشاق .

— العل هذه المهمة خطيرة ؟ — من اعظم المهمات .

فتنهدت موبينا وانتظرت ان يكشف لها ابوها عن سر المهمة غير انه لم يفعل بل قال لها : اننا حين نصل الى كوبلنتز تعلمين كل شيء فتشجعي يا ابنتي وهلمي بنا نواصل السير فقد قرب اوان الراحة وانت تعلمين ان اباك مونيتو لا يعرف الكذب .

فعانقت الفتاة اباها وقبلها قبلة حنو ثم واصلا السير .

وكان الشفق يتوارى تباعاً ولكزقبة الجرس التي رأتها

الفتاة كانت تدنو منها ولكنها لم تكن قبة كنيسة كوبلنتز . وفوق ذلك فان هذه المدينة كانت كبيرة فهي لا تحتوي على قبة واحدة بل على قباب .

اما هذه القبة التي رأياها فقد كانت قبة كنيسة في قرية صغيرة لا يزيد عدد سكانها المائتين فقال منيتو لبنته : ارى انه لا بد لنا من المبيت في هذه القرية اذ لا نستطيع بلوغ كوبلنتز هذه الليلة .

— لماذا ؟

— لان الليل قد ارخى سدوله والطريق وعرة المسالك وقد اضناك التعب فلا تتحملين المسير .

— هو ذاك يا ابي ولكني اسير حتى نصل فان هذه المدينة آخر بلد نسير اليه كما تقول .

— دون شك غير ان كوبلنتز ليست الآن مدينة المانية فقد نشبت فيها مخالب الفرنساويين .

فاجابته ببساطة : ما هذا الشعب يا ابي فاني ارى سلطته منتشرة في كل مكان .

فاجابها بصوت ابح : نعم وقد اتقدت عيناه من الحقد .

— واذا كانت هذه المدينة فرنساوية فماذا علينااذا دخلناها؟

— لا شيء . — اذن لماذا لا نواصل السير اليها ؟

— ان جميع المدن التي يحتلها الظافرون احتلالا عسكرياً يقفلون ابوابها في المساء .

— الا يدخل اليها احد بعد الغروب ؟

– كلا ولذلك لا بد لنا من المبيت في هذه القرية حتى الصباح

– اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون .

ثم سارت واياه ساكنة واجمة ولكنها لم تسر هنيهة حتى عادت الى الحديث فقالت :

اننا سنعود الى بلادنا في مركبة كما وعدتني ؟

– دون شك .

– اذن ستنال مالا في كوبلنتز ؟

فابتسم مونيتو وقال : نعم يا ابنتي وسنصل في الاوان اذ لم يبق لدي غير ثلاثة ريالات .

فلم تجب موبينا اباها ولكنها جعلت تسير وهي مفكرة مهمومة حتى ظهرت لهما منازل القرية .

وعند ذلك تشددت الفتاة وتشدد ابوها وتجددت قواهما فسارا بين تلك المنازل فرأيا بينها بيتاً مبنياً بالقرميد الاحمر وقد كتب عليه لفظة (فندق) بالالمانية .

وكان عند باب هذا الفندق غلام بين الثانية عشرة والخامسة عشرة من عمره جعل ينظر الى الغريبين حتى وصلا اليه .

فحياه مونيتو وقال له : أأنت من اهل هذا الفندق يابني ؟

– نعم فان ابي صاحبه .

– ايأوينا عنده ؟ – لا اعلم .

– ولكن هذا المنزل فندق كما ارى ؟

– نعم غير ان الفرنساويين مروا به في صباح اليوم .

– وماذا حدث ؟ – حدث انهم سلبوا كل ما فيه .

فتململ مونيتو وقال : تباً لهم من لصوص .

وعند ذلك قدم صاحب الفندق وسألها : ماذا تريدان ؟

– لقد اضنكنا الجوع وهد السير حيلنا .

– لقد كنت في هذا الصباح من اصحاب الفنادق اما الآن فلا .

– كيف ذلك ؟

– ذلك ان الفرنسويين دخلوا اليه في صباح اليوم فلم يبقوا فيه على طعام وشراب

– الم يدفعوا ثمن ما اخذوه ؟

– انهم اخذوا ما اخذوه قوة واغتصاباً وفوق ذلك فقد سلبوني كل ما اقتصدته من المال

فضم مونيتو قبضتيه ونظر الى السماء نظرة شفت عن حزنه وحقده على الفرنساويين .

فاخذ صاحب الفندق بيده وقال له : ارى انك من الاخوان .

ثم اخذ بيد الفتاة وقال : ادخلا فاننا نقتسم طعامنا وتبيتان الليلة هنا ثم تسافران في الصباح .

فدخل مونيتو وابنته الى ذلك الفندق وسأل صاحبه : ما اسم هذه القرية ؟ – فو لساج .

هل احتلها الفرنساويون ؟

– انهم احتلوها احتلالا قصيراً ولكنه كان كافياً لخرابنا وقد حدثت معركة هنا منذ خمسة عشر يوماً فلم يبق في حقولنا

سنبلة قمح فان سنابك الخيل وارجل المتحاربون قد سحقتها .

اما موبينا فانها لم تكد تدخل الى الفندق حتى اسرعت الى مقعد قرب المستوقد فانطرحت عليه وادنت يديها من النار وقد ازرقتا من البرد .

واما مونيتو فانه كان ينظر الى ما حواليه نظرات فهمها صاحب الفندق فقال له : اظنك معجباً كيف انه لايوجد نساء في هذا الفندق ؟

— هو ما تقول .

فاجابه بلهجة كئيبة : ان امرأتي ماتت منذ اسبوعين .

ثم مسح دمعة وقعت على وجنتيه واسترسل ابنه الى البكاء .

وقد اثر حزنهما في الكهل وابنته وانساهما ما وجداه من المشاق .

اما صاحب الفندق فانه جعل يتلاهى عن حزنه بوضع الطعام على المائدة فوضع قطعة من لحم الخنزير وبعض قطع صغيرة من الخبز وابريقاً من البيرة وقال لهما : هذا كل ما بقي لدينا .

فاخرج مونيتو كيسه من جيبه ودفع ريالا لابن صاحب الفندق وقال له : الا يوجد فران في هذه الناحية ؟ — نعم .

— اذهب اذن يابني واشتر لنا خبزاً .

— فاخذ الغلام النقود وانصرف .

ولكنه لم يغب دقيقة واحدة حتى عاد وعليه علائم الذعر الشديد فقال : اني خائف يا أبي فذعر ابوه وقال له :

ماذا اصابك !

– لقد جاء الفرنسيون ايضاً – كيف ذلك ؟

– انهم اتوا والطريق غاصة بهم اصغ . ألا تسمع وقع حوافر الجياد فابتسم صاحب الفندق ابتسامة حزن وقال: ماذا علينا منهم وماذا نخاف ان يأخذوا فلم يبق لنا بقية عليها .

اما مونيتو فانه جعل ينظر الى ابنته نظرات قلق وقدقبض على السكين التي كان يقطع بها الطعام فان ابنته كانت بالغة ابعد غايات الجمال .

* * *

وقد كان الولد يقول الحقيقة فان الجنود الذين رآهم كانوا بقية فيلق حراس قادم من ميانس .

وكانوا عصابات متفرقة من شر خلق الله الذين لا ينتظمون في سلك الجنود الا للنهب لا للقتال .

كانوا نحو ثلاثين جندياً من جميع الاجناس بين فارس وراجل ومدفعي وفيهم ضباط .

فلما وصلوا الى الكنيسة قال لهم الضباط : ايها الرفاق ان مدينة كوبلنتز لا تزال بعيدة عنا وانا اسألكم ان تقتدوا بي فلنبت هنا ولدينا سيوفنا وبنادقنا وهي خير نقود نبلغ بها ما نريد من المأكل والمشرب .

فتفرقوا عند ذلك وانقسموا الى عصابات فسار كل اثنين او ثلاثة منهم في طريق من طرق القرية فدخلوا البيت الذي راق لهم ان يدخلوه .

ولذلك لم يكد الغلام يرجع الى ابيه ويخبره بما رآه حتى طرق باب الفندق طرقاً عنيفاً .

فاسرع صاحب الفندق الى الباب وفتحه بيد ترتجف فدخل جنديان وضابط .

وكان الضابط يتقدمهما وقد تمزقت ملابسه فدعت حاله الى الاشفاق غير ان من ينظر الى وجهه لا يلبث ان ينفر ويشمئز لما يراه مرسوماً عليه من دلائل الشر .

وكان هذا الضابط يدعى دوشين وقد تطوع في الجيش بعد ان كان من غلمان باريس في مذبحة ستمبير .

وكان وحشي الاخلاق يبغضه الجنود ويحتقره الضباط امثاله ورؤساءه فكان يجتنب المعارك ولا يلاقي الا بين المتأخرين .

وهو قصير القامة اصفر الوجه لم تعرف شفتاه الضحك ولم يره احد الا صاخباً مغضباً وكان ازرق العينين لا تستقر عيناه كانهما مركبتان على زئبق .

اما الجنديان اللذان تبعاه فقد كانا على شاكلته وهم لم يتفقوا الا على الشر والكيد ولم يكن لهم من الجندية الفرنسية غير الانتهاء اليها .

فلما دخلوا قال الضابط بصوت الآمر ما هذا البيت الذي نحن فيه العله فندق ؟

فاجابه الالماني بصوت يضطرب : نعم يا سيدي .

— اذن اعد لنا العشاء .

— واسفاه ياسيدي انه ليس لدي شيء فقد مر بي الجنود

امس واخذو كل ما كان لدي من المؤونة .

– خسئت وما انت الا من الكاذبين .

– لم اكذب ياسيدي فلم يبق عندنا غير ما تراه على هذه المائدة فنظر الضابط الى رفيقه وقال : اذن هلم بنا نأكل هذا الموجود ثم جلس على المائدة وحانت منه التفاتة فرأى موبينا وراقه جمالها فقال لها: من انت ايتها الفتاة العلك هاربة من الجنان فارخت موبينا عينيها دون ان تجيب وقطب ابوها حاجبيه

ثم نظر هذا الضابط الوحشي الى مونيتو وقال : وانت من ايها الشيطان الرجيم ؟

فلم يجبه مونيتو ايضاً .

فسأل عند ذلك صاحب الفندق قائلا : من هذه الفتاة العلها ابنتك فقال له النوري: كلا بل هي إبنتي يا حضرة الضابط وقد نظر اليه نظرة هائلة خاف منها ذلك الضابط .

فانقطع عن السؤال عن الفتاة وعاد الى محادثة صاحب الفندق فقال له: اذن لاتريد ان تقدم الينا مانحتاج اليه من الطعام؟

– اني لا استطيع ان اقدم اكثر مما عندي .

– سوف نرى ثم اشار الى الجنديين اشارة فهماها فقام هؤلاء اللصوص الثلاثة وجعلوا يفتشون الخزائن والقبو وجميع غرف الفندق فوجدوا الخزائن فارغة والبراميل في القبو ملقية والغرف منهوبة فقال الضابط : لقد قال الحق هذا الالماني فان اخواننا لم يبقوا له شيئاً .

وعاد برفيقيه الى صاحب الفندق ففتشه وفتش ابنه فوجد معه ذلك الريال الذي كان اعطاه اياه منيتو ليشتري خبزاً فاخذه .

ولما فرغ من تفتيشهما حاول ان يفتش مونيتو فاخذ مونيتو كيسه من جيبه وكان فيه ريالان فالقاه على الارض عند قدميه وقال له : هذا كل ما املكه انا وابنتي .

فالتقط الضابط الكيس وقد سر به سروراً لا يوصف فقال :

— لقد غنمنا ثلاثة ريالات تعادل احد عشر فرنكا نقوداً فرنساوية وهي تكفينا للعشاء .

ثم دفع منها ريالا الى صاحب الفندق وقال له: اذهب في الحال واشتر لنا ما نأكله ونشربه واحذر ان تتأخر .

فخرج الرجل ممتثلا وهو يمسح الدموع المتساقطة من عينيه.

اما مونيتو فقد لزم الصمت ولكنه كان ينظر من حين الى حين الى ابنته وعلائم الرعب بادية بين عينيه .

وبعد ان ذهب صاحب الفندق عاد الضابط الى محادثه منيتو فقال له : من انت ايها الرجل ؟

— اني ادعى مونيتو . — أأنت من الالمانيين ؟

— نعم ولا . — كيف ذلك ؟

— ذلك اني بوهيمي .

— وهذه الفتاة الحسناء ؟ — انها ابنتي .

فضحك الضابط الساخر وقال : اتزوجني اياها ؟

فاجابه منيتو وقد تكلف لهجة السكينة : انني وابنتي فقراء

لانرتزق الا بشق النفس فلماذا تهزأ بنا ؟

— اني لا اهزأ ولكن ابنتك جميلة .

فاصفر وجه مونيتو من الغضب ولكن الحكمة تغلبت عليه فمنعته عن الانفجار .

فقال له الضابط : ايسوءك ايها الشيخ ان تكون ابنتك حسناء وان اهواها ؟

— ان ابنتي فتاة شريفة طاهرة .

— اذن اتزوجها على طريقة النور اي على طريقتكم فاكسر امامها ابريقاً اليست هذه طريقتكم في الزواج معشر النور ؟

— كلا يا سيدي .

— كيف ذلك الم تقل لي انك من النور ؟

— نعم ولكن ابنتي تتزوج زواجاً مدنياً دينياً يسجله الحاكم ويباركه الكاهن .

— ولكني احتقر الكهنة واكره الحكام .

فنظر مونيتو عند ذلك الى السكين التي كانت على المائدة وهي تشبه الخنجر بنصلها ولو تعرض هذا الضابط لابنته بسوء اوحاول الدنو منها لاغمد السكين في قلبه دون شك .

غير ان الضابط لم يفعل شيئاً من ذلك لان صاحب الفندق كان قد عاد بالطعام والشراب وبسطهما على المائدة .

وكان الجوع قد تمكن من هؤلاء الجنود فجلسوا حول المائدة يأكلون بملء الشراهة فكان يأكل وينظر من حين الى حين نظرات غرام الى الفتاة .

اما ذلك الوالد المنكود فكان يقول في نفسه ويلاه اني واثق من استطاعتي قتل واحد ولكني لا استطيع قتل الجميع فكيف انقذ ابنتي ؟

وعند ذلك تبودلت نظرة بينه وبين صاحب الفندق فان الشقاء يجمع بين التعساء ويؤلف بينهم بعاطفة الاخاء فكانت نظرة مونيتو الى صاحب الفندق تفيد معنى الالتجاء كأنه يقول له اتوسل اليك ان تحمي ابنتي فاجابه صاحب الفندق بنظرة مفادها سأبذل جهدي ثم نظر الى الباب وغمز بعينه كانه يقول لا يجب ان تبيت هنا وقد فهم مونيتو وابنته سر نظرات صاحب الفندق فلما فرغا من العشاء قال لابنته : هلمي بنا فان لدينا مسافة شاسعة ايضاً فلنواصل السير .

– اني متأهبة للرحيل يا أبي .

غير ان الضابط وقف معترضاً وقال : ماذا تفعلان ؟

فقال له منيتو متلطفاً : نسألك المعذرة ياحضرة الضابط فاننا مضطران الى الاسراع .

– الى اين تذهبان ؟ – الى كوبلنتز .

– انكما لا تستطيعان الدخول اليها فان ابوابها مقفلة في الليل .

– ولكنهم يفتحونها عند الفجر فنبيت في الخنادق .

– ولكنكما لا تذهبان .

– لماذا يا سيدي ؟

– لان الطريق وعرة المسالك واللصوص منتشرون فيها فلا

احب ان تصب مثل هذه الفتاة الجميلة بمكروه .

انك كريم الاخلاق طيب القلب يا سيدي ثم نظر الى السكين .

– اننا نسافر عند الفجر الى كوبلنتز وتسافران معنا .

– ولكنا يا سيدي مضطران الى الاسراع .

فاتقدت عينا الضابط ببارق من الغضب وقال له : لقد قلت انكما تسافران في الصباح وكفاك اعتراضاً فاني اريد ان تبقى .

ثم ذهب الى الباب فاقفله وعاد فقال : اني اغمد سيفي في صدر كل من يحاول الخروج .

فنظر صاحب الفندق عند ذلك الى مونيتو نظرة مفادها تظاهر بالامتثال وانا امهد لكما سبيل الفرار .

فقال منيتو للضابط عند ذلك : اننا سنبقى ياسيدي ما زلت تريد ان نبقى ولكني ارجوك ان تأذن لنا بالدخول الى غرفتنا للرقاد .

فقال صاحب الفندق لمونيتو : اتبعني لاذهب بك الى غرفة تحتوي على سريرين .

ثم انار شمعة وفتح باباً مؤدياً الى سلم وصعد فتبعه مونيتو وابنته ولم يبق في القاعة غير الثلاثة وابن صاحب الفندق فانه كان منزوياً في الغرفة ينظر الى الجنود وهو يكاد يجن من رعبه .

ولما خلا بهم المكان قام الضابط فقال لرفيقيه :

– انتظراني هنيهة فسأعود .

وخرج من المنزل فغاب خمس دقائق ثم عاد فقال : ليس لهذا

الفندق غير باب واحد فهما لايستطيعان التخلص منا الا اذا القيا بنفسها من النافذة .

فقال له احد الجنديين : عمن تتكلم ؟

— عن النوري وابنته .

— اراقت في عينك هذه الفتاة ؟

دون شك فانها بارعة الجمال .

وانا ايضاً فقد رأيتها بعينيك .

وقال الجندي الآخر : وانا ايضاً .

فاضطرب الضابط لقولهما وقال : ارى انكما لا تحترماني انسيتما اني ضابطكما وانه يجب عليكما طاعتي ؟

فقال له احدهما : كفاك شقشقة اننا نطيعك في ساحة القتال لا في ساحة الغرام .

— سوف ترى ايها الوقح ثم جرد حسامه من غمده .

فقهقه الجندي الآخر ضاحكا وقال :

— ما هذا الذي نصنعه العلنا من غير عقل ؟

— لماذا ؟

— ان هذه الفتاة قد راقت لنا جميعنا فلنقترع عليها فمن اصابته القرعة كانت الفتاة من نصيبه .

فاجابه رفيقه الجندي : لقد اصبت فلنقترع .

غير ان الضابط لم يقبل الاقتراع وقال : كلا اني اريدها لنفسي .

— اذن نلعب عليها — بماذا؟

– بأي لعبة يتيسر لنا ايجادها .

فايقن الضابط ان الجنديين مصممان وان عزيمتهما ثابتة فقال في نفسه : ان ضعيفين يغلبان قوياً ثم قال لهما: لابأس فلنلعب بالورق ولكن اين نجده .

–لابد من وجود ورق في هذا الفندق .

وعند ذلك عاد صاحب الفندق فقال له الضابط ألديك ورق لعب ؟ – هاته .

فذهب صاحب الفندق ممتثلا وقد اتقدت عيناه ببارق من الامل

١٤

الهرب

وكان صاحب الفندق قد صعد بالنوري وإبنته الى الدور الاعلى وكانت موبينا تصعد السلم متكئة على ذراع ابيها وهي تضطرب اضطراب اجنحة الطائر.

اما مونيتو فانه حين قام عن المائدة سرق السكين دون ان ينتبه اليه احد ووضعها في جيبه .

فلما فتح صاحب الفندق لهما باب الغرفة وضع اصبعه على فمه اشارة الى السكوت ثم دنا من مونيتو فهمس في اذنه قائلا: انك اذا اقمت الليلة هنا تدنس شرف ابنتك .

فأجابه مونيتو بسكينة ارعبته : انني واثق مما تقول ولكني اقتلها قبل ان يصلوا اليها فلا ينالونها غير جثة لا روح فيها .

ـ ولكن يجب ان تهربا .

ـ كيف السبيل الى الفرار ؟

قال : ان فندقي ليس له غير باب واحد وهم يخفرونه دون شك فلا سبيل الى الخروج منه ولكن انظر الى هذه النافذة انها

تعلو سته اقدام عن الارض فمتى تركتكما تعقدان اغطية السرير في النافذة وتنزلان منها الى الارض .

فشكره مونيتو بالنظر وخرج صاحب الفندق وهو يدعو لهما بالتوفيق وعند ذلك سأله الضابط ان يعطيه ورقاً للعب فذهب صاحب الفندق كي يحضر لهما طلب وقد اشرق وجهه باشمة الرجاء ذلك انه قال في نفسه انهم سينشغلون في اللعب وفي خلال ذلك يكون الرجل قد فر بابنته .

وقد اسرع واحضر لهم ورقاً قديما متسخاً فاخذه الضابط وخلطه ثم قال لرفيقيه : بماذا تريدا ان تلعبا ؟

قال احد الجنديين : نلعب الايكاته على سبعة بنوط فمن كان الرابح الاول كانت له الصبية .

وكان الضابط واثقاً من حسن بخته ولكنه اخطأ بهذه الثقة فقد كان الرابح احد الجنديين فصاح صيحة فوز ورمى الورقة قائلا : ان الصبية لي .

فقال له الضابط : كلا اذ يجب ان نلعب مرة ثانية حسب الاصول كيف ذلك اننا لم نشترط ان نلعب مرتين ؟

— سوف ترى اذا كنا اشترطنا ثم جرد حسامه وهجم به على الجندي .

غير ان الجندي لم يكترث به فانه جرد حسامه ايضاً وقال له انك لاتخيفني .

اما الجندي الآخر فلم يتداخل في الامر بل قال في نفسه : ان الظفر بواحد ميسور لا سيما بعد ان يكون تعب من

العراك ولابد لواحد منهما ان يظفر بالآخر فافتك حينئذ بالظافر.
اما صاحب الفندق وابنه فقد انزويا في زاوية القاعة يتفرجان على هذا المنظر الكريه وقد ملء قلبا هما ذعراً.
وكان العراك شديداً بين الاثنين والجندي يدافع عن نفسه دفاع الاسود حتى انه جرح الضابط في كتفه وذراعه غير ان سيف الضابط كان طويلا فحمل عليه حملة منكرة وطعنه طعنة نجلاء فاخترق الحسام صدره.
وعند ذلك صاح الجندي صيحة الم وسقط على الارض والدم يتدفق منه فضحك الضابط ضحكا عالياً وقال: انه سيء البخت.
ثم انه نظر اليه كي يرى ما صار اليه فوجد الروح تحشرج في صدره فقال: انه مات والصبية لي.
وقد حاول ان يصعد السلم ولكن الجندي الآخر طمع به اذ رآه جريحاً فتصدى له وقال: كلا انك لم تغنمها بعد فاني لا ازال في قيد الحياة.
فنظر اليه الضابط نظرا شزرا وقال له: أتريد أنت أيضاً أن تموت فجرد الجندي حسامه وقال له سوف نرى.
— إذن مت غير مأسوفاً عليك فأنت اردت الموت.
ثم هجم عليه فقال صاحب الفندق في نفسه: أن الفتاة واباها قد هربا دون شك وزال كل خطر.
اما الضابط والجندي فلم يطل العراك بينهما فأن الجندي شعر ان الضابط قد استطال عليه وانه ليس من رجاله فرجع خطوة الى الوراء وقال له: تمهل قليلا.

وكانت عينا الضابط تتقدان بنار الغضب فقال له : ماذا تريد فاحتمى الجندي وراء المائدة وقال له : ارى من الخرق أن نقتتل على امرأة في حين ان الاتفاق ممكن ميسور .

– لا احب لدي من الاتفاق بشرط ان تكون الصبية لي .

– ستكون لك – ارجعت عنها ؟

– كل الرجوع .

لقد احسنت إذ اقتصدت حياتك ثم اغمد حسامه ومسح دمه بمنديل وهو يقول : انها لي .

وعند ذلك اندفع الى السلم فكاد ابن صاحب الفندق يجن من الرعب اما صاحب الفندق فقد كان واثقاً من ان النوري تمكن من الفرار فلم ينتقل من مكانه وجعل ينظر نظرات حزن واشفاق الى جثة الجندي الغارقة بالدماء .

اما الضابط فانه صعد السلم وهو يسير سير الظافر المنصور حتى وصل الى الغرفة فقرع بابها فلم يجبه احد .

ثم عاد القرع فلم يفتح له فرفس الباب برجله فانكسر .

وعند ذلك جمد الدم في عروق صاحب الفندق إذ سمع صياح امرأة وعلم ان ضيفيه لم يهربا .

كان مونيتو وابنته لا يزالان حقيقة في الغرفة وذلك ليس لا نهماجذعا من الفرار ولكنهما لم يجدا سبيلا اليه فقد حالت حادثة غير منتظرة دون مرامها فاخرتهما عن النزول من النافذة الى ان جاء الضابط .

وبيان ذلك انه بعد ان خرج صاحب الفندق من الغرفة

واوحى الى مونيتو فكرة الفرار دنا مونيتو من النافذة ليفتحها واخذت ابنته بجدل الشراشف كي يتعلق بها .

فلما فتح النافذة رأى جنديين فرنساويين اقبلا وجلسا فوق حجر تحت النافذة .

وكان الظلام قد اقبل غير ان نور القمر كان ساطعاً وهاجاً فرآهما مونيتو وايقن انه بات بين خطرين لان الجنديين اذا رأياه يخرج من نافذة الفندق مع ابنته قبضا عليهما دون شك .

فرأى مونيتو ان يصبر قليلا إذ قال في نفسه ، ان الجنديين لا يلبثان ان يذهبا فان البرد شديد .

غير انه ساءه فألا فان الجنديين اشعلا سيكارتيهما وجعلا يتحدثان غير مكترثين لهذا البرد كأنهما جالسين قرب موقد .

فاغلق مونيتو باب الغرفة ووقف ينتظر والخنجر في يده متأهباً لكل طارىء .

فقالت له ابنته : اني لا اريد يا ابي ان اقع في قبضة هؤلاء الاشرار وانا في قيد الحياة .

فأجابها بلهجه القانطين : طيبي نفساً فساقتلك قبل ان يصلوا اليك .

ثم جعل يسير بين الباب والنافذة بخطوات غير موزونة وهو يهز الخنجر في يده .

وكانت اصوات ضحك الجنود تصل اليه ثم سمع صياحاً ثم شتا فبرق وجهه باشعة الرجاء وقال لابنته بصوت منخفض : انهم يتخاصمون ثم اخذ الجندي والضابط بالعراك فسمع مونيتو

كل ما جرى حتى انه سمع صوت سقوط الجندي فقال لابنته بصوت منخفض انه اذ لم يبق منهم غير واحد كنت كفؤاً له .

وبعد حين صعد الضابط فتوهم مونيتو انه قتل الجندي الآخر فكمن له وراء الباب .

فلما كسر الضابط باب الغرفة كما تقدم ودخل اليها صاحت موبينا صيحة ذعر .

غير ان مونيتو انقض على هذا الضابط انقضاض الصاعقه قبل ان يتمكن من تجريد حسامه .

وكان الضابط قوياً شديداً غير ان مونيتو كان شديداً ايضاً وفوق ذلك فقد باغته مباغتة وخنجره بيده فحمل عليه حملة هائلة واغمد الخنجر في صدره فسقط على الارض صريعاً لا يعي .

وعند ذلك اسرع الى بنته وقد سقطت على الارض لزعبها فحملها واسرع بها الى السلم .

ولكنه لم يكد يبلغ آخر السلم حتى تصدى له الجندي الباقي مشهراً حسامه وقال : انك لا تمر .

فزمجر مونيتو زمجرة الاسود ثم وضع إبنته على السلم وهجم على الجندي بخنجره .

غير إن الجندي مد سيفه حتى كاد يبلغ الى صدر مونيتو فتوقف هذا الاب المنكود عن الهجوم .

وقد كاد يخر صريعاً بحسام الجندي لو لم ترد اليه مساعدة لم يكن يتوقعها .

وذلك ان صاحب الفندق أخذ كانوناً ملوءه النار ورمى به

وجه ذلك الجندي فصاح الجندي صيحات ألم منكرة وسقط الحسام من يده فانقض مونيتو عند ذلك عليه وطعنه بخنجره في بطنه فسقط صريعاً .

ثم عاد الى ابنته وقد اغمي عليها فحملها على كتفيه وخرج بها هارباً من ذلك الفندق وقد انقذته تلك العناية الالهية التي تساعد كل من يبدأ بمساعدة نفسه .

*

كان البرد شديداً قارصاً تجمدت به المياه وتراكمت الثلوج في الطرقات غير ان القمر كان في اشد توهجه وتألقه فكان مونيتو يسير راكضاً بابنته محمولة على كتفه وهي مغمى عليها حتى بعد عن القرية بعداً شاسعاً ودخل الحقول فوقف هنيهة يستريح وجعل يصلي ويقول رباه ابلغني مدينة كوبلنتز وهناك تأمن بنتي كل خطر ثم يواصل السير وهو يلتف خائفاً الى ورائه من حين الى حين كأنه يخشي مطاردة الجنود .

وكانت السكينة سائدة في تلك الحقول المقفرة فأثرت برودة الطقس وهواء الليل بابنته فاستفاقت من اغمائها .

وقد شعر مونيتو انها تحركت فوق كتفيه ثم تنهدت فوقف عن السير وانزلها عن كتفيه .

وعند ذلك فتحت موبينا عينها وقالت : اين انا ؟

فعانقها ابوها وقال لها لا تخشي يا ابنتي فانا ابوك.

ثم وضعها بلطف على الارض فنظرت الى ما حولها نظراً

حائراً وقالت : اين نحن ؟
اننا في مأمن من الاخطار فلا تجزعي .
والجنود ؟ — قتلت اثنين .
— والآخرون .
— لم يطاردونا واذا كانوا قد فعلوا فقد غاب اثرنا عنهم ألا ترين اننا وحدنا !
فنهضت موبينا وشكرت الله ثم قالت له :
لم تعد محتاجاً الى حملي ياابي فاني قادرة على المشي .
— وفوق ذلك فاني اعدو بك منذ ساعة وقد قربنا من كوبلنتز
وسار الاثنان بين الحقول فكان مونيتو يجتنب الطريق العام اجتناباً للناس فرأى بعد ساعة على نور القمر مدينة شامخة فوق قمة عالية ونهر الرين يجري من تحتها .
فقال لابنته :
— ها هي المدينة وسنبلغها بعد نصف ساعة فتشددي.
— ولكن الم تقل لي يا ابي اننا لانستطيع الدخول اليها في الليل ؟
— هذا لاريب فيه ياابنتي ولكن يوجد في ضواحيها محلات نبيت فيها .
— واين نبيت في المدينة اذا لم يكن لديك نقود ؟
فابتسم مونيتو وقال :
— اننا نجد في كوبلنتز كل مانحتاج اليه .

– ألك اصدقاء في تلك المدينة ؟
– لي صديق يهودي يدعى صموئيل جرب .
– وهذا اليهودي ايسلفك ما تحتاج اليه ؟
– بل استطيع اخذ كل ما لديه اذا شئت .

فتنهدت موبينا تنهد الرضى وواصلت السير دون عناء بعد هذا الامل .

وفيما هما يسيران سمعا صوتاً من ورائهما فاصغى مونيتو الى الصوت فلم ينتبه ولكنه كان يزيد دنواً فانبطح على الارض ووضع اذنه فوق التراب واصغى فاتضح له الصوت وعلم انه وقع حوافر جياد كثيرة تعدو .

فنهض مذعراً وقال في نفسه : العلهم الجنود وهم يطاردونني بعد ان علموا بأمري !

وعند ذلك نظر الى ما حواليه فرأى حفرة فنزل اليها مع ابنته وقال :

احذري ان تتحركي .

وبعد هنيهة اقترب الفرسان فرفع مونيتو رأسه فرأى على نور القمر ان القادمين جنود فرنسيين فعاد الي الاختباء بعد ان جرد خنجره وعزم على قتل ابنته انقاذاً لها من العار اذا رآها الجنود وحاولوا الاعتداء عليها .

غير انهم مروا بالحفرة دون ان يتوقفوا .

فلما ابتعدوا خرج مونيتو وابنته من الحفرة وقال لها: هلمي بنا نواصل السير .

فقالت له ابنته : اني خفت خوفاً شديداً ياابي .

– ولكنهم لم يرونا لحسن الحظ .

– لو كنت تعلم ياابي كم كان يخفق قلبي حين مرورهم .

– انهم قد يروننا ولا يسيئون الينا فليس كل الجنود الفرنسيون مثل هؤلاء الاشرار .

– اتظن ذلك يا ابي .

– دون شك فان اولئك الذين تعرضوا لنا كانوا من رعاع القوم الذين يغتنمون فرض الحروب فيدخلون في سلك الجندية طمعاً بالسلب .

– ربما كنت مصيباً يا ابي ولكن ارى انه خير لنا ان نبيت في هذه الحفرة الى الصباح .

– ولكن البرد شديد لا طاقة لنا باحتماله .

– لا بأس اذ نتقي الخطر .

– ولكننا اذا غفونا فقد يقتلنا البرد وماذا علينا اذا واصلنا السير انى خائفة .

– من اي شيء تخافين :

– اخاف ان يكون هؤلاء الفرسان قادمين لمطاردتنا .

– ان هذا محال .

– بل اخاف ان يقبضوا علينا حين وصولنا الى المدينة .

فهز مونيتو كتفيه وقال : لاتخافي فاننا لانذهب الى ابواب المدينة قالت : اذن الى اين نذهب .

– الى اول منزل نصل اليه .

– احق ما تقول يا ابى ؟

– دون شك .

ثم سارا حتى وصلا الى كوبلنتز فاجفل مونيتو اذ لم يجد منازل في ضواحيها كما كان يتوهم ولم يظهر له غير الخنادق وباب المدينة .

– فقالت له موبينا :

ارأيت يا ابي انه لا يوجد منازل كما توهمت فلنبت في هذا الخندق .

– كلا بل نتقدم الى الباب .

وفيما هما يتجادلان رأيا حارساً قد خرج من الحصن .

وقال : من القادم ؟

فقال لها ابواها : لقد رآنا الحارس ولم يبق سبيل للرجوع فتقدمي فأعاد الحارس السؤال باللغة الالمانية قائلا : من القادم ؟

فدنا منه مونيتو وقال : اني رجل فقير قادم مع ابنتي الى المدينة وقد اضنكنا البرد والجوع .

– تقدما فقد يؤذن لكما حارس الباب بالدخول اذ لم يريبه امر كما فقالت له موبينا : انهرب ياابي .

–لم يبق سبيل للفرار وخير لنا ان نبلغ الباب .

ثم تقدم فتبعته ابنته حتى وصلا الى باب المدينة فوجدا الباب مفتوحاً وفي كل جهة منه حارسان .

فسأل احد الحراس مونيتو قائلا له : من انتما ؟

– المانيان

– اللعك من الجنود ؟

– كلا بل اني فقير نوري ارتزق مع ابنتي بالالعاب السينمائية .

– اتريد ان الدخول الى المدينة ؟

– نعم ان البرد شديد ونحب ان نبيت في احد فنادقها وقد سمع هذا احديث احد الضابط وجنديان فدنا وقال لهم الضابط بلهجة المؤنب: ماذا حدث ؟

فأجابه احدهم : لا شيء سوى ان هذا النوري وابنته يريد ان الدخول الى المدينة .

فقال لهما الضابط بلهجة رفق : .

– ادخلا معي لنرى في امر كا فتشجع مونيتو ودخل الى المخفر فقال الضابط .

– الديك اوراق نظامية .

– نعم ثم اخرج من جيبه جوازاً واعطاه اياه .

فنظر الضابط في الكتابة فلم يفهمها فقال له ما هذة اللغة ؟

– اللغة الهنغارية .

فالتفت الضابط الى من حوله وقال :

– من منكم يعرف اللغة الهنغارية فلم يجبه احد اذ لم يكن بينهم من يعرفها .

وفيما كان الضابط ينظر الى مونيتو ارتعش فجأ اذ رأى اثر الدم على ثيابه وثياب مونيتا فقال له : ما هذه الدماء

– انه دم شقيين كانا يحاولان تلطيخ شرف بنتي .

عند ذلك تقدم احد الجنود الذين وصلوا منذ ساعة اخبرونا بكل ما جرى .

فصاحت موبينا صيحة رعب .

وأمر الضابط ان يفتشوا مونيتو ففتشوه فوجدوا معه ذلك الخنجر وهو مصبوغ بالدماء .

وعند ذلك عاد الجندي الى قوله .

— انه هو القاتل دون شك .

فكبر ذلك على مونيتو وقال لهم بملء الشهامة : نعم انا هو القاتل ولو كنتم في مكاني لما فعلتم غير ما فعلت .

فقال له الضابط : ان ذلك ممكن ولكني اخشى عليك ايها المنكود ان تعدم غداً رمياً بالرصاص .

فعانقت موبينا اباها وطوقته بذراعيها كأنها تريد ان تكون سداً بينه وبين الجنود .

١٥
النوري مونيتو

ان هذا الضابط الذي كان يتولى حراسة باب المدينة كان شاباً يناهز الخامسة والعشرين من العمر .

وكانت هيئته تدل في حين واحد على الشدة والسلامة فعلم للفور بعد مارآه من جمال الصبية الحقيقة بجملتها .

وكان يعرف طباع الضابط داشين حق العرفان فلم يخالج قلبه اقل ريب بصدق ما قاله مونيتو وايقن ان ذلك الضابط الفاسد الاخلاق اراد اغتصاب الفتاة فلم يجد والدها المنكود بداً من قتله صيانة لشرفها .

غير ان قائد الجيش العام كان لسوء الحظ شديد الصرامة وقد القي الرعب في كل مكان فهو لا ينظر دون شك الى هذه القضية من وجهتها الادبية بل يعتبر ان هذه النوري الالماني قتل ضابطاً فرنسياً فلا بد ان يجازي بالاعدام .

وقد عرف الضابط هذه المعرفة ونظر الى الفتاة والى الجنود الذين كانوا ينظرون اليها مبهوتين بجمالها فاشفق عليها وخشي ان تبيت في المخفر بين اولئك الجنود فالتفت الى مونيتو وقال له

بلهجة المشفق ان شأنك خطير ايها الرجل وان كنت معذوراً فيما فعلت فان الاحكام العرفية في هذه الايام لاتعذرك غير انهم لا يعدمونك قبل مساء الغد .

فاشرق وجه مونيتو الرجاء لهذا القول .

ومضى الضابط في حديثه وقال : انك ستقتل دون شك ولكنك تجد متسعاً من الوقت لوضع ابنك في محل امين قبل ان تموت فهل انت من اهل هذه المدينة ؟

— كلا — أأنت قادم اليها لاول مرة ؟

— نعم — اذن لا تعرف احداً فيها ؟

— بل لي صديق بين اهلها — ماذا يدعى ؟

— انه يهودي يدعي صموئيل جوب .

— اتعلم اين يقيم ؟

ففتش مونيتو بين اوراقه الى ان عثر بالورقة التي يبحث عنها فقرأ ما فيها وقال : انه يقيم في شارع لانج ستريس نمرة ١٢٥ فاعترض احد الجنود الضابط قائلا : كيف ذلك ألا تقتلون في الحال رجلا غريباً يقتل احد ضباطنا .

فقال له الضابط : ان الاعدام لايكون الا بعد المحاكمة في مجلس عسكري .

فتململ الجنود اذ لم يرق لهم ذلك الامهال.

فضرب الضابط الارض برجله مغضباً وقال : اتجسرون على الاعتراض الست المسؤول دونكم عن هذه الشؤن؟

فسكت الجنود وجعل كل ينظر الى رفيقه .

اما الضابط فانه عاد الى مونيتو فقال له : اني سأبعث معك من يوصلك ويوصل ابنتك الى منزل صموئيل جوب فتودعه إبنتك وتوصيه بها كما تريد ثم يرجعون بك الى السجن حيث تقيم فيه الى الغد فبكى مونيتو بكاء السرور واخذ يد هذا الضابط فقبلها شاكراً اما الجنود فانهم عادوا الى التململ والنظر الى بعضهم نظرات القهر لا عتقادهم ان ضابطهم قد اخل بواجباته بحماية الفتاة ما خلا واحد منهم فانه كان راضياً اتم الرضي عن شهامة الضابط وقد ظهرت علائم رضاه بين عينيه فرأى الضابط تلك العلائم فناداه وقال له : خذ رجلين وسر بهذا النوري وابنته الى منزل اليهودي اتعرف منزله — نعم .

اذن خذ هذين الجنديين واشار الى اثنين ان يسيرا معه ويمتثلا له وقال : دع هذا النوري ان يكلم اليهودي اذا اراد ان يوصيه بابنته وارجع به الى السجن .

ثم اشار الى مونيتو وابنته ان يتبعاه فامتثلا وجعلت موبينا تبكي فقال لها ابوها بلغة بوهيمية : لا تحزني يابنتي فانهم لم يعدموني بعد صموئيل سينقذني .

فنظرت اليه من خلال دموعها وقالت له : كيف ترجو ان ينقذك مثل هذا اليهودي المسكين ؟

— سوف ترين .

ثم سار معها بقدم ثابتة فكانت موبيتا تنظر الى ابيها فيقر بالها بسكينته .

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وجميع المنازل والدكاكين

لا تزال مقفلة وقد خلت الشوارع من النـــاس فلا يرى فيها غير الحراس يسيرون ذهاباً وايابا من حين الى حين .

وما زالوا يسيرون ذهاباً حتى وصلوا الى منزل صموئيل وهو منزل منخفض لا يوجد تحته غير مخزن كتب على جدرانه بحروف كبيرة

«صموئيل جوب » يشتري كل ما يعرض عليه ويسلف برهونات فطرق الجندي الباب بخشب بندقيته فلم يجبب احد فوالى الطرق ففتحت نافذة وبرز منها رأس رجل فقال : من الطارق ؟

فقال الجندي : أأنت هو صموئيل جوب ؟

– نعم ماذا تريدون ؟

– اننا قادمون اليك باحد اصحابك .

فاجابهم بجفاء : ليس لي اصدقاء .

فكلمه عند ذلك مونيتو بلغة غريبه لم يفهمها الجنود فانذهل صموئيل انذهالا مقروناً بالفرح وقال لهم اصبروا فسأفتح لكم .

ثم نزل فسمع الجنود صوت الاقفال التي كان يفتحها صموئيل تباعا .

وقد كان صموئل قوياً شديداً يناهز الخامسة والاربعين من العمر براق العينين يبدو عليه من السكينة ما يخفى ظواهر قوته وكان يحترف تسليف النقود وقد اكره الجنود الفرنسيين على احترامه وذلك انه حين احتل الفرنسيون هــذه المدينة جاءة جنديان وحاولا ان يسيئا اليه طمعاً بماله .

ولكنه يرهبهما بل اوقع الرهبة في قلبيهما فانه اخذ كل منهما بيد والقاهما خارج منزله بقوة عجيبة دهش لها الجنود واحترموه بعدها اذ لا شيء يحترم مثل القوة .

منذ ذلك اليوم شاع امر قوته وبأسه بين الجنود فلم يعد احد يجسر على التعرض له بسوء .

فلما سمع صموئيل كلمات مونيتو نزل مطمئناً جذلا وفتح الباب ولكنه لما رأى الجنود محدقة بمونيتو تراجع منذعراً الى الوراء ثم التفت الجندي الذي رهن عنده ساعته وقال له : هذا انت ؟

ثم نظر الى مونيتو نظرة دلت على ان هذين الرجلين لم ير احدهما الاخر قبل هذه المدة .

اما مونيتو فانه اسرع وقال له بتلك اللغة الغريبة : لا بد ان يكون انبأوك بقدومي .

– اني كنت انتظرك كل يوم .

– هوذا قد اتيت .

– ولكن ما شأن هؤلاء الجنود معك ؟

اني أسيرهم – متى وقعت في قبضتهم ؟

– منذ ساعة .

فابتسم صموئيل وقال : ان هؤلاء الفرنسيين لا يثقون باحد وقد اشتبهوا باوراقك فجاءوا بك الي كي اضمنك اليس كذلك ؟

فهز مونيتو رأسه وقال : حبذا لو كان الامر كما تقول ولكنهم جاءوا بي اليك كي أئتمنك على ابنتي .

فنظر صموئيل الى موبينا فرآها تضطرب اضطراباً ظاهرا فقال لا بيها : ولكن ماذا حدث ؟

اننا كنا في اول الليل في فندق في قرية فدخل اليها الجنود وارادوا اغتصاب ابنتي.

فاضطرب صموئيل وقال : وبعد ذلك ؟

– قتلت اثنين منهم .

فذعر صموئيل ذعراً شديداً وقال : يا آلهة اسرائيل ماهذه النكبة ثم قال لمونيتو ولكنك اذ كنت ارتكبت هذه الجناية فانت مقتول لا محالة . – ربما .

-- بل ذلك اكيد ولو كان لديك اضعاف ثروتك فان المال لا ينجيك .

وكان صموئيل يكلم مونيتو بلغة لو فهمها الجنود لكان ذهو لهم شديداً اذ لا يخطر لهم في بال ان هذا الرجل النوري الفقير الذي يطوف البلاد في ظلمات الليل مع إبنته مشياً على الاقدام من اعظم اغنياء الارض .

* * *

كان الجندي الذي انتدبه الضابط لا يصال مونيتو الى منزل صموئيل من اهل السلامة والمروءة ولكنه كان قليل الصبر فلما رأي ان الحديث قد طال بينهما قال لهما : الم تفرغا بعد من الحديث بهذه اللغة الغريبه ؟

فقال له صموئيل: أسئلك المعذرة فقد غلب علي النطق بلغتي الاصلية حينما رأيت هذا الصديق ولكننا لم نفه بشيء نخاف

أن تسمعوه .

– حسناً ولكنك تعلم لماذا اتينا .

قال : كلا لم اعلم بعد

قال : اننا جئنا بهذه الفتاة كي نقيمها عندك اذا احببت .

– وكيف لا اريد ؟

– وسنعود بأبيها .

– الى اين ؟ – الى السجن .

– معاذ الله ان اعترضكم في واجباتكم ولكن انظر الى هذين المنكودين فقد اضنكهما التعب والجوع .

– هو ذاك فاننا لم نأكل ولم نسترح منذ امس فقال صموئيل للجندي : اتأذن ان ادخل الى منزلي فاطعمهما ؟

– لا بأس بشرط ان لا يطول زمن الانتظار .

– انك تضيع هذا الزمن بشرب كأس من الخمر فانه يفيد في هذا البرد القارص .

فرضي الجندي ودخل مع رفيقة ومونيتو وموبينا .

فاقفل اليهودي الباب الخارجي من ورائهم ودخل بهم الى قاعة كبيرة احتوت على جميع اصناف البضائع وهي محزومه .

وكان يوجد ستارة في وسط القاعة فازاحها صموئيل وتقدم الجماعة الى قاعة اخرى احتوت على اثاث منزلي .

وكان فيها خزانة ففتحها صموئيل فاخرج منها زجاجة خمر وقدمها للجنود ثم دخل بمونيتو وابنته الى غرفة اخرى فقال لمونيتو ، ان المقام ضيق فاخبرني بالعجل ماذا يجب ان اصنعه

لانقاذك.

فاجابه مونيتو بلغة النور قائلا : يوجد جنرال فرنسي في كوبلنتز وهو يتولى انقاذي .

– اتعرفه ؟

– كلا ولكن احمل رسالة اليه .

فنظر صموئيل الى مونيتو نظرة انذهال فقال له مونيتو : ارى انك غير واثق بي .

– لماذا ؟

– لانك لاتعرف مني غير اسمي فان علائقنا وان تكن متصلة منذ عشرة اعوام غير انك لم ترني ولم ارك الان .

– ان مثل هذا يحدث كثيراً بين تجار يتعاملون ولا يقيمون في بلد واحد .

– وانك ستقول في نفسك ان هذا الرجل الفقير اراد ان ينقذ نفسه باسم ملك النور في النمساو حارس خزائن اخوانه .

الحق اني مسيء بك الظن اذ لا يخطر لي في بال ان مونيتو اغنى رجل في اوربا يطوف طوف المتشردين من مكان الى مكان مشياً على الاقدام ويعرض نفسه وإبنته لهذه الاخطار .

– السبب في ذلك ان اللصوص نهبونا على الطريق ولم يبقوا غير ثلاثة ريالات فاضطررنا ان نسير على الاقدام من فرانكفورت غير ان هؤلاء اللصوص لم يخطر لهم ان يبحثوا في شعر راسي .

– ولو فعلوا فما كانوا وجدوا ؟

– كانوا وجدوا هذا . ثم اخرج من شعر رأسه حجراً براقاً

من الماس يبلغ حجم بيضة الحمام ودفعه الى صموئيل .
فذهل صموئيل حين رآه وقال : ارجوك المعذرة فانت هو مونيتو بعينه لان مثل هذا الالماس الثمين لا يوجد الا عندك .
– اني لقيت اشد العناء في الطريق وخشيت بيع هذا الخنجر حذرا من اللصوص على ثقتي انك تعطيني كل ما احتاج اليه من المال .
– ان كل ثروتي بين يديك اذا اردت اخذها بجملتها فعلت فلننظر الان في ما هو اهم من هذا .
فابتسم مونيتو وقال : اتظن انهم يعدمونني غدا ؟
– ان السلطه بيد الفرنسيين الان .
– اني عالم بهذا .
– وانا واثق انك لو بذلت كل ثروتك لما انقذت من ايديهم فلم يضطرب مونيتو ولكنه فتح سترته وجعل يقطع بسكين خيوط بطانتها فلما انتهى مد يده واخرج رسالة مكتوب عنوانها بالالمانية ودفعها الى صموئيل فقال له : لايجب ان نضيع لحظة وان تسرع بهذه الرسالة الى الجنرال بيشارجي اليس الجنرال في كوبلنتز ؟
– انه كان فيها امس .
– اذن فاعلم انه متى وصلت اليه هذه الرسالة انقذني اما ابنتي ....
فقاطعه صموئيل قائلا: انها تكون في منزلي آمنة من كل شر.
فابتسم مونيتو ونظر الى ابنته نظرة حنو ثم قال لها : امسحي

دموعك يا موبينا فان اباك لا يزال في قيد الحياة وهو لا يموت بايدي الفرنسيين باذن الله .

فزاد انذهال صموئيل لمارآه من سكينته ووثوقه من النجاة فابتسم له مونيتو وقال له : الا تزال المانياً صادق الوطنية ؟

– اني اكره الفرنسيين كره الابالسة .

– اذن استطيع ان ائتمنك على سر .

– دون شك وفوق ذلك فان ما بيننا من العلائق التجارية يضمن لك كتماني .

– اذن فاعلم اني قادم الى كوبلنتز بصفة سفير .

– كيف ذلك ؟

– انك تعرف مقام طائفتي في النمسا ومنزلتي الخاصة عند الامبراطور .

– اعرف كل ذلك .

– ثم تعلم اني اسست شركة سرية وأسلفت مبالغ خطيرة جيش كونده وحزب فرنسا الملكي .

– نعم وقد عرفت هذا ايضاً .

– وان الجنرال بيشارجي يتولى قيادة جيش الرين الجمهوري وهذا الجنرال لا أحب اليه من خيانة الجمهورية والانضمام الى حزب الملكية مع جيشه والزحف الى باريس وأنا قادم لمخابرة الجنرال بهذا الشأن .

– انت !

قال : نعم وقد اتيت بكتاب الى الجنرال سلمت من القتل .

ولم يكن الجنود قد سمعوا كلمة من الحديث ولكنهم كانوا

قد افرغوا زجاجة الخمر فدنا الجندي الذي جاء بمونيتو من الغرفة ففتح بابها وقال لمونيتو : الم تفرغ بعد ؟

فقال له مونيتو : نعم .

– اذن هلم بنا . – اني مستعد للمسير .

وعند ذلك نظرت موبينا الى اباها وجعلت تبكي فقال لها : لاتبكي ياأبنتي فانهم لا يقتلونني .

ثم نظر الى صموئيل وقال له : باللغة النوري: ارجوك ان تعتني بابنتي وان تسرع بايصال الكتاب الى الجنرال .

فاجابه صموئيل بنفس اللغة : انه سيكون عنده بعد ساعة.

فضم مونيتو ابنته الى صدره وعانقها عناقاً طويلا ثم سار مع الجنود فودعهم صموئيل الى الباب وعاد الى موبينا وهي تبكي لفراق ابيها وخوفها عليه بكاء الاطفال .

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف من الصباح فقال لها صموئيل : لا تجزعي ياابنتي فاني سأذهب الى الجنرال حين يشرق النهار وثقي بانقاذه كما انا واثق .

واقام معها يواسيها حتى بزغ الفجر فقال لها : نامي يا ابنتي واستريحي بالرقاد فاني ذاهب لقضاء هذه المهمة وسيعود اليك ابوك قبل ان تستيقظي .

وقد هم بالذهاب بعد ان اوصى موبينا ان لا تفتح الباب لاحد وفيما هو يحاول الذهاب سمع طرقاً على بابه .

ففتح الباب فرأى رجلا لا بسا ملابس الضباط الفرنسيين فعرفه صموئيل لانه كان قد رهن عنده مجهورات مرات كثيرة

اما الضابط فانه حياه وقال له : ارجوك المعذرة لازعاجك فان السبب هو اني وجدت نوراً ينبعث من نافذة غرفتك فايقنت انك صحوت .

فقال له صموئيل : هو ذاك .

فابتسم الضابط وقال له : لقد عرفت دون شك السبب في زيارتي ثم اخرج ساعته وسلسلتها وقال له : كم تسوى الساعة والسلسلة فنظر صموئيل اليها وقال له : اتريد بيعها ام رهنها ؟

– لا فرق عندي بين البيع والرهن بشرط ان اظفر بما انا محتاج اليه من المال قبل الظهر .

– انهما تسويان ياحضرة الضابط اربعين ريالا .

فهز الضابط رأسه وقال : ان هذا المبلغ قليل لا يكفيني فقال له صموئيل : ولكن هذا كل ما استطيع دفعه لك

– اذن فاعلم اني صرفت ليلة امس في منزل الجنرال داغوبير فلعبت وخسرت كل ما معي واستلفت خمسين ريالا من الجنرال فخسرتها .

– انك تريد ارجاعها اليه ولا تعلم كيف تجدها ؟

– هو ذلك فان دين القمار يجب ان يدفع في اليوم التالى كما تعلم فهز صموئيل كتفيه وقال : لقد قلت لك ان الساعة والسلسلة لا تسويان اكثر من اربعين ريالا .

– ولكني اقسم لك ....

– لقد عرفت ما تعني فانك تريد ان تقسم لي انك رجل شريف وانك ترجع لي هذه القيمة .

— هو ذاك فما نكثت مرة بوعدي .

ولكنك غير محتاج الى هذا المال قبل الظهر .

فحسب الضابط ان صموئيل قد رق له فقال : دون شك بشرط ان اكون واثقاً من نيله عند الظهر .

— او ذلك منوط بك .

فدهش الضابط وقال له : كيف ذلك ؟

— ذلك اني انا ايضاً محتاج اليك في مهمة .

— قل فاني مستعد لخدمتك فيما تريد .

— سأخبرك بذلك في الطريق فهلم معي فاني مضطر الى الخروج فامتثل الضابط واقفل صموئيل بابه وذهب واياه .

وفي الطريق قال له صموئيل : اتظن ان من كان مثلي لا تسهل عليه مقابلة جنرال .

— ذلك يتعلق بطباع الجنرال فأي جنرال تريد مقابلة ؟

— الجنرال بيشارجي — القائد العام ؟؟

— نعم فاني مضطر الى مقابلته.

— متى ؟ — الان .

— ولكن هذا محال فان الجنرال برح المدينة مساء امس فذعر صموئيل وقال : الى أين ؟

— الى مايانس .

فظهر الاضطراب على وجه صموئيل ورآه الضابطفقال له : ماذا اصابك .

— اصبنا بنكبة فادحة لا ينجينا منها غير هذا الجنرال .

— قص علي امرك فاني لا افهم ماتقول .

— لي صديق سيعدمونه اليوم واريد ان اسأل الجنرال العفو عنه فقد خدمته خدمات ارجو بعدها ان انال منه هذا العفو .

— من هو هذا الصديق الذي سيعدمونه ؟

— انه رجل منكود من بوهيميا .

— واي ذنب جنى ؟

— اين حدثت هذه الجريمة فاني ما سمعت بها .

— ذلك لان الجريمة حدثت في هذه الليلة .

ثم قص عليه جميع ما حدث لمونيتو فاصغى اليه الضابط وهو متأثر لنكبة هذا النوري حتى اذا فرغ من حديثه نظر اليه الضابط وقال : ان الامر خطير فان لدينا اوامر صارمة وانا اكاد اكون واثقاً ان الجنرال سيأتي العفو عن هذا الرجل مهما جلت خدمتك له ولم يكن يستطيع صموئيل ان يخبره بحقيقة شأن مونيتو وخطورة المهمة التي جاء من اجلها غير انه قال له : اني واثق من عفو الجنرال عنه او تخفيف عقابه على الاقل .

— ولكني قلت لك ان الجنرال سافر امس .

— ألا يوجد وسيلة لا دراكه ؟

قال ان الجنرال يتوقف في مايانس وربما اقام فيها يومين او ثلاثة .

—اذن استطيع ان اراه .

قال : هو ذلك ولكني اخاف ان تدركه بعد فوات الاوان فتكون قد سافرت عبثا .

فاضطرب صموئيل اضطرابا شديداً واشفق الضابط عليه فقال له : خطر لي خاطر الم تقل لي أن لهذا النوري فتاة وانه ائتمنك عليها .

— قال نعم .

قال : انها صبية وجميلة أليس كذلك ؟

— نعم .

— اذن اصغ الي ان الجنرال ببشارجي حين يسافر يتولى القيادة مكانه الجنرال داغوبير في كوبلنتز .

— ماذا تريد بذلك ؟

— ان لهذا الجنرال امرأة جميلة طاهرة الاخلاق وهي من الاعيان وقد احبت الجنرال منذ عهد بعيد لان الجنرال ليس من الاعيان بل اصله من العمال فقد كان حداداً او بيطريا كما قال

— وبعد ذلك ؟

ويظهر ان امرأة الجنرال داغوبير حكم عليها بالاعدام حين كانت مخطوبة لانها من الاعيان

— ومن انقذها ؟

— خطيبها داغوبير فانه طلب الى مجلس الامة العفو عنها فأجابه الى ما طلب

— وهذه المرأة ؟

— انها شديدة الميل الى الجنرال .

— اتظن انها تهتم بشأن هذا المنكود ؟

— انها تهتم بابنته على الاقل .

— ولكن كيف السبيل الى تقديمها لها ؟

فحك الضابط اذنه واحمر وجهه وقال : اني لولا هذه الخسارة التي خسرتها وهذه السلفة التي استلفتها من الجنرال لكنت ...

— ماذا كنت تصنع ؟

– كنت اذهب الآن الى الجنرال .

– اذا كان المال الذي يمنعك فتعال معي اعطيك مائة ريال بدلا من خمسين بل اعطيك الفاً .

فابتسم الضابط وقال : انك منخدع بي ايها الصديق فاني ضابط في الجيش الفرنسي وسواء كان الحكم جمهورياً او ملكيا فان الجيش يبقى على مبدأه . اني طلبت منك خمسين ريالا مقابل ساعتي وسلسلتها فاعطني هذه القيمة بهما اذ لا اريد سواها .

– وانا يا سيدي من اهل المبدأ والشرف فانا اعطيك ما طلبته دون رهن فابق ساعتك معك فاني اكتفي بتعهدك قولا بالدفع ثم عاد به الى منزله ففتح صندوقه الضخم الحديدي واخرج منه خمسين ريالا فاعطاها للضابط .

فاخذها الضابط وقال له : ان امرأة الجنرال تستيقظ باكراً فانها ربيت في الريف وسأراها بعد ساعة .

فقال له صموئيل بصوت مختنق : ألا تظن انهم يعدمون المنكود في هذه الساعة ؟

– كلا انه لايموت قبل محاكمته في مجلس عسكري .

– ومتى يعقد هذا المجلس جلسته ؟

– في الساعة العاشرة من الصباح .

– اي انهم يعدمونه عند الظهر ؟

– لا تفتكر بذلك وثق بي .

وكان الفجر قد انبثق وهمت الشمس بالبزوغ فقال له الضابط بعد ماخرجا من المنزل : لا بد ان تكون امرأة الجنرال قد

استيقظت .

– اتذهب اليها ؟ – اني ذاهب .

– واين اراك ؟ – انتظرني هنا في منزلك .

ثم تركه وانصرف فعاد صموئيل الى منزله وهو يمشي خفيفاً حذراً من ان تستيقظ الفتاة وقد دنا من غرفتها ونظر من ثقب الباب فوجدها نائمة بثيابها على السرير وقد توسلت باله النور ان يبقي اباها .

١٦
صموئيل الاسرائيلي

كان كل ما قاله الضابط لصموئيل صحيحا فان الجنرال داغوبير كان يتولى حقيقة الحكم في كوبلنتز في غياب القائد العام .

وقد ذكر القراء دون شك صاحبهم القديم داغوبير ذلك البيطري الذي ارتقى ببسالته من رتبة جندي الى جنرال وتزوج الكونتس اورور منذ ثلاثة اعوام فكان معها من اسعد الازواج .

وكان ابن عمها لوسيان قد تزوج ايضاً اختها حنة فهاجر الكونت لوسيان مع امرأته الى النمسا ودخل في سلك الجيش النمساوي غير ان الاختين كانتا تتراسلان في كل اسبوع وتتزاوران في كل عام وقد اتت حنة الى باريس مرتين وذهبت اورور الى فينا مرتين ايضاً بالرغم عن تلك الحرب الهائلة التي كانت تثيرها اوروبا بجملتها في ذلك العهد على فرنسا .

وكانت اورور قد امتلكت جميع القلوب بجمالها ودعتها

وكرم اخلاقها فكانت فتنة الجيش المحارب بالرين .

وكأنما تلك العواصف التي هبت على حياتها قد عقبها الصفاء فتبدل انقباضها بالزهو وانكماشها بالسرور فانعكفت على اقامة الحفلات وكانت كل ليلة تستقبل في كوبلنتز ضباط الحامية الذين امتازوا بالادب وحسن التربية .

وكان هذا الضابط الذي سلفه صموئيل المال من اخص الذين يترددون الى منزلها فذهب بعد ان ترك صموئيل مباشرة الى منزل داغوبير وكانت اورور قد استيقظت من رقادها .

وقد جرى لها حادث اضطرها الى التبكير في نهوضها ولولا هذا الحادث لاضطر الضابط الى الانتظار تحت نوافذها واليك تفصيل ماحدث .

بينما كانت اورور غارقة في سباتها العميق سمعت جرس الباب الخارجي يقرع قرعاً عنيفا فانتبهت مذعورة من رقادها .

وقد انتبه ايضاً الجنرال داغوبير واسرع بالسؤال فعلم ان حارس باب المدينة الذي قبض على مونيتو قد جاء بتقرير عما حدث في تلك الليلة ملتمساً اوامره .

فلبست اورور ثوبها ونزلت الى حيث كان داغوبير .

ولم تكن تتداخل على الاطلاق بشؤون زوجها غير انها شعرت هذه المرة بدافع سري يدفعها الى الوقوف على السبب في تبكير الضابط .

وكان داغوبير يقرأ التقرير وهو مقطب الجبين فلما دخلت امرأته حاول ان يبتسم لها فادركت من ابتسامه المغتصب

ان الامر خطير .

وبعد ان اتم قراءته واصفر وجهها .

قال لها داغوبير : اتعلمين ايتها الحبيبة انه يجب ان تجري العدالة في مجراها .

فبدت علائم التأثر على وجهها وقالت له : ماذا تعني بذلك.

– ان هذا المنكود الوارد ذكره في التقرير قتل ضابطاً فرنسيا .

– ولكن هذا الضابط السافل اراد ان يدنس شرف إبنته .

قال : هو ذاك واأسفاه ولكن لدي اوامر مشددة من القائد العام باستعمال اقصى درجات العنف مع كل الماني يقتل جنديا من جنودنا .

قالت : ولكن هذا الضابط دوشين من اسفل خلق الله .

– لا انكر ما تقولين .

– وفوق ذلك فان هذا الرجل المنكود . انما كان مدافعا عن شرفه وعرض ابنته ولم يكن معتديا مهاجماً .

– هي الحقيقة واأسفاه .

– اذا كان ذلك فلا سبيل الى معاملته معاملة قاتل اثيم فأجابها بلهجة شفت عن كآبة : انك تقولين الحق ولكن معاقبته لا بد منها فاذا عفوت عنه ثار علي الجيش .

وبينما اورور تستعطف زوجها وتلتمس منه العفو عن مونيتو وهو يظهر لها على الكره منه انه لا بد من تنفيذ العقاب دخل ذلك الضابط الذي اعطاه صموئيل خمسين ريالا .

وكان هذا الضابط من اركان حرب داغوبير وله ميل خاص اليه لحسن أدبه فقال له داغوبير حين رآه : لقد جئت في حين الحاجة اليك إذ إن الامر خطير .

— ما هو يا سيدي الجنرال ؟

— لقد قتل أمس ضابط من ضباطنا .

— لقد عرفت هذه الحادثة .

— ثم نظر الى أورور نظرة مفادها إنك تدافعين عن الانسانية وسأ كون لك خير معين .

فقال له داغوبير : يجب أن تذهب إلى المجلس العسكري وتأمره بالانعقاد .

فقالت له اورور : الا يمكن تأجيل ذلك بضع ساعات ؟

— اية فائدة من التأجيل ؟

فقال له الضابط لو تعلم ياسيدي حالة هذا المنكود لكنت اشفقت عليه وعلى ابنته .

فقالت اورور : لقد اصبت ان له ابنة .

— وهي جميلة صنية ياسيدتي اذا رأيتها سالت دموعك حنوا عليها .

— : اهي في السجن مع ابيها ؟

— كلا ياسيدتي فان رجلا اسرائيلياً يدعى صموئيل أواها الى منزله وهذا الاسرائيلي صديق النوري وهو يقول إنه يأسف أسفاً شديداً لسفر الجنرال الاكبر إلى مايانس .

فقال له داغوبير : لماذا يأسف ؟

ـ لانه كان ينوي التماس العفو منه عن النوري .

فهز داغوبير كتفيه وقال : إنه لا يعفو عنه كما أنا افعل بالكره عني .

فقالت له اورور : ولكن الحاجة غير قاضية بمحا كمته اليوم .

ـ سواء حا كمناه اليوم أوغداً فانه سيقضي عليه بالاعدام لا محالة .

ـ هذا محال .

قالت : في كل حال اسألك ايها الحبيب أن لاتخيب رجائي.

ـ ماذا تريدين ؟

ـ أن لا يعقد المجلس العسكري قبل الظهر .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ وأن يؤذن لي بمقابلة هذا المنكود .

ـ أرى إنك نسيت ياأورور إني أحكم الان بالوكالة عن القائد العام وإن علي مسؤلية كبرى .

ـ معاذ الله أن أحملك على مخالفة واجباتك ولكن طلبي ميسور وقضاؤه لاتبعة فيه عليك .

وبينما كان داغوبير يمعن في الامور وقد ظهر عليه علائم الرضى سألت أورور الضابط قائلة : اين الفتاة الان ؟

ـ عند رجل يهودي يدعى صموئيل جوب .

ـ أريد أن أرها .

ـ أتريدين أن أحضر بها اليك .

– كلا بل أذهب بنفسي إلى منزل هذا الرجل فانتظرني .

ثم صعدت إلى غرفتها فوضعت وشاحاً على كتفيها وعادت الى الضابط وقالت له : هلم بنا .

فقال لها داغوبير : إلى أين تذهبين ؟

– عند الاسرائيلي ألا تريد أن أساعد المنكوبين يا داغوبير

ثم ابتسمت ابتسامة حلوة جردته من سلاحه وامتنع عن الاعتراض .

وفي الوقت نفسه أخرج الضابط الخمسين ريالاً من جيبه ووضعها على المنضدة أمام داغوبير .

فسر داغوبير وقال : لقد أصبت فانك مديون لي .

– هو ذاك أيها الجنرال فان دين القمار يدفع في مدة اربع وعشرين ساعة .

– إذن لديك مهلة إلى المساء.

فقالت له اورور : وأنت كذلك ايضاً ياداغوبير فان لديك مهلة إلى المساء في قتل النوري التعيس ثم تأبطت ذراع الضابط وقالت له : هلم بنا .

* * *

تقدم لنا القول إن صموئيل دخل المنزل فوجد موبينا نائمة فان التعب قد أنهكها فتغلب النعاس على أحزانها ونامت نوماً عميقا .

وبعد أن اطمأن عليهانزل إلى مخزنه وأقام فيه ينتظر عودة

الضابط اليه حتى أقبل الضابط تصحبه أورور فجعل قلبه يضطرب .

أما أورور فنها دخلت إلى المخزن وقالت للاسرائيلي : أنت هو الذي يدعونه صموئيل جوب ؟

– نعم يا سيدتي .

– انت صديق ذلك النوري الذي سيعدمونه ؟

– نعم يا سيدتي وأظن انك لا تؤذنين بقتل هذا الوالد التعيس اليس كذلك ؟

– واأسفاه إني لست الجنرال وليس لى شيء من النفوذ على المجلس العسكري ولكن لهذا النوري فتاة ؟

– نعم يا سيدتي .

– وهذه الفتاة أهي عندك ؟

– نعم – إني أريد أن أراها .

فصعد صموئيل إلى غرفة موبينا وأيقظها فابتسمت وقالت له : لقد أملت أملا خائباً إذا اعتقدت لاول وهلة إنك أبي .

– كلا واأسفاه ولكني أتيت للذهاب بك .

– إلى أين أإلى أبي ؟

– كلا الى امرأة الجنرال داغوبير فاعرفك بها .

– أهي امرأة الجنرال بيشارجي ؟

– كلا بل امرأة الجنرال داغوبير المتولي مكانه أمر أبيك .

ثم أخذ بيدها ونزل بها حيث كانت أورور .

وكانت موبينا مصفرة الوجه لاضطرابها ولكن اصفرارها لم

يخفف من جمالها فاعجبت أورور وقالت لها :أنت هي الفتاة التي وضعوا أباها في السجن .

فركعت موبينا امامها وقالت نعم : ياسيدتي .

فانهضتها أورور وقالت لها : لا تبكي أيتها الحسناء فاننا لم نقنط بعد .

فضمت موبينا يديها شأن المتوسل وقالت لها : اتنقذينه ياسيدتي .

– إني أفعل كل ما استطيع فعله ولكن دعيني أسألك الان فمن أين اتيت مع ابيك ؟

– من مكان بعيد ياسيدتي فقد أتينا من فينا .

فارتعشت اورور إذ ذكرت اختها حنة فانها تقيم في تلك العاصمة مع زوجها الكونت لوسيان دي مازير ثم قالت لها : إلى أين كنتما ذاهبين ؟

قالت : إننا كنا قادمين إلى هنا حين فاجأتنا النكبة .

وعند ذلك قصت عليها جميع مااتفق لها بلهجة اثرت تأثيراً عظيما في قلب أورور فقالت لها إن الضابط يستحق فوق مالقيه من العقاب ولكن القائد العام أصدر لسوء الحظ قبل سفره أوامر مشددة بعقاب كل من يعتدي على الجنود بالقتل .

فذعرت موبينا وقالت :رباه ماذا اسمع اسافر القائد العام؟

قالت : نعم منذ أمس .

فقالت بلهجة شفت عن قنوطها : إذن لقد قضى على أبي القضاء المبرم .

قالت : لم يقض عليه بعد .

– ثم قالت لصمونيل وقد أشارت إلى الضابط الذي يصحبها

– الم تقل لهذا الضابط إنك إذا أدركت القائد العام تنال منه العفو عن السجين ؟

– نعم ياسيدتي .

– كم ساعة ينبغي الوصول إلى مايانس ؟

– خمس ساعات .

– اتسطيع العودة في أول الليل ؟

– دون شك .

– إني لا أعلم السبب الذي تعقد عليه حقيقة رجاؤك بنيل العفو ولكني أستطيع مساعدتك في مهمتك فاتال من الجنرال داغوبير جواز يؤذن لك بالسفر إلى مايانس .

– وبعد ذلك ؟

– التمس ايضاً من الجنرال أن لا يحاكموا النوري قبل عودتك ولكن بنيل العفو من القائد العام ؟

– أني ياسيدتي خدمتة خدمة جليلة لا يستطيع بعدها رفض ملتمس .

– اذن سافر على بركات الله وتعال الى منزلي مع هذه الفتاة فابقها عندي إلى أن تعود .

فنظر الضابط عند ذلك إلى موبينا نظرة مفادها : لا تخشى فان أباك قد نجا .

أما أورور فانها قبلت جبين موبينا وقالت لها: إني سأبذل

فوق مجهودي لانقاذ أبيك فتملي بالرجاء واذهبي مع صموئيل إلى منزلي في الحال .

ثم تأبطت ذراع الضابط وعادت وإياه إلى المنزل فوجدت داغوبير يسير ذهاباً وايابا في القاعة التي يستقبل فيها كل يوم الضباط الذين كانوا تحت امره .

وكانت علائم الاضطراب بادية عليه فقال لها : إن تأثري يا أورور لا يقل عن تأثرك لنكبة هذا الوالد الذي دافع عن ابنته ولكن القائد العام ترك لي أوامر صريحة لا يمكن نقضها .

– إني لا التمس منك غير ما تستطيع قضاءه .

– ما هو ؟

– ان هذا الاسرائيلي الذي لجأت الفتاة اليه واثق من نيل عفو الجنرال اذا تمكن من السفر إلى مايانس .

فهز داغوبير كتفيه وقال : إني أعرف الجنرال حق العرفان فهو لا يلين في هذا الموقف .

– ولكن صموئيل واثق كل الثقة .

– ليفعل وسيعقد المجلس العسكري عند الظهر .

– ولماذا لا تؤجل عقده الى الغد ، إلى أن يعود صموئيل .

– لان الجيش بجملته يتململ والجنود يريدون انتحال سبب الثورة علينا فلا يجدون خيراً من هذا السبب ألا تعلمين إن الجمهوريه متأخرة عن دفع رواتبهم ؟

– ولكنهم يثورون أيضاً إذا صدر العفو من الجنرال .

- ليس لي من السلطة ما للقائد العام ولا بد من الحكم اليوم على النوري .

- بماذا تحكمون عليه .

- بالاعدام دون شك .

- أتعدمونه على أثر صدور الحكم ؟

- كلا فان التنفيذ يكون في الصباح غد وفي ذلك الحين يكون صموئيل قد عاد من مايانس .

وعند ذلك وصل صموئيل وموبينا فتأثر داغوبير وأشفق على الفتاة إشفاقاً عظيما فقال لصموئيل : الملك واثق من نيل عفو القائد العام ؟

قال : كل الوثوق فامهلني أربعاً وعشرين ساعة وأنا أضمن الفوز فأعطاه داغوبير جوازاً للسفر اذا لم يكن أحد يستطيع الخروج من المدينة في ذلك العهد دون اذن الجيش المحتل ثم امر الضابط أن يعطيه جواداً قوياً .

ثم وبعد ربع ساعة كان صموئيل يقطع الارض نهبا في طريق مايانس وكانت أورور قد أعدت في منزلها غرفة لموبينا .

ففي نفس الساعة التي خرج بها صموئيل من المدينة دخل اليها رجل غريب عنها .

وكان هذا الرجل كهلاً فلما وصل الى باب المدينة طلبوا منه جوازه فقال لهم : ليس لدى جوازاً ولكن يوجد في كوبلنتز رجل يضمنني .

قالوا : من هذا الرجل ؟

— الجنرال داغوبير .

— فاجابه الضابط : إذن سنذهب بك إلى الجنرال .

ثم أمر أحد الجنود أن يذهب به الى الجنرال فلما وصل به سأله الحراس عن إسمه كي يخبروا به داغوبير فقال له : اني ادعى بيبي .

فلم تمض هنيهة حتى أتى داغوبير فضم بيبي إلى صدره وعانقه

* *

عناق الاخوان .

وكانت امرأته قد علمت ايضاً بقدوم بيبي فاسرعت اليه وقد فرحت بقدومه فقالت له : من أين أنت قادم ؟

— من محل بعيد .

— أمن باريس ؟

— لقد كنت في باريس منذ شهر فنجوت ولولا يوم ٩ ترميدور لقضي علي .

فتأثرت اورور وقد تذكرت أهوال تلك الايام فقالت : قص علينا ما جرى لك .

— تعلمون حين تركتكم أقسمت لكم أن أرد الثروة التي اختلستها تنوان .

فابتسم داغوبير وقال له : إنك إذا أرجعتها الينا نستقبلها بالشكر فان الجمهورية لم تدفع رواتبنا منذ ستة أشهر ولولم نكن في بلاد افتتحناها لما كنت أدري كيف نستطيع أن نعيش .

– إني لم أبر بعد بيميني ولكن سأبر به .

فقال له داغوبير بلهجة المرتاب : كيف ذلك ؟

وقالت أورور :لقد قيل لي ان لتنوان الآن من النفوذ فوق ما كان لها من قبل .

– لابأس فاني وقفت على أثر المال .

– إنه لدى تنوان دون شك وهي تحتفظ به .

– لو كان المال عندها لاسترجعته منها بالرغم عنها مهما بلغ من نفوذها .

فجعل داغوبير واورورينظران إلى بيبي نظرات انذهال أما بيبي فانه مضى في حديثه فقال : إني قادم الآن من فينا برسالة من اختك .

فنسيت أورور عند ذلك أمر الثروة وقالت له : أسرع واعطني الرسالة .

فأخرج بيبي رسالة من جيبه ودفعها إلى الكونتس إورور فانشغلت بقراءتها وعاد بيبي إلى محادثة داغوبير فقال له : إنك تعلم أن تنوان من طائفة النور .

– نعم وهي التي تنبأت لي إني سأغدوا يوماً من كبار القواد وقد صدقت نبوءتها كما ترى .

– وإن هذه الطائفة في المانيا شديدة النفوذ فان بين أعضائها الفقراء الذين يستكشفون الطوالع ، والراقصون في الشوارع ، ولكن بينهم كثيرون من الاغنياء ، وأصحاب المصارف الكبرى ، بل بينهم فريق كبير من أصحاب المناصب

العاليه .

– أظن إن ليس لهؤلاء علاقة بابناء طائفتهم ؟

– بل إن الامر على عكس ما تقول فان جميع أبناء هذه الطائفة متحدون متعاونون لهم عادات سرية وأوامر يتلقونها من زعمائهم الذين يحكمون عليهم بالسر كما يحكم القائد على الجنود بالعلانية حتى إن لهذه الطائفة صندوقاً عاماً يجمعون فيه الاموال .

فقالت له أورور وكانت قد أتمت قراءة الرسالة: كيف ذلك.

إن هذا الصندوق موجود عندهم منذ أجيال وهم يجمعون فيه المال ليكون لهم عونا عند الشدائد أتعلمون ماذا فعلت تنوان ؟

إنها وضعت هذه الثروة الطائلة التي اختلستها منكم في ذلك الصندوق بشرط إنها لا تقبض من هذه الاموال غير فوائدها ويبقى المال بجملته بعد موتها لصندوق النور العام .

فقال له داغوبير : إذن لقد ضاع كل رجاء باسترجاع الثروة.

كلا .

– كيف يكون ذلك أيرد المال الذي ائتمنوا عليه ؟

– ربما .

– لا شك إنك سليم الطوية بسيط القلب يا بيبي .

– إن النور يا سيدي الجنرال من اهل المرؤة والحق فمتى علموا إن المال مسروق يختلف الحال .

قالت اورور : كيف ذلك ألا يعلمون ؟

– كلا فان تنوان جعلتهم يعتقدون إن البرنسيس هيلانة أرادت ان تنتقم من عمك الكونت دي مازير لخيانته لها فوهبتها هذا المال وقد أقنعتهم باوراق مزورة أطلعتهم عليها .

فقالت له اورور : أتعتقد إذن إن زعماء النور إذا علموا إن هذا المال مسروق ردوه ؟

– دون شك .

فتنهدت اورور وقالت : ولكن كيف نثبت إن المال لنا وليس لدينا برهان فان الكونتس دي مازير امرأة عمي قد قتلت وكريتشن أمي ماتت وأبي ...

وهنا ارتجف صوت أورور ولم تتم عبارتها فقال لها بيبي : إن أباك لم يمت يا سيدتي .

فاضطربت أورور وقالت : إذا كان لم يمت فأين هو إذن ؟

– واأسفاه إن الساعة التي أستطيع أن أخبرك بها الحقيقة لم تحن بعد .

– ولكن يجب أن أعلم .

– اقتصري يا سيدتي على العلم إن أباك في قيد الحياة وإنه تاب توبة صادقة وانه يحبك حباً لا يعادله حب .

فتغلبت أورور على تأثيرها وقالت له : إذن أتم حديثك .

– إنك تعلمين ياسيدتي إني لم اتصل إلى معرفة الموضوع الذي خبأت فيه تنوان المال دون عناء فان خزينة النور مخبؤة .

– في أي مكان ؟

– ليس يعلم موضعها إلا ملك هذه الطائفة فان لديه أموالا

لا تحصى وهو يسلف منها المصارف الكبرى والملوك بل يجهز بها الجيوش حين يرى فائدة لقبيلته من تجهيزها ولما استلف منه امبراطور النمسا وهو ذلك الامبراطور الذي يعيش الان ابن عمك لوسيان مع اختك بين حاشيته .

– ماذا تعني بذلك ؟

– إن الامبراطور يستطيع أن يرد لكم هذه الثروة .

قالت : أيصدقه ملك النور بالقول المجرد ؟

– كلا ولكن كتاباً واحداً يثبت إن البرنسيس هيلانة كانت تحب عمك الكونت دي مازير كاف لثقة الامبراطور وحمل ملك النور على الاقتناع بتزوير تنوان .

قالت : ولكن ليس لدي كتاب بهذا المعنى وأسفاه .

– اني أقمت شهرين أبحث عن ملك النور فان هذا الرجل يكاد لايراه أحد فانه تارة يكون في هنغاريا وتارة في الداذوب وطوراً في شمال أوروبا أو جنوبها لان له مهنة غير مهنة تملكه على النور ؟

قالت : ما هي مهنته ؟

– إنه أعظم تاجر للاحجار الكريمة ولا سيما الالماس .

فابتسم داغوبير وقال : إذن ليس هو ذلك النوري الفقير الذي سنعدمه غداً .

فارتعش ببي وقال : ماذا تعني بذلك ؟

فقالت له أورور : إنها حكاية محزنة يا ببي .

– أرجو سيدتي أن تقصها علي .

فقصت عليه أورور جميع ما اتفق لمونيتو فلما أتمت حديثها سأل بيبي داغوبير قائلا : أتعدمونه غداً ؟

— هذا الذي أخشاه .

— ولكن أمره منوط بك الست الرئيس الان ؟

— نعم ولكن العفو عنه منوط بالقائد العام وهو في مايانس وقد ذهب اليه رجل إسرائيلي يدعى صموئيل جوب .

— ماذا يريد منه ؟

— يدعي إنه خدم القائد العام خدمات جليلة وهو واثق إنه سيعفو عن مونيتو من اجله .

فقال بيبي : ماذا تقول ايدعى هذا الرجل مونيتو .

— هذا هو أسمه كما يقول .

— اكن ملك النور الذي أبحث عنه منذ شهرين يدعى بهذا الاسم فضحك داغوبير وقال أيكون هذا الرجل ملك النور صاحب تلك الثروة التي وصفتها ويسافر مع إبنته مشياً على الاقدام ؟

وقالت اورور : إنه ممزق الملابس .

فقال بيبي : إني أحب أن أراه مهما كان من أمره فهل تأذن لي بذلك ياحضرة الجنرال ؟

— دون شك .

وقالت اورور: إنك تستطيع أن ترى ابنته أيضا إذا شئت

— اين هي :

قالت : هي عندي فاني أشفقت عليها ولا أزال أرجو

العفو عن أبيها وعند ذلك قامت أورور فوقفت في باب القاعة ونادت موبينا فلما اتت لم يتمالك بيبي عن إظهار دهشته بجمالها حين رآها .

*

وقد أصاب بيبي نفس ما أصاب داغوبير من الحنو والاشفاق حين رأى موبينا فأخذ يحادثها فقال لها : ماذا تدعين يا ابنتي ؟

— موبينا — وأبوك .

— مونيتو — من أية بلاد أنتم ؟

— قالت من هنغاريا .

فنظر اليها بيبي باعتناء وقال لها : ألم يشتغل ابوك بتجارة الالماس فارتعشت موبينا لهذا السؤال وخافت أن يسيء إلى أبيها إذا ظهرت حقيقه حاله فقالت له : كلا ياسيدي .

— اذن ليس أبوك ملك النور ؟

فضحكت موبينا وقالت : لو كان أبي ملكا لكنت أناأميرة والاميرات لا يسافرن مسافة يومين مشياً على الاقدام .

فقالت لها أورور : ثقي أيتها الحبيبة إننا لانسألك هذه الاسئلة الا لخير ابيك .

غير إن موبينا بقيت متحذرة من بيبي وهي لا تعلم إن نجاة أبيها موقوفة على صدق إقرارها .

وأما بيبي فقد كان من أمهر رجال البوليس السري فأيقن

من اضطرابها أنها لا تقول الحقيقة ولم يجد سبيلا للوقوف عليها منهـا ثم إنه أحب أن يختلي مع داغوبير فذهبت أورور مع موبينا وبقي بيبي مع داغوبير فقال له : إني أحب أن أرى السجين .

— أية فائد من هذه المقابلة .

— لاثق إذا لم يكن مونيتو الحقيقي .

فضحك داغوبير وقال : ألم تثق بعد أنه ليس من الملوك أم تحسب انه جاء متنكراً .

— ولكنك سمعت اقوال إبنته .

— إن ابنته تكذب فثق بما أقول فاني أستجلي بالنظر غوامض الافكار وما خدمت البوليس عشرين عاما عبثا .

— أتظن إن هذه الفتاة لو كان أبوها ملك النور كما تظن أما كانت تظهر هذه الحقيقة على رجاء أن تفيدها ؟

— كلا — ولكني أرى غير رأيك .

— إنك مخطيء أيها الجنرال لانك لاتعرف أخلاق النور وعاداتهم في كتمان أمورهم فان من كان منهم ذا مال يخبىء ماله ولا يعترف بغناه لاحد وأنا واثق الآن كل الثقة إن هذا الرجل السجين هو نفس مونيتو ملك النور الذي أبحث عنه منذ شهرين وغاية ما أرجوه أن تأذن لي بمقابلته .

فكشف داغوبير ساعته وقال : إن الساعة التاسعة الآن وهم لا يأتون به إلى المجلس العسكري إلا عند الظهر .

— أأستطيع أن أراه في السجن ؟

– دون شك بامر مني .

وعند ذلك دعا داغوبير أحد ضباطه وقال له بعض كلمات فقال الضابط لبيبي : تعال معي .

– فوضع بيبي نظارته على عينيه وسار مع الضابط .

كان السجن الذي وضعوا فيه مونيتو ديراً قديماً مبنياً على ضفة الرين فحوله الفرنسويون حين احتلال المدينة الى سجن كانوا يضعون فيه خليط المسجونين من اسرى حرب وجواسيس ومجرمين وغيرهم .

غير إنهم جاؤا بمونيتو قبل الفجر فوضعوه في غرفة وحده فلما دخل اليه بيبي وجده جالساً عند نافذة قضبانها من الحديد ينظر الى النهر .

وقد سأل بيبى الضابط أن يدعه منفرداً معه فتركه وانصرف أما مونيتو فأنه نظر إلى بيبي وقد حسبه قاضياً قادماً للتحقيق بجريمته .

غير إن بيبي أشار إشارة سرية أرتعش لها مونيتو .

فان بيبي كان يعرف كثيراً من الرموز السرية لطول عهده بخدمة البوليس وكانت الاشارة التي أشارها ماسونية فانه قال في نفسه إن جميع عظماء البوهيميين منخرطون في سلك الماسونية فاذا كان هذا الرجل نفس مونيتو الذي أبحث عنه فلا بد أن يكون ماسونياً ولا بد له بالتالي أن يجيبني بنفس إشارتي .

ولقد أصاب بيبي في ظنه فان مونيتو أجابه بمثل إشارته فقال له بيبي عند ذلك : إخوان . – هو ذاك .

– وفوق هـذا فاني صديق لك وإذا كنـت قد زرتك فهذا بغية انقاذك .

فابتسم مونيتو ابتسامة شفت عن يأسه وقال: إني لاأخاف الموت .

– ربما ولكنك تبذل في سبيل الحياة كل ما تستطيعه من أجل إبنتك التي غادرتها الآن .

فاشرق وجه مونيتو وقال : أنت كنت مع ابنتي ؟

قال نعم – إذن أنت قادم من منزل صموئيل جوب .

– كلا فإن صموئيل قد برح كوبلنتز ؟

فاضطرب مونيتو وقال : أسافر صموئيل ؟

– نعم – وابنتي ماذا جرى لها ؟

– إطمئن عليها أيها الصديق فان صموئيل قد عهد بها إلى امرأة طاهرة شريفة وهي امرأة الجنرال داغوبير .

فارتجف وقال : احق ما تقول ؟

– إنني أقسم لك بهذه الجمعية التي جعلتنا اخوين .

– ولكن لماذا سافر صموئيل ؟

– إنه سافر من أجلك إلى مايانس .

– من أجلي أنا ؟

– نعم فان القائد العام الذي أراد أن يلتمس منه العفو عنك لم يكن في كوبلنتز .

فاصفر مونيتو وغطي وجهه بيديه وقال : إذا كان القائد العام مسافراً فأنا لا محالة من الهالكين .

– لا تقنط اذ يوجد جنرال آخر يهتم بشأنك وهو الذي يتولى القيادة العامة في غياب الجنرال الاكبر .

– الله يعفو عني .

– كلا ولكنه يؤخر زمن إنفاذ قتلك إلى أن يعود صموئيل من مايانس حيث يرجو أن يلقي الجنرال بيشارجي .

– إذا كان ذلك فقد عادلي شيء من الرجاء فهل هو الجنرال الذي ارسلك الي ؟

– إني التمست منه الاذن كي أراك لاني في حاجة إلى مقابلتك فأني ابحث عنك منذ شهرين .

– كيف ذلك وأنا لم أعرفك ولم أرك قبل الان .

– الست تدعي مونيتو !

– نعم – أما أنت ملك النور ؟

فضحك مونيتو وقال : لماذا تريد الهزء بي !

فلم يحفل بيبي لهذا التكذيب وقال له : إصغ إلي أيها الصديق إنك معتمد على صدور العفو عنك وربما كنت مصيباً إذ يظهر إن لصموئيل جوب نفوذاً على بيشارجي ولكنك قد تكون مخطئاً أيضاً في هذا الاعتماد فاذا كان ذلك فلا يوجد غير رجل واحد يستطيع انقاذك .

– ومن هو هذا الرجل ؟ – هو أنا .

فدهش ملك النور لكلامه وقال له : أنت تنقذني !

– نعم أنا أنقذ إذا أخلصت واعترفت انك أنت هو مونيتو تاجر الاحجار الكريمة وملك النور وصاحب الكنوز السريه .

غير إن مونيتو لم يؤخذ بهذه الاقوال فقال له : لنفرض إني أنا هو ذلك الرجل فأية فائدة لك من إنقاذي ؟

– أتريد أن تعلم ؟ – نعم .

فدنا بيبي من النافذة المطلة على الرين وجعل ينظر إلى مياه ذلك النهر .

فقال له مونيتو : ماذا تصنع ؟

– أردت أن أستوثق من مقدرتي على الوفاء بما تعهدت لك والان فاعرني سمعك – إني مصنع اليك .

١٧
موت موبينا

وكان بيبي يكلمه باللغة المنغارية من قبل الاحتراس حذراً من أن يسمع كلامه الجنود فدار بينهما الحديث الاتي :

قال بيبي : لنفترض إنك ملك النور — لنفترض .

— ولنفترض ايضاً انك أمين خزينة النور العامة .

— إن الخزينة موجودة حقيقة .

— وقد زاد مافيها زيادة عظيمة بثروة طائلة ائتمنتك عليها امرأه .

— أتعرف هذا — بل أعرف كثيراً من الامور

— حسناً وبعد ذلك ؟

— إنك أستوليت على هذه الثروة على شرط أن تدفع لهذه المرأة فوائدها ما زالت في قيد الحياة وبعد موتها يكون المال لك .

— كل ما تقول أكيد فهل هي هذه المرأة التي أرسلتك الي؟

— كلا — إذن لماذا تهتم بانقاذي ؟

– لاني أهتم بهذه الثروة المودوعة عندك .

– كيف ذلك !

– ذلك لان هذا المال الذي أودع عندك مال مسروق .

– إنك منخدع أيها الصديق فلوكان المال مسروقاً لما قبلته.

– احق ما تقول ؟

– يظهر إنك لا تعرف أخلاق البوهيميين فلا شيء يروعهم مثل السرقة .

– ليسوا كلهم على هذه الاخلاق كما يظهر فأن هذه المرأة نورية

– إنها حقيبة من النور – وهي تدعي تنوان .

– هو ما تقول :

– وهذا المال الذي أودعته عندك هي سرقته .

فهز مونيتو رأسه دلالة على ريبه وقال له: إصغ الي فأني أحب الحياة كما يحبها كل انسان وأحب ابنتي موبينا فوق ما يبلغ اليه جهد التصور فاذا مت بقيت وحدها في هذا الوجود ولكن لا تظن إن مونيتو يخون أموال اؤتمن عليها حرصاً على الحياة هات قضاتك أيها الرجل واحضر الجلاد فاني متأهب للموت .

فقال له بيبي : وأنت ايها الصديق إصغ الى ايضاً وقل لى أترد المال إلى أصحابه إذا أتيت لك بالبرهان الصريح ان تنوان اختلسته !

– دون شك فلست المعين للسارقين .

– إذن سابرهن لك .

— أحق ما تقول ؟

— ذلك لا ريب فيه ولكن سأبدأ بانقاذك .

— إنقذني إذا شئت ولكني لا أرد المال إلا بالبرهــان ولو كنت مديناً لك بالحياة .

— هذا الذي اتفقنا عليه .

— ثم دنا بيبي من النافذة ففحص علوها عن سطــح المياه فوجد إنه يبلغ نحو مائة قدم فعاد الى مونيتو وقال له : إنك تعهدت لي برد المال متى برهنت لك على أن تنوان سرقته اليس كذلك ؟

— إنه تعهد شفاهي يغني عن التعهد الخطي فما كـنت من الكاذبين .

— اذن لنبحث في وسيلة إنقاذك .

— لقد قلت لك ان القائد العام سيعفو عني .

— إذا رفض ؟

— إنه لا يرفض .

— على العاقل ان يتوقع كل أمر فان هذا القائد قد لايكون في مايانس .

فارتعش مونـيتو وقال : إذا كان ذلك فـلا أعلم كـيف تكون نجاتي .

فضحك بيبي وقال: ولكني أنا أعلم فافترض إن لك أصدقاء في كوبلنتز اعطوك مبرداً فكسـرت به حديد هذه النافذة .

— حسناً وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك أعطوك سلما من الحبال فنزلت به إلى نهر الرين .

– إني أغرق دون شك إذ لا أحسن السباحة .

– افترض أيضاً إن أصدقاءك جاءوا بسفينة فوقفوا بها تحت النافذة .

فابتسم مونيتو وقال : إنك تفترض أموراً كثيرة .

– ذلك لان هذا الفرض سيغدو حقيقة واليك البرهان : ثم أخرج على طول من جيبه مبرداً ودفعه اليه فقال له : اكسر بهذا المبرد حديد النافذة وافتكر بالمثل القائل ساعد نفسك يساعدك الله .

– ولكنهم قد يباغتونني حين أكسر الحديد .

– تبدأ بذلك قبل الليل ثم إعلم انهم سيأتون اليك بعد ساعة فيذهبون بك الى المجلس العسكري .

– وهناك يحكمون علي بالاعدام ؟

– هو ذاك ولكنهم لا يعدمونك قبل صباح غد فيبقي لنا الليل بطوله .

– وسلم الحبال ؟

– أزورك في المساء فاحضره .

– بعد ذلك تركه بيبي وعاد إلى الجنرال داغوبير فقال له الجنرال : ماذا علمت ؟

– اليس هو ملك النور ؟

– لم أستطيع أن أعلم الان ولكني أرجو أن أقف على

الحقيقة في المساء .

وكان لبيبي مأرب في إخفاء الحقيقة عن داغوبير فقال له : إنك لا ترفض لي ملتمساً فيما أظن .

– دون شك أن لا يكون مخلا بواجباتي فقل ما تريد .

– أريد أنلا يعدم هذا الرجل قبل صباح غد مهما حدث.

– لقد تعهدت لصموئيل جوب وسأنتظر عودته .

– إذن أرجوك أن تأذن لى بزيارة هذا السجين مرة أخرى في المساء .

– لابأس بذلك فقد أذنت لك .

– هذا كل ما أريده منك .

– ثم تركه وذهب إلى أورور .

وقد كانت أورور قد البست موبينا خير الملابس وبالغت بالعناية بها حتى كادت تثق من نجاة أبيها ولكنها حين رأت بيبي داخلا نظرت اليه نظرة قلق .

أما بيبي فانه ابتسم وقال : لا تقنطي يابنتي فأن أباك سيعيش فضمت موبينا يديها إلى صدرها وقالت : أحق ما تقول ياسيدي ؟

– إني ما وعدت وعداً ونكثت به .

فقالت له أورور : العلك واثق إن القائد العام سيعفو عنه؟

– كلا يا سيدتي .

كلا .

– إذن كيف تكون واثقاً من نجاته ؟

– إذا استحلفتك يا سيدتي يميناً أتحلفينها .   – قل .

– أستحلفك أن لا تسألي زوجك العفو عن والد هذه الفتاة .   – ولكن لماذا ؟

– لان إنقاذه موقوف على ذلك .

وكانا يتكلمان باللغة الفرنسية فلم تفهم موبينا شيئاً من الحديث لجهلها هذه اللغة .

وعاد بيبي الى الحديث فقال لها : اني بينما كنت عائداً من عند هذا المنكود ...

فقاطعته اورور قائلة : العله ملك النور ؟

– كلا واأسفاه .   – أتمم حديثك .

– إني بينما كنت عائداً لقيت اركان حرب زوجك فاخبرني كيف تتنزهين في كوبلنتز .

فابتسمت اورور وقالت : إن نزهتي واحدة لا تتغير .

– هو ذاك فانك تحبين النزهة في السفن .

– هذا اكيد فاني في كل ليلة بعد العشاء أتنزه على سفينة هوائية في الرين .

– لقد أقسمت لي يميناً منذ هنيهة يا سيدتي والان أتسمحين لي أن استأذنك في أمر ؟

– بملء الارتياح .

– ارجوك يا سيدتي ان تأذني لي بالتنزه معك في هذه الليلة إذ لدى صديق فى ضفة الرين اليمنى أود أن أزوره .

* * *

– بملء الرضى فكن هنا في الساعة السابعة لنذهب معاً بعد العشاء .

فانصرف بيبي عنها شاكراً لها وقال في نفسه: لاذهب الان إلى المدينة اطوف بها فاني لا أعرفها .

كان من عادة بيبي أن يتكلم مع نفسه وهي عادة اكتسبها من عيشة الوحدة فلما بات خارج منزل داغوبير جعل يكلم نفسه فيقول ؟

إن الكونتس لا يخطر لها في بال اني سأجعلها شريكة في تهريب النوري واحب أن لا تعلم شيئاً من ذلك إلافي آخر ساعة فانها إذا عرفت قبل الاوان فقد لا توافق على قراره حذراً على واجبات زوجها من أن تمس ولا تكلترث بالاثنى عشر مليوناً الذي سيردها اليها هذا النوري .

وفوق ذلك فان مونيتو يعتمد على عفو القائد العام وأما أنا فلا اعتمد على شيء من هذه الاسباب لا يعلمها سواي .

وكان يتكلم وهو يسير حتى وصل إلى فندق طعام فدخل اليه وتغدى ثم قال : لقد أعطوني حوالة على صراف في كوبلنتز فلا نظر في هذه الحوالة .

فاخرجها من جيبه ونظر فيها فاذا هي على صموئيل جوب فقال : إن هذا الرجل في مايانس ولكن لا بد ان يوجد في محله موظفون يدفعون لي الحوالة .

فاستدل على محل صموئيل وذهب اليه فطرق بابه مراراً وبعد ذلك فتحت نافذة وبرزت منها امرأة عجوز فقالت له :

إن صموئيل مسافر .

– ألا يوجد احد ينوب عنة ؟

– كلا .

فاستاء بيبي لانه لم يبق لديه غير القليل من المال ولكنه قال في نفسه سأصبر الى الغد وإذا احتجت الى شيء استعنت بداغوبير وكان أهل المدينة رأوه في الصباح يسير مع ضابط أركان الحرب فاحترموه وقالوا : لا شك انه رجل خطير وكانوا يحيونه باحترام .

وما زال يسير من شارع الى شارع حتى وصل الى دكان حبال فاشترى أطول حبل لقيه فبلغ طوله ٧٥ قدماً وقال في نفسه انه اذا لم يكن كافياً الوصول الى المياه فلا بد لمونيتو من الاغتسال بمياه النهر .

وعند ذلك عاد الى الفندق الذي أقام فيه فدخل الى غرفتها وخلع ثيابه فلف هذا الحبل الذي اشتراه على صدره ثم لبس ملابسه فوقه وهو يقول : ان هذا الحبل خير من عفو القائد العام وأقام ينتظر المساء بفارغ الصبر .

وكان مونيتو قد أرسل في خلال ذلك الى المجلس العسكري فحوكم وصدر الحكم عليه بالاعدام باجماع الاراء .

أما بيبي فانه ذهب الى سجن مونيتو ودخل عليه بامر داغوبير فقال له ينبغي لك ثلاث ساعات لكسر حديد النافذة .

أأحضرت الحبل ؟

– نعم .

- ثم خلع سترته فاخرج الحبل وقال له يجب أن تبدأ الان بالعمل .

- ومتى فرغت من كسر الحديد فماذا أفعل ؟

- تربط طرف الحبل بالنافذة وتنتظر الى تسمع صوت مجاذيف في النهر تحت النافذة تماماً .

- وبعد ذلك ؟

- تصغى فاذا سمعت صفيراً تلقي الحبل وتتعلق به وتنزل عليه حتى تبلغ السفينة فاذا كان قصيراً القيت نفسك في النهر ولا تخف فاننا ننتشلك في الحال .

-واذا كان القائد العام قد عفا عني ؟

فهز بيبي كتفيه وقال له اصغ الي فاني عارف بكل شيء فانك جئت الى القائد العام برسالة - أتظن ذلك ؟

- بل أوكد فانك معتمد على هذا الكتاب الذي ارسلته مع صموئيل جوب كل الاعتماد .

فقال مونيتو بلهجة دلت على انه لا ينكر ذلك كل الانكار، وبعد ذلك ؟

- إن الجنرال بيشارجي يعد من كبار الرجال في ساحات القتال وفي ما خلا ذلك فهو رجل لا حزم له ولا ثبات في أعماله فانه يخدم الجمهورية اليوم ثم يخطر له في التالي أن يخونها فلنفترض ان صموئيل جوب وجده اميناً في خدمة الجمهورية فهو يجيب على الرسالة باصدار الامر باعدامك بعد احراق تلك الرسالة واخفاء أثرها .

— ربما ولكن لنفترض انه رضي بما اقترح عليه .
— انه يصدر الامر باعدامك ايضاً — لماذا :
— كي لا يبقى شاهد على خيانته .
— يظهر انك من أهل الذكاء وربما كنت مصيباً في ما تقول
— اذن ابدأ بكسر الحديد كي تنقذ .
— ولكن ابنتي ؟
— ستجدها في نفس السفينة التي فيها .

ثم ودعه وانصرف عنه وكانت الساعة السادسة أي انه لايزال لديه ساعتان للذهاب الى أورور والتنزه معها في سفينتها كما اتفقا فسار في الطريق المؤدي الى باب المدينة الذي يسافرون منه الى مايانس وخرج من ذلك الباب وفي نيته اعداد بعض وسائل تسهل الفرار .

وفيما هو يمشي سمع وقع حوافر جياد فارتعش وقال في نفسه لا يمكن ان يكون هذا الفارس صموئيل جوب ؟

ثم سار الى لقاء هذا الفارس فلم يطل سيره حتى التقى به فاسرع اليه وامسك عنان جواده . وقال له : قف .

فاضطرب الفارس وقال له : ماذا تريد ؟
— أأنت هو صموئيل جوب — نعم .
— اذن لا تبرح هذا المكان قبل أن احدثك .
— من أنت ؟
— أنا رجل له عندك حوالة بمائتي ريال .
— تعال غداً أدفعها لك وأما الان فاني ذاهب في مهمه

خطيرة .

– كلا فانك ستصغى إلى الآن فان الامر خطير يتعلق بحياة مونيتو النوري .

فدهش صموئيل وقال : أتعرف هذا الرجل ؟

– اني صديقة وأرجو انقاذه .

وكان بيبي يكلمه بلهجة السيادة وقد قبض على عنان جواده بحيث لم يدع له سبيلا للانصراف فقال له : ولكن من أنت .

– أنا رجل يعرف ما كانت تتضمنه الرسالة التي ذهبت بها الى الجنرال بيشارجي .

فزاد انذهال صموئيل وقال : أتعرف هذا ؟

– أظن – كيف عرفت ذلك الست واثقاً .

– انه أعطاني رسالة مختومة الى الجنرال داغوبير .

فقال له بيبي ببرود : اني أراهنك على المائتي ريال التي لي عندك ان هذه الرسالة تتضمن أمراً صريحاً باعدام مونيتو .

– هذا محال – ولكنه الحقيقة .

وعند ذلك أخرج صموئيل الرسالة من جيبه كأنه يحاول ان يعلم اذا كان يمكن فض ختمها والوقوف على ما فيها دون ان يعلم داغوبير انه فتحها .

فانتشلها بيبي فذعر صموئيل وقال ماذا تصنع ؟

– أريد أن أقف على الحقيقة .

وكان نور الفجر ساطعاً بحيث كان يستطيع المرء أن يقرأ على نوره فخاف صموئيل خوفاً شديداً وقال ان الرسالة مختومة

بختم القائد العام .

– وأنا سأفض هذا الختم .

وعند ذلك فتح الرسالة قبل ان يتمكن صموئيل من اعتراضه وقرأ على مسمع صموئيل مايأتي ؟

«عزيزي الجنرال داغوبير .

«عند ما تصل اليك هذه الرسالة اسرع باعدام الرجل الذي قتل الضابط دشين واذا وصل اليك هذا الامر في الليل فلا تنتظر الى الصباح » . بيشارجي .

فلما اتم تلاوتها قال : ألم أقل لك الحقيقة .

*

فحار صموئيل مما سمع وقال له : من أنت أيها الرجل الذي يعلم الخفايا .

– إني ادعى بيبي وأنا من الفرنسيين ويهمني أمر مونيتو ملك النور أكثر مما يهمك والآن فلنتحدث فان الوقت غير متسع .

– ما تريد ؟

– لنفترض اني لم أجدك في طريقي .

– ماذا كان حدث .

– كنت ذهبت تواً الى الجنرال داغوبير .

– هذا أكيد .

– وكنت اعطيته رسالة القائد العام وأنت تحسب انها

تتضمن العفو فأمر باعدامه بالليل طبقاً للامر .

– وأسفاه وأية فائدة له من الموت من الليل أو النهار فانه مقتول في كل حال .

– كلا فانه سينجو بعد بضع ساعات .

– ماذا تقول ؟

– أقول الحقيقة ولكن يجب أن لا تدخل الى المدينة اذا كنت تريد مساعدتي على انقاذه فان الجنرال داغوبير أصدر أمر بان يذهبوا بك اليه حين وصولك .

– اذن سأقيم هذه الليلة في أحد فنادق الاسوار .

كلا اذ يجب أن تساعدني على انقاذ مونيتو .

– ولكن كيف ترجو أن تنقذه ؟

– بحمله على سفينة – العله بات طليقاً .

– كلا فانه لا يزال في السجن ولكنهم سجنوه وحده في غرفة تطل على النهر وقد أذن لي الجنرال بزيارته في سجنه فأعطيته مبرداً وحبلا وهو الان يبرد حديد النافذة فيتدلى الى النهر بالحبل ونحن نأخذه الى السفينة .

فهز صموئيل رأسه وقال : ان خطتك بسيطة في الظاهر ولكن يستحيل تنفيذها – لماذا .

– لان الفرنسيين منذ احتلوا هذه المدينة منعوا سير السفن ليلا في الرين واذا تجاسرت سفينة على مخالفة هذا الامر اغرقتها مدافع الحصون في الحال .

فابتسم بيبي وقال : انك منخدع – كلا وأسفاه .

– ولكن يوجد سفينة تمر كل ليلة تحت مدافع الحصون دون أن يعترضها احد .

– هو ما تقول ولكن هذه سفينة الكونتس أورور زوجة الجنرال داغوبير .

– ونحن سننقذ مونيتو بهذه السفينة .

– اني لا افهم ما تقول .

– ذلك لانك لا تعلم ان امرأة الجنرال مهتمة بمونيتو .

– دون شك ولكنها لا تستطيع اكراه زوجها على تهريب الاسير .

– ان زوجها لا يعلم شيئاً مما تصنع .

– ولكن امرأته لا ترتكب هذه الخيانة .

– وهي ايضاً لا تعلم – اذن كيف تصنع .

فكشف بيبي ساعته وقال : ليس لدي وقت للايضاح وسأخبرك بكل شيء حين تغدو بالسفينة .

– أيجب أن أذهب معك ؟ – دون شك .

– ولكن يجب من أجل ذلك أن أدخل الى المدينة .

– كلا .

– ثم أشار بيده الى ضفة النهر اليمنى وقال له : أترى هذا المنزل المبني فوق القمة .

– نعم فهو منزل صيفي لا يسكن في الشتاء .

– لا بأس فاذهب الى ذلك المنزل وقف على ضفة النهر تحته وسنحضر بالسفينة اليك فتسير معنا .

– في أية ساعة تحضرون ؟

– بين الساعة الحادية عشرةومنتصف الليل أتحسن السباحة

– نعم .

– اذن كل أمر قد تيسر فاعطني الان رسالة القائد العام .

– فاعطاه اياها وافترقا فذهب صموئيل الى المكان الذي اشار اليه وعاد بيبي الى المدينة فذهب توا الى الجنرال داغوبير فقال له داغوبير : أرأيت هذا النوري المنكود ؟

– نعم فهو نوري حقيقة ويدعى مونيتو كما يقول .

– ولكنه ليس بملك النور – كلا واأسفاه .

– ولكني أرجو أن يعفو عنه القائد العام .

– وأنا ارجو رجاؤك ولكني لا أعتقد على هذا العفو كل الاعتماد ويجب ان نتوقع له الشر فان القائد العام لارحمة في قلبه.

– اني مشفق كل الاشفاق على ابنته فاذا قدر له ان يموت رجوت امرأتي أن تتبنى هذه الفتاة وبمناسبة ذكر امرأتي قل لي أحق ما قلته لها من انك تحب النزهة معها في الرين هذه الليلة ؟

– نعم ايها الجنرال .

– اتتنزه بهذا البرد القارس وتصحب معك امرأتي ؟

– نعم – ولماذا .

– ألم أقل لك في صباح اليوم اني عولت على الانتصار على تنوان .

– ولكن كيف ذلك ؟

– اصغ الي تعلم انه يوجد في الضفة اليمني من الرين منزل

تقيم فيه امرأة عجوز قيل لي انها عرفت تنوان وكريتشن والده أورور وهي تستطيع ان تفيدنا فوائد كثيرة .

– ولكنك تستطيع ان تذهب اليها غداً في النهار .

– ذلك محال فاني مضطر الى مبارحة كوبلنتز عند الفجر .

– الى أين تذهب ؟ – الى حيث أقضي مهماتكم.

– أنت رجل غريب الاطوار يا بيبي .

– ربما فلقد كنت من أهل الشر ثم تبت وارعويت فبات أقصى مرادي صنع الخير .

– اذهب إلى أورور وأفعل ما تشاء .

– ولكني أرجح أن لا أراك قبل السفر .

– كيف ذلك أتسافر دون ان تودعني ؟

– ذلك منوط بما ستقوله لي العجوز .

– ولكننا سنلتقي .

– هذا الذي أرجوه وأما الان فاستودعك الله .

فصافحه داغوبير مودعاً وصعد بيبي إلى الكونتس أورور فعاد داغوبير إلى النظر في خريطة لضفاف الرين فكان يشك فيها دبابيس تلونت رؤوسها بالوان مختلفة بين الاسود والاحمر والازرق أما بيبي فقد كان يقول في نفسه وهو صاعد الى أورور لقد كذبت على هذا الجنرال الكريم الكذبة تلو الكذبة ولكني لو قلت له الحقيقة لرأى إن من واجبات شرفه أن يراقبني وأن ينقل مونيتو من محبسه أو يأمر باعدامه في الحال ثم صعد الى اورور فلقي معها موبينا .

* * *

لم تكن اورور تودأن ترفض ملتمساً لبيبي بالنظر لخدماته السابقة وحسن مساعيه غير انها فكرت بما فكر فيه زوجها من امكان تأجيل هذه الرحلة إلى الغد فقالت له : انك تمعنت قليلا أيها الصديق فان برد هذه الليلة شديد .

ـ كلا فاني لا أرجع عن قصدي بهذه الرحله .

ـ انك تمزح دون شك .

ـ كلا ودليل ذلك اني أعيد عليك ما قلته الان لزوجك فاني أقسمت على أن أرد لكم الثروة المفقودة انما يجب أن تساعديني ياسيدتي فنظرت اليه باندهال وقالت له : ألحق اني لم أفهم ما تقول فلا أدري أية علاقة بين سياحتنا الليلة في الرين وبين هذه الثروة المسروقة

الك ثقة بي ياسيدتي الكونتس ؟

ـ ثقتي بك لا حد لها .

ـ واذا أقسمت لك ان لهذه الرحلة علاقة بمشروعي وانه يجب أن تذهبي معي أتصدقين ؟

ـ أصدق وأذهب معك ثم نظرت نظرة حنو الى موبينا وقالت له دعني أوصل هذه الفتاة الى غرفتها .

ـ وأنا ألتمس منك التماساً آخر وهو أن هذا الفتاة يجب ان تذهب معنا ـ أرى ان هذا اللغز قد تعقد وزاد غموضاً .

ـ لا بأس فاقتصري يا سيدتي على العلم اني لا أطلب هذه المطالب الا لخدمتك وخدمة أختك .

فلم تلح عليه اورور بالسؤال وقالت له : سأفعل كل ما تريد

ـ ثم قالت لموبينا باللغة الالمانية أتريدين أن تتنزهي معي في النهر .

ـ اني أذهب معك الى أقصى حدود الارض ياسيدتي لان ثقتي بك عظيمة وستنقذين ابي .

فاجابتها والتأثر باد في لهجتها : واأسفاه اني لا أجسر أن أرجو .

فرفع بيبي عينيه الى السماء كأنه هو نفسه ايضاً لا يرجو ثم قال لاورور باللغة الفرنسية اتماماً لخديعتها ان صموئيل قد سافر منذ اثنتي عشر ساعة ولو كان يحمل نبأ صالحاً لما تأخر الى الآن .

وبعد ربع ساعة خرج الثلاثة من حديقة منزل داغوبير الى السفينة التي كانت تنتظرهم فتولى بيبي ادارة الملاحين وأمرهم أن يسيروا بالسفينة الى ذلك المنزل الذي يقيم تحته صموئيل جوب كما تقدم حتى اذا اقتربت السفينة من المنزل وقف بيبي وجعل ينظر .

فقالت له أورور : ماذا تصنع :

ـ انظر اذا كان قد أتى الرجل الذي واعدته على اللقاء .

ـ من هذا الذي واعدته ؟

ـ هو هذا الذي ترينه يا سيدتي .

وقد اشار الى صموئيل جوب الواقف على الضفه وكان القمر متألقاً فصاحت أورور صيحة دهش وقالت : من ارى ؟ صموئيل جوب ؟

ـ كيف ذلك ! أعدت من مايانس ؟
ـ نعم .
ـ ما هذا الخوف البادي عليك وما وراءك من الاخبار ؟
فقال لها بيبي ، سنخبرك ياسيدتي متى صرنا فيعرض النهر.
ثم صعد صموئيل الى السفينة فأشار بيبي اليه اشارة مفادها: دعني أتكلم ثم خاطب اورور فقال : اني كنت منذ ساعة أتنزه خارج المدينة فلقيت صموئيل عائداً من باريس .

فقاطعته الكونتس قائلة : ولكن ألا تقول لي ما كان من القائد العام ؟
ـ صبراً يا سيدتي فان صموئيل كان يحمل رسالة من القائد العام الى الجنرال داغوبير .
ـ وهذه الرسالة ؟
ـ فتحتها لا عتقادي ان زوجك يغفر لي هذه الزلة .
ـ ولكن ماذا تتضمن هذه الرسالة ؟
ـ هذه يا سيدتي فاقرءيها .

فأخذتها أورور بيد تضطرب فقرأتها وأصفر وجهها ثم قالت :
رباه ماذا اصنع ؟
ـ تنقذين مونيتو ـ أيمكن انقاذه ؟
ـ اذا كنت تريدين .
ـ كيف ذلك أتسألني اذا كنت أريد انقاذ هذا المنكود ثم هزت رأسها وقالت : ولكنك لاتعرف داغوبير حق العرفان

فلا شيئاً في الوجود يحمله على مخالفة واجباته .

ـ اننا لسنا في حاجة الى الجنرال

فاضطربت أورور اضطراباً شديداً وقالت : إني أكاد أجن فقل لي كيف ذلك ؟

ـ سكني جاشك يا سيدتي ـ تكلم .

ـ إن سفينتك معروفة لدى حراس الرين فهي تذهب حيث تشاء دون معارض ـ قالت دون شك .

ـ وسنذهب بك الى البر ونبقى في السفينة انا وصموئيل .

ـ ولماذا ؟

ـ سوف ترين . ثم دفع السفينة الى جهة السجن حتى اذا وصلت الى النافذة اوقفها ثم وضع اصبعه في فمه وصفر فرأت اورور رجلا يتدلى بحبل من النافذة .

فصاحت موبينا صيحة فرح ووضع بيبي اصبعه فوق فمه اشارة الى السكوت وقالت له اورور : لا شك انك من النوابغ فقد فهمت كل شيء .

ـ اني ارجع ثروتك .

ـ كيف ذلك امونيتو .... ـ انه ملك النور .

وكان مونيتو قد وصل عند ذلك الى سطح المياه فنقلوه الى السفينه .

وعند ذلك قال بيبي لاورور : اننا سنذهب بك الان الى البر ياسيدتي فقد انقذت ملك النور وهو لا ينسى هذا الجميل .

اما مونيتو فأنه نظر الى الكونتس نظرة ملؤها الامتنان بينما كانت إبنته مكبة على عنقه وقد كاد يغمى عليها من السرور وبعد ربع ساعة كان مونيتو آمناً كل خطر مع إبنته فقال له بيبي : اني سأبرهن لك ان تنوان سرقت ذلك المال الذي اودعته عندك اتعلم ممن سرقته ؟

– كلا .

– من هذه المرأة التي انت مدين لها بالحياة .

١٨
الوصية المزورة

هذه هي حكاية بيبي التي قصها على بوليت فكان بوليت يسمعها بملء الاصغاء حتى اذ انتهى من قصها قال له بوليت :

– لقد عرفت انك انقذت مونيتو وابنته فالى اين ذهبتم بعد ذلك ؟

– جرت بنا السفينة في نهر الرين حتى بلغنا ديسلدفورت وهناك قلت للملك النور انك لم تعد في حاجة الي فان هذه المدينة لم يحتلها الفرنسويون بعد ولا تزال المانية فاذهب منها الى همبورغ ومنها الى فينا .

– هو ذاك ولكننا نرجو ان نلتقي بعد الان .

قلت: دون شك فقد وعدتك ان ابرهن لك عن سرقة المال.

– اني اشد منك رغبة بالحصول على هذا البرهان فاين نلتقي :

– كما تريد . – اذاً في فينا ؟

– متى ؟ – بعد شهر .

فنزلنا من السفينة الى المدينة وكان لصموئيل عملاء فيها

فقبض من احدهم ما يحتاج اليه مونيتو من المال وبعد ذلك خلابي مونيتو وقال لي : انك اهتممت بامري لانني ملك النور ولانك ترجو ان تبرهن لي ان تنوان سرقت ذلك المال ؟

قلت : ثق ساقنعك بالبرهان .

– ليس هذا الذي اباحثك عنه فقد تقررانه متى اقتنعت ارجعت المال الى اصحابه ولكنك انقذت حياتي وانا مدين لك وسأفي هذا الدين .

ولم يزد على ذلك سوى إنه سألني عن عنواني فارشدته اليه فذهب مع ابنته في مركبة إلى فينا وعدت مع صموئيل جوب بالسفينة إلى كوبلنتز .

وكان صموئيل خائفاً خوفاً شديداً وهو مصيب في خوفه فان داغوبير قد يستاء جداً مما حدث ولكن حدث حادث غير منتظر حال دون استيائه من فرار مونيتو وهو إننا حين وصلنا إلى كوبلنتز بعد يومين علمنا إن الحكومة الفرنسية عرفت إن الجنرال بيشارجي ينوي الخيانة والتسليم الى العدو فاستدعته وعينت مكانة الجنرال داغوبير للقيادة فبات يحق له العفو عن مونيتو .

وقد صرف كل ليلته بارسال الاوامر إلى الفرق العسكرية في ضواحي المدينة فلم يكترث بمونيتو ولم يعلم بفراره الا في الصباح .

غير ان امرأته اعترفت له بكل ما حدث فابتسم وقال لها: انكم لو لم تنقذوه لتوليت أنا إنقاذه بالعفو بعد أن صرت

مطلق السلطان .

ولما قابلته قال لى : يجب أن أعاقبك فقد هزأت بي الم تقل لى انك ذاهب للاهتمام بثروة امرأتي ؟

- لقد قلت لى غير ذلك وكذبت هذه الا كذوبة نفسها على أورور .

- لا أنكر إني كذبت عليك أيها الجنرال العزيز ولكني اضطررت إلى الكذب مكرهاً اذ لو قلت لك الحقيقة لما تيسر لى انقاذه ولما وافقتني على ما فعلت.

وقد أقمت عنده تلك الليلة وفي الصباح أخذت جواز و سافرت الى فينا وبعد ثمانية أيام وردني من ملك النور هذه الرسالة « أيها الصديق العزيز .

« وصلت إلى فينا فما أقمت فيها ولكني ساوافيك فى اليوم الذي اتفقنا عليه وهو يوم ١٧ الجاري فانتظرني في الفندق الذي أنت فيه في الساعة الثامنة من المساء .

« وقد عهدت الى ابنتي موبينا أن أنوب عنها في اظهار امتنانها وأن أرجوك قبول هذا التذكار الواصل اليك مع هذه الرسالة »

مونيتو

كان هذا التذكار علبة صغيرة تحتوي على لآلىء تبلغ قيمتها مائة الف فرنك .

فقال بوليت : ماذا صنعت بهذه اللآلىء ؟

- بعتها فاني منذ توليت مصارعة تنوان أنفقت جميع ما

كنت قد اقتصدته من المال .

– إذن لديك الآن مائة الف فرنك .

– نعم يا بني وهي في بنك فينا .

– وهل جاء ملك النور في الموعد المعين .

– لم يخل بدقيقة وكنت اخبرت الكونت لوسيان دي مازير فحضر ساعة اجتماعنا فبدأ مونيتو الحديث أمامه قائلا: لا أحب الي من رد المال ولكني لا أستطيع رده الا بالبرهان على انه مسروق فحكي له لوسيان عند ذلك حكاية تنوان النورية بجملتها.

وكان يتكلم بلهجة تشف عن الصدق أثرت على مونيتو حتى قال له : كنت أود أن أصدق ما تقول ياسيدي الكونت .

– كيف ذلك الم تصدقني ؟

– كلا – لماذا ؟

– لانه لدي وصية البرنسيس هيلانة وهي تعين وريثتها الوحيدة تنوان النورية .

ثم أخرج من جيبه تلك الوصية واطلع عليها الكونت لوسيان فقرأها لوسيان وقال له : إنها مزورة دون شك .

– هذا الذي يجب ان تبرهنوا لي عنه .

فخطر لي عند ذلك خاطر سريع وقلت له : أنا أبرهن لك تزويرها ولكن ليس في هذا المكان -- اين ؟

– في باريس – كيف ؟

– إني أجمعك بالرجل الذي زورها وأريك مكاتيب من البرنسيس هيلانة يظهر فيها خطها .

– إذا فعلت ذلك أرجعت لك المال .

– أتستطيع الحضور إلى باريس ؟

– دون شك ؟

– متى ؟ – حين تريد .

– إذن نجعل موعدنا على الالتقاء بعد أسبوعين .

– سأكون في الموعد المعين .

وعند ذلك افترقنا على أن نلتقي في المساء وسوف ترى كم يجب أن تحذر في مقاومتنا هذه المرأة الهائلة .

وهنا توقف بيبي هنيهة كي يستريح فقال له بوليت ، أرجوك تجيبني على أمر اشكل علي قبل أن تتم حديثك .

– ما هو ؟

– كيف عرفت ان تنوان أودعت أموالها عند ملك النور .

– هذا الذي كنت أريد أن أرويه لك فاسمع .

* * *

وعاد بيبي الى الحديث فقال : كنت مقيما في فينا بفندق يكثر قدوم المسافرين اليه على اختلاف أنواعهم .

وكنت قد عرفت في هذا الفندق رجلا فرنسياً حسبت في البدء إنه من المهاجرين وكنت القبه بالشفاليه ثم رأيت من عينيه ومن أرتباكه في بعض أجوبته ما جعلني أعتقد إنه جاسوس فرنسي أرسلته إدارة البوليس في بعض الشؤون فجعلت أراقبه كل المراقبة .

وقد رأيته يذهب الى الميناء حين قدوم كل باخرة فيراقب كل ركابها كأنه يبحث عن شخص ينتظره .

فاتفق في ليلة إنه تأخر على المائدة وجعل يكتب مذكرات في دفتر صغير فدنوت منه ونبهته بوضع يدي على كتفه ثم قلت له أيها الصديق لا أرى وجوباً للتكتم بين زميلين.

— ماذا تعني بذلك فأريته جوازي وقلت له اقرأ .

فقرأ الجواز ثم قال لي منذ هلا : لم أفهم ما تريد .

فاظهرت العجب وقلت له : ألم تفهم مرادي ؟ —كلا .

— أريد إننا نشتغل بمهنة واحدة في البوليس السري .

— انك مخطيء فما أنا من رجال البوليس .

— بل انك مرسل الى هنا لمراقبة المهاجرين .

— إذن لماذا تراقب المسافرين عند قدوم كل باخرة .

فابتسم الرجل وقال :لست بجاسوس ولكني رسول أحضر الى فينا مرة كل شهر لاقبض مائة الف فرنك وأعود الى باريس ثم ابتسم وقال : أرجو أن لا تحسب إن ذلك لحساب الحكومة .

— ولكن لا يوجد في باريس أغنياء يبلغ إيراد ثروتهم مائة الف فرنك في الشهر .

— بل يوجد ودليلي إني كل شهر اقبض هذا الايراد ولكن تنوان صاحبة هذه الثروة ستعاقبني هذه المرة .

فدهشت لقوله وقلت : تنوان — نعم ألعلك تعرفها .

— هو ذاك فقد استخدمتني مرة في بعض الشؤون أما هي خليلة المحامي د. ؟

ـ هي يعينها . ثم يظهر انك عارف بكل أمر .

ـ هو ذاك .

ـ اني متضايق جداً في هذا الفندق فان فيه كثيرون من النبلاء يدعونني بلقب الشفاليه وأنا ادعى أوغستين فالمل وهم يسألونني احياناً عن أمور لا أعرف أن أجيب عنها فاتضايق .

ـ أتريد أن تشرب معي كأساً من الخمر ؟

ـ دون شك فان الشراب يفرج همي .

وجعلنا نشرب ونتحدث بملء الصداقة الى أن أخبرني عن تنوان فقال لي إنه يحضر كل شهر فيقبض لها مائة الف فرنك . فغمزت بعيني وقلت: ان هذا المال يدفع من خزينة الامبراطور.

ـ انك مخطيء .

ـ بل ان تنوان هـذه من البوليس الامبراطوري واني أعترف لـك إني ما اتيت إلى هنا الا لاستوثق من ذلـك فان تاليان رئيس حكومتنا أرسلني .

ـ اذن فاعلم ان تاليان منخدع .

ـ ان ذلك يكون من حظ تنوان .

ـ أسمع فاني محدثك بجلاء .

وهنا سكبت له قدحاً من الخمر فشربه جرعة واحدة وقال لى اعلم إن تنوان غنية جداً .

ـ إن ظواهرها تدل على ذلك في باريس .

ـ أهي هنا ؟ ـ نعم .

ـ قلت : أهي عند الصيارفة ؟ ـ كلا بل عند نوري .

وعند ذلك حدثني بكل ما ذكرته لك يابوليت فعلمت منه إنه يوجد قبيلة نورية قوية وأن لها خزينة عامة وان زعيمها يلقبونه بالملك الى غير ذلك مما ذكرته لك خلال الحديث .

وقد قال لي انه يحضر كل شهر مرة فيقيم في فينا يوماً او يومين ثم يعود بالمال الى باريس فقلت له : ولكنك تأخرت هذه المرة فأني أراك هنا منذ عهد بعيد .

ـ ذاك لان مونيتو ليس في فينا الان .

فعلمت أن ملك النور يدعى مونيتو وقلت له: أين هو مونيتو

لا أعلم فأنه كثير الاسفار لانه من تجار الاحجار الكريمة وهو لا يقول لاحد إلى أين يسافر ولذلك فاني قد أضطر الى الانتظار أيضاً اسبوعاً أو أسبوعين وقد نفذ ما معي من المال .

فاسلفته مائه ريال ولا زمته ملازمة ظله ثمانية أيام فلم يعد مونيتو ففي ليلة وردتني رسالة من الكونت لوسيان يدعوني فيها الى زيارته فذهبت اليه فأخبرني إن داغوبير قد أرتقى الى رتبة جنرال في الجيش وهو يخدم في فيتق الجنرال بيشارجي .

وكانت علائم السرور بادية عليه فقلت له: لماذا يسرك ذلك ياسيدي الكونت الست من اعداء الجمهورية فكيف تسرك خدمة داغوبير مع هذا الجنرال ؟

سأخبرك غداً بسر ذلك فانه اليوم من اسرار الحكومة .

فتركته وعدت الى الفندق فوجدت صاحبي يتأهب للرحيل فقلت له : ماذا تصنع ؟

ــ اني مسافر فأن مونيتو قد عاد .

– متى ؟

– هذه الليلة فقبضت المائة الف فرنك وهذه المائة ريالا التي استلفتها منك فاذا كنت محتاجاً إلى المال اسلفتك .

– كلا ولكني محتاج الى غير ذلك .

– ماذا ؟

– لا أستطيع أن أصدق نورياً يكون من أصحاب الملايين وأحب أن أرى هذا الذي يلقبونه بملك النور .

– الامر سهل ميسور .

– كيف ذلك ؟

إنه يقيم في شارع قريب من هذا الفندق يدعى شارع سانت اليزابت ونمرة منزله رقم ٨ فاذهب اليه غداً .

– بأية حجة أتذرع ؟

– بحجة شراء الماس فانه من أشهر تجارها .

فشكرته وافترقنا فلم انم تلك الليلةوفي الصباح سافر الرجل عائداً الى باريس وصبرت ساعة وذهبت الى منزل مونيتو .

* * *

وقد استراح بيبي هنيهة وعادالى الحديث فقال: وفي الصباح ذهبت الى منزل مونيتو كاقلت لك وقرعت الباب ففتحت نافذة وظهرت منها عجوز فقالت لي : ماذا تريد ؟

– أريد ان أرى مونيتو .

– انه مسافر .

– كلا قد علمت يقيناً إنه عاد أمس من السفر .

– هو ما تقول ولكنه سافر عند الفجر .

– أحق ما تقولين ؟

– هي الحقيقة وشاهدي على ذلك انه صحب معه إبنته .

– ولكن إلى أين ذهب ؟

– لا أدري فانه لا يقول عادة إلى أين يسافر .

ثم أقفلت النافذة وانصرفت وقد علمت إن له بنتا وقلت في نفسي سأرجع في المساء فربما يكون قد عـــاد .

ولكني أقمت اسبوعاً وأنا أقرع باب مونيتو كل يوم فتجيبني العجوز إنه لم يعد بعد .

وفي اليوم الثامن ذهبت إلى الكونت لوسيان فحدثني عن الجنرال بيشارجي وقال : أتعلم لماذا سررت أن يكون داغوبير جنرالا في فيلق بيشارجي ؟

قلت :كلا .

– ذلك بيشارجي عازم على خيانة الجمهورية وتسليم جيشه بمهماته إلى الملكيين ونحن نتفاوض الآن في هذا الشأن .

– أحق ما تقول ؟

– نعم وقد أرسلنا اليه رجلا يثق به الامبراطور ثقة شديدة

– ومن هو هذا الرجل ؟

– هو أغنى تجار الالماس في المانيا .

فأرتعشت وقلت له : سافر هذا الرجل خصيصاً لمقابلة

بيشارجي ؟

— إنه سافر منذ ثمانيه أيام .

— وهو يدعى مونيتو اليس كذلك ؟

— كيف عرفت دلك ؟

— لا يهمك ذلك ولكن قل لي الا يدعى مونيتو ؟

— نعم .

— إذن قل للكونتس دي مازير إذا أرادت أن تكتب الى أختها أورور فاني أتعهد بايصال رسالتها — أتسافر .

— نعم فاني أريد اللحاق بجيش بيشارجي .

— لماذا ؟

— اني ذاهب للبحث عن ثروتكم التي سرقتها تنوان .

ثم برحت فينا في الليلة نفسها وأنت تعلم البقية يا بوليت .

فقال له بوليت : كلا إني لا اعلم شيئاً .

— لقد اصبت فاني لم أخبرك بعد كيف إني بعد ما تركت مونيتو وعاهدته على الالتقاء في باريس لقيته في الليلة نفسها .

— هذا ما اتوق إلى معرفته .

— إنه في تلك الليلة جاءني مونيتو وقال : إن ذلك الرجل الذي يأتي كل شهر لقبض نقود تنوان قد جاءني حسب العادة .

قلت : وهل دفعت له ؟

— كلا فقد بدأت الآن أثق بصدق ما قلته لي .

— لقد أخطأت فان ذلك يولد الظنون في قلب تنوان .

ـ إن ذلك قد حدث فاني حين امتنعت عن الدفع قال لي انك لقيت رجلا يدعى بيبي وهورجل شقي سرق تنوان ولفق لك عنها أحاديث لا حقيقه لها .

ـ وهل صدقت ما قال ؟

ـ كلا ولكني علمت انه أخبر تنوان بما جرى بينه وبينك .

ـ إن تنوان واقفة الآن في موقف الحذر ولكني لا أبالي بحذرها وساقدم لك البرهان .

١٩

مونيتو نبيل

ومتى قدمت لي البرهان تنال المال ثم ابرقت عيناه وقال لي انك لا تعرفني ايها الصديق حق العرفان ولا تعرف القوم الذين يلقبوني ملكهم . ان النور يشبهون بني اسرائيل فهم متفرقون في كل مكان من انحاء الارض ولكن أين كانوا فهم الكل للواحد والواحد للكل واني في هذه المدينة رجل عادى أدعى من التجار ولكني فيما وراء هذه الجبال ، اي في تلك الوديان التي يقيم فيها البوهيميون ، اكون ملكاً من اصحاب التيجان تنحني الرؤوس لارادتي وتنفذ اوامري كما اريد .

اما تنوان وهي اختنا بالجنس فاذا كانت غير جديرة بالانتماء الى عائلتنا الكبرى تعذب دون اشفاق ويكون عقابهـا شديداً دون رحمة فلا نطيق ان يكون بيننا لصوص .

والآن استودعك الله وسنلتقي في باريس بعد خمسة عشر يوماً هذا ما اخبرك به يا بوليت وقد استوفيت معـك الحديـث فيما اظن .

– بقي امر لم اعلمه وهو اننا لقينا مونيتو منذ ساعة في هذه الحديقة ومررنا بقربه ذهاباً واياباً ورأيته ينظر الينا ولكنه كان يرمقنا دون اكتراث فهل يعرفنا :

– انه عرفني دون شك ولكني متفق واياه على هذا التجاهل

– وهل عرفت تنوان بقدوم ملك النور ؟

– دون شك – من اخبرها ؟

– هو نفسه .

– وهو سيذهب الى منزلها للعشاء هذه الليلة ؟

– اني واثق كل الثقة .

– اذن فهي ستبرهن له على صدق اقوالها السابقة ؟

– لتقل له ما تشاء فانا لدى براهيني ايضاً والان فقد علمت بكل شيء يا بني وبقي عليك أن تخدمني بل تخدم اورور .

– اني اسفك دمي في سبيل ذلك .

– اذن ستفعل كل ما اوصيتك به .

– دون شك فماذا تريد ان اصنع ؟

– اريد ان تذهب الى تنوان وتحتال على ان تتمشى معها ومع ملك النور . قال : وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك تعود الي وتخبرني بما جرى بينهما .

– قال : ونيشات ؟

– قال: يجب ان تراقبها بشكل خاص فانها مفطورة على الشر

– قال : ارى ان تنوان لم تصحبها الا لتستخدمها في اغواء مونيتو ؟

ـ هذا لا ريب فيه وانا اريد ان استخدمك لاغوائها .

ـ اغواء من ؟

ـ نيشات فاني اريد ان تهيم بك .

فحك بوليت اذنه وقال : اني حين عرفت ان نيشات هي نفس البومة سقطت منزلتها عندي .

ـ تريد انك لم تعد تحبها ؟ ـ هو ذاك .

ـ ولكني اريد أن تحبها الآن حباً باورور فاذهب يا بني وعد الي حين تنصرف من منزل تنوان فاني انتظرك .

وعند ذلك افترقا فقال بيبي في نفسه : بقي شيء لم اخبر به بوليت وهو ان تلك الوصية المزورة التي اودعتها تنوان عند مونيتو قد تكون من صنع الشفاليه دي مازير والد اورور .

ثم استرسل الى التصور وتاه في مهامة التفكير .

***

ولنعد الآن الى تنوان ونيشات بائعة الازهار أي البومة التي شغلنا عن ذكرها بحكاية بيبي الطويلة .

ويذكر القراء ان تنوان صعدت بها الى مركبتها عند باب الحديقة والناس ينظرون اليها منذ هلين مما يرون وتنوان تنظر اليها بملء السرور فانها منذ قتلت الكونتس دي مازير وسرقت ثروتها لم تكن تفتكر الا بايجاد وصيفة شريرة تكون عندها كما كانت هي عند الكونتس وتكون فاسدة الاخلاق شديدة البغض والحب طماعة متناهية في الميل الى الشر ذكية الفؤاد

فتخرج بها وتقول هو ذا تلميذتي .

وقد بحثت بحثاً طويلا فلم تجد ضالتها المنشودة حتى نظرت نيشات فحكمت لاول وهلة انها هي تبحث عنها لاسيا وانها كانت حسناء .

وكانت تنوان منذ ساعة قلقة مضطربة فان ملك النور كتب اليها يخبرها بقدومه فقالت في نفسها : ماذا عساه يصنع في باريس ولماذا اخبرتني بقدومه لا شك ان امراً جليلا دعاه الى القدوم وقد هاجت بها الوساوس وسمعت صوت العاصفة من بعيد .

ولكنها حين ظفرت بالبومة هدأ روعها فاطمأنت وقالت في نفسها :ان امرأتين اذا اتفقتا لا تخافان مكروها ولا يغلبها احد

وكانت تنوان قد هجرت منزلها القديم في الضواحي بعد استباب الامن وعادت الى باريس فاقامت في منزل فسيح تحدق به حديقة كبرى وكان عشيقها المحامي يزورها فيه وقد زادته صحبة تاليان نفوذا على ما كان له من النفوذ في عهد روبسبير .

وقد اخذا يتحدثان على الطريق فقالت لها البومه : اذن تريدين ان احمل هذا الرجل على حبي ؟

قالت : هو ذاك ايتها الحسناء .

قالت : اتعطيني كثيراً من المال ؟

قالت : ذلك منوط بقدار ما توحين الى قلبه من الحب .

— اذن ساجعله من الهائمين .

فعانقتها تنوان بحنو وقالت لها: بورك فيك يا ابنتي فساحبك

خير حب .

– ولكني من اهل الفضول ؟

– سلي ما تشائين .

– كيف انك تدعين هذا الرجل الى العشاء معك ثم تختبئين في الحديقة حتى لا تكلميه وتحاولين ان لا يراك .

– اني موضحة لك الامر بالايجاز يا ابنتي فاعلمي انه وردني في هذا الصباح كتاب من هذا الرجل يخبرني فيه عن قدومه الى باريس فاجبته اني ادعوه الى العشاءعندي وما احببت ان اشغل نفسي معه في الحديقة لاني محتاجة الى محادثتك قبل ذلك وساحدثك ملياً حين وصولي الى المنزل .

وسكتت البومة وسارت بها المركبة حتى وصلت الى المنزل فاستقبلها الخدم بالاجلال والاحترام واخذت تنوان بيد البومة وقالت لها : تعالي اوصلك الى القسم المعد لسكنك في هذا القصر .

فدهشت البومة مما رأت وسمعت وقالت: انا لي قسم خاص في قصرك .

– نعم يا ابنتي وهو معد لك منذ خمسة عشر يوماً .

فحسبت البومة ان تنوان تهزأ بها غير انها كانت تقول الحقيقة فانها علمت من اسبوعين بعزم مونيتو على القدوم الى باريس فجعلت تبحث منذ ذلك العهد عن امرأة حسناء تستخدمها لاغوائه فاعدت القفص قبل ان تجد العصفور .

وسارت بها من قاعة الى قاعة حتى ادخلتها الى قاعة فسيحة

وقالت لها : هذه القاعة وما يحيط بها من الغرف لاقامتك .

ثم قرعت جرساً فدخلت وصيفتان جميلتان فقالت لهما تنوان مشيرة الى البومة : هذه هي سيدتكما . وعند ذلك قبلت جبين البومة وقالت لها : انهما ستسرحان شعرك وتلبسانك حتى اذا فرغت من لباسك تأتين الي ثم تركتها بين الوصيفتين وانصرفت.

فوقفت البومة امام مرآة تنظر الى وجهها نظرة الخيلا وتقول في نفسها : لقد كان قلبي يحدثني اني سابلغ هذا المبلغ واني ساغدو من اهل الثروة وما كانت لتخطيء احاديث القلوب

وبعد ساعة اتمت لباسها فامرت احدي وصيفتيها ان تذهب بها الى تنوان .

***

فلما رأتها تنوان دهشت لاستحالتها فان البومة كانت باريسية وقد اشتهر نساء باريس بحسن الذوق في اختيار الملابس والتأنق بها فقالت لها : لقد اصبت باختيارك فانت هي الضالة التي كنت انشدها .

ثم اجلستها بجانبها وقالت لها : لقد تبنيتك الان ولم اعد اكتم عنك شيئاً من اسراري اذ يجب علينا ان تحب كل منا الاخرى فاننا نعرف ان نبغض .

– لقد صدقت يا سيدتي .

– الا تزالين تكرهين الاختين ؟

فاتقدت عينا البومة ببارق من الحقد وقالت : كل الكره

غير ان كرهي قد تغير .

ـ كيف ذلك ؟

ـ اني حين كنت ادعي البومة كنت اكرههما لجمالهما .

ـ والآن ؟

ـ اكرهما لانهما اصبحتا سيدتين عظيمتين لان الملكية لا بد ان تعود ومتى عادت نصبح نحن بنات الشعب ذليلات امامهن .

ـ لكن الملكية لم تعد بعد .

ـ غير انها قد تعود . ـ ربما .

ـ وعند ذلك نرى حنة واورور تركبا المركبــة المذهبة وعليها اشارات الاشراف .

ـ هو ذاك فان الملك قد يعود وتعود معه حنة واورور ولكن ينقصهما امر واحد . ـ ما هو ؟

ـ المال . فانهما فقيرتان بفضلي .

ـ كيف ذلك ألأنت اضعت ثروتهما ؟

ـ كلا بل اني سرقتها اما تريني غنية ؟

ـ انك مشهورة بثروتك .

ـ وهذه الثروة للاختين ولكن هذه الثروة التي سأمنحك نصفها بعد موتي يحاولون استرجاعها مني .

ـ من هذا الذي يريد سلبها منك ؟

ـ قوم يحاولون تجريدي منها وارجاعها الى اصحابها .

ـ ولكني الان معك ولا ينتزعونها منك قبل انتزاع روحي . فقالت تنوان : اتذكرين يا ابنتي ذلك الرجل الذي كان يقيم

بجواركم حين كنت في دكان الغسالة واسمه بيبي ؟

ـ اذكر هذا الشقي ولا انساه فقد خدعني كما شاء .

اتكرهينه ايضاً : كما اكره الاختين .

ـ اذن فاعلمي انه هو الذي يريد سلب المال مني .

وعند ذلك اخبرتها انها بعد ان سرقت المال من الكونتس دي مازير اودعته عند ملك النور .

فقالت لها : أهو هذا الرجل الذي يتعشى عندك الليلة ؟

ـ هو بعينه .

ـ وهو الرجل الذي تريدين ان يهيم بي ؟

ـ نعم فهل فهمت ؟ ـ فهمت ولم افهم .

ـ كيف ذلك .

ـ ان هذا الرجل اذا كان يتعشى في منزلك فهو من اصدقائك ولا فائدة له من تسليم المال الى سواك .

ـ لقد اخطأت يا ابنتي فليس جميع النور خداعين منافقين مثلي ولا سيما مونيتو فهو من الاشراف .

ـ الم يكن عالما حين اودعت عنده مالك ان المال مسروق؟

ـ كلا .

ـ اذن كيف اثبت له حصولك على هذا المال الكثير ؟

ـ بوصية اطلعته عليها من اميرة المانية تعود اموالها بالارث الى الاختين وقد تخلت لي بهذه الوصية عن اموالها .

ـ اذن ان المال لك ؟

ـ كلا . لماذا ؟

ـ لان الوصية مزورة وقد آل بيبي على نفسه ان يكشف هذا التزوير .

ـ واذا نجح ؟

ـ يرد مونيتو المال الى اصحابه .

ـ ولكن مونيتو اذا احبني اعبث بعقله كما أريد واجعله يعتقد الخطأ صوابا .

ـ هذا ذاك غير اني لا اعلم كيف يستطيع بيبي اثبات تزوير الوصية فان الذي زورها قد مات .

ـ وهل خط الاميرة مقلد ؟

ـ ان الاميرة ماتت ولا يجدون كتاباً من خطها الا اذا بحثوا في خزانتي .

ـ الديك رسائل من خطها ؟

ـ بعض رسائل ـ يجب احراقها ؟

ـ هذا الذي عولت عليه ولكن يجب قبل كل شيء ان يثق مونيتو أن بيبي من المفسدين .

ـ ولكن كيف عرفت يا سيدتي مقاصد هذا الرجل .

ـ اني ارسل كل شهر الى فينا رجل لي به ملء الثقه فيذهب الى مونيتو ويقبض لي مائة الف فرنك فمنذ ثلاثة أشهر تعرف هذا الرجل على بيبي واطلعه على كل شيء مما يعلمه من امري فجعل بيبي منذ ذلك العهد يبحث عن ملك النور وقد لقيه دون شك فلم أعلم ما جرى بينها ولكن عندما أرسلت الرجل لقبض المال أخيراً حسب العادة أبى مونيتو أن يدفع وبعد بضعة

أيام وردتني رسالة من ملك النور .

– وماذا كتب لك ؟

– إنهم يؤكدون له إن المال الذي أودعته عنده مسروق وانه لم يصدق هذه الوشاية ولكنه لا يستطيع الدفع قبل الايضاح ثم أخبرني انه قادم لزيارتي في باريس . ومثل هذا الكتاب يرد منه بعد تأخرة عن الدفع يحمل على القلق وما أنا من أهل الشباب والجمال ولذلك جعلت أبحث بغية إيجاد فتاة مثلك تتمكن من إغواء هذا الرجل وإفساد خطة بيبي .

فابتسمت نيشات ابتسامة فتاة واثقة من الفوز وقالت : انا لهذه المهمة .

فقبلتها تنوان وقالت لها : إنك لا تدافعـــين بذلك عن أموالك أيتها الحبيبة بل عن أموالنا .

وعند ذلك سمعتا قرع جرس الباب الخارجي فقالت تنوان: هوذا مونيتو قد حضر .

فنهضت نيشات وهي تبتسم وقد برقت عيناها تأهباً للقتال فقالت لها تنوان : إن القادم قد لا يكون مونيتو .

– من عساه يكون ؟

– رجل جميل علقت بحبه وهو يكلفني عشرة آلاف فرنك في الشهر . ثم ابتسمت وقالت : إني لست حسناء مثلك فلا بد لي من شراء الغرام بالمال ولكن وقتي لا يتسع الليلة للغرام .

ثم نهضت تستقبل خليلها المحامي وتصرفه على الفور .

ولم تكن تنوان مخطئه فان القادم كان المحامي وقد دخـل

فعلم لأول وهلة إن المنزل على غير حالته العادية فقـال في نفسه : لا شك ان تنوان قد دعت بعض الندماء إلى العشاء بغية ارضائي

ثم دخل إلى القاعة التي كانت تنتظره فيها فحياها وقال لها: أرى أيتها الحبيبة ملامح الاهتمام على خدمك كأنهم يتأهبون لحفـلة .

– هو ذاك فقد دعوت بعضهم إلى العشاء .

– من هم ؟ – اولاً فتاة حسناء .

فاتقدت عينا الحامي وقال : ومن غيرها ؟

– رجل الماني من اصدقائي .

– من غيره ؟ – هما الاثنان فقط .

– إذن سيكون أربعة على المائدة .

– بل ثلاثة . – ماذا تقولين ؟

– أقول لك انك لا تكون معنا هذه الليلة أيها الصديق

– إنك تمزحين دون شك .

– كلا لا أمزح والسبب في ذلك اني أريد أن أظهر أمـام هذا الرجل بمظاهر الفضيلة فلا أحب أن يراك عندي . ألا تحب أن أكون غنية ؟

– ولكن أية علاقة لغناك بما تقولين ؟

فابتسمت تنوان ابتسامة احتقار وقالت: إني إذا كنت فقيرة لا تحبني هذا الحب فاعذرني إذا لم اقبلك الليلة فان حفظ ثروتي موقوف على غيابك .

فرأى الحامي ان الفرصة مناسبة للتظاهر بالغيرة فقال لها :

ومن يضمن لي انك تقولين الحقيقة ؟

فضحكت تنوان ضحك الساخر وقالت له : إذا أردت أن أبقى راضية عنك فاذهب .

— وإذا لم اذهب ؟

— إنك الآن لا تخيفني فقد مات روبسبيير ومضى زمن القتل فكن لطيفاً أيها الصديق واذهب بسلام .

— ولكن قولي لي على الأقل من هو هذا الرجل الذي سيتعشى عندك .

— انه نوري من أصحاب الملايين .

— وهذه المرأة التي تقولين انها حسناء ؟

— إنها فتاة تبنيتها . أيكفيك هذا الايضاح فاذهب الليلة وعد غداً ايها الحبيب فان الضرورة قضت الليلة بهذا الفراق .

ثم مدت اليه يدها فقبلها وانصرف دون أن يفوه بحرف فابتسمت تنوان وقالت بعد انصرافه : إنه لم يأسف إلا على العشاء .

وعادت إلى حيث كانت نيشات فلم تطل إقامتها حتى دخل خادم وأنبأ بقدوم مونيتوبعد هنيهة دخل مونيتو وظهر عليه كأنه قد ارتعش لمرأى الفتاة فقال لتنوان باللغة البوهيمية : من هذه المرأة .

— إنها فتاة تبنيتها .

فتظاهر مونيتو انه ارتضى من هذا الجواب وقال لها : لنتحدث الآن بما اتيت لأجله .

– تكلم !
– إنك متهمة بالسرقة ولكني لم أصدق هذة الوشاية .
فلم تظهر تنوان اكتراثاً لهـذه التهمة وقـالت : أليس الذي يتهمني رجل من عمال البوليس يدعى بيبي ؟
– نعم .
– إنه رجل سافل وقد أنقذته من الإعدام .
– ربما !.
– وعلى أي شيء يعتمد على اتهامي ؟
– يدعي إن وصية البرنسيس هيلانة مزورة .
– وكيف يبرهن على صحة دعواه ؟
– لا أعلم ؟
– ألعل هذا الرجل في باريس ؟
– لا أعلم أيضاً .
– وأنت الملك أتيت إلى باريس للحصول على هذا البرهان؟
– دون شك ولكنك تعلمين ان اشغالي كثيرة واني لا استطيع أن أقيم هنا أكثر من أسبوعين .
– وبعد ذلك ؟
– أعود إلى بلادي فاذا لم يستطع أن يـبرهن لي على تزوير الوصية عند انتهاء الأسبوعين أعتبر اني لم أعلم شيئاً .
– إنك عاقل حكيم وسيتبين لك كذب هذا الأثيم فهلم بنا الآن إلى المائدة .
ولم تكن نيشات قـد فهمت حرفـاً من حديثهما ولكنهـا

أدركت مغزى الحادثة من اشارتها وقالت في نفسها : أري ان هـذا الرجل وديع يسهل اغواؤه ، ثم نظرت إلى يده فرأت في إصبعه خاتماً من الماس يتوهج كالنجم . فقالت : لقـد قالت تنوان الحق عن هذا الرجل فهو من كبار الأغنياء وسأغدو بعد شهر غنية ويكون لي مركبة ايضاً كمركبة تنوان .

وعند ذلك دخل خادم وقال : إن المائدة معدة .

فقالت تنوان لمونيتو : هلم بنا وقدم يدك لابنتي .

فامتثل مونيتو وخيل للبومة ان يده ترتجف ثم جلسوا جميعهم على المـائدة فكان مونيتو ينظر إلى البومة نظرات إعجاب .

٢٠
وصيفة تنوان

ولنعد الآن الى بوليت فان بيبي كان قد قال له كما يذكر القراء أن يحتال فيتعشى مع تنوان ويعود اليه فيخبره بما سمعه ورآه .

وكان جميع الخدم في منزل تنوان يعرفون بوليت ويحترمونه حتى ان المحامي نفسه كان يحبه فلما وصل إلى باب المنزل كان المحامي خارجاً منه فحيا كل منهما الاخر .

ثم نظر المحامي إلى ما حواليه وقال لبوليت : أنحن وحدنا.

– نعم فاني لا أرى احداً .

– إني أريد أن أخبرك بأمر لا أحب أن يسمعه أحد.

– وأنا مصغ اليك الست بذاهب الى تنوان ؟

– اني قادم من عندها .

– كيف ذلك ألا تتعشى في منزلها ؟

– كلا !

– يظهر انك مستاء .

– هو ذاك .

– العلك اختصمت معها ؟ – نعم

– إذن أشير عليك بالرجوع من حيث أتيت .

– لماذا ؟

– انها ستصرفك كما صرفتني فان لديها مدعوين غيرنا .

– من هم هؤلاء السعداء ؟

– فتاة حسناء ورجل لا أعرفه وهي لا تريد أن يراني وأراه فهل أنت من أهل الكتمان يا بوليت ؟

– إني مشهور بكتمان الأسرار عند الاقتضاء .

– إذن سأقترح عليك اقتراحاً .

– ما هو ؟

– أنت تعلم إن لي غرفة في هذا المنزل

– دون شك

– هذه الغرفة تشرف على غرفة للزينة

– وغرفة الزينة تشرف على قاعة الطعام

– هو ذاك فلنفترض انك دخلت من غرفتي إلى غرفة الزينة

– إذن أضع كرسياً تحت النافذة فأشرف منها على قاعة الطعام .

– هذا الذي كنت أريد ان أقوله .

– ثم أعود اليك غداً فأخبرك بما جرى .

– إنك من الأذكياء يا بوليت

– ولكن اقتراحك يا سيدي لا يمكن تنفيذه
– لماذا ؟
– لأني سأقرع الباب فيطلقون سراحي كما اطلقوا سراحك
– ذلك إذا دخلت من البـاب العمومي ولكنك تستطيع الدخول من باب الحديقة .
– كيف ذلك ؟
– بهذا المفتاح الذي أعطيك اياه
ثم اعطاه مفتاح الحديقة وقال له : يجب أن تحتال كي لا يراك أحد .
– اطمئن يا سيدي فاني أعرف جميع مداخل المـــنزل ومخارجه .
– وغداً تعود الي عند الفجر فترجع لي المفتاح وتخبرني بما حدث .
وعند ذلك افترقا فقال بوليت في نفسه : ان هذا السافل لا يغار على تنوان ولكنه يخشى أن تستبـدله بسواه وهو يعيش من انعامها .
وعند ذلك سار بالمفتاح إلى باب الحديقة ففتحه وانسل من الحديقة إلى غرفة المحامي وهو يقول في نفسه إني أتجسس الآن لحساب اثنين ولكن المحامي لا يعرف إلا ما أريد أن يعرفه
ثم دخل من الغرفة ، غرفة الزينة ، فوضع كرسيـــاً تحت النافذة وصعد فرأى مونيتو ونيشات وتنوان جـالسين حول المائدة .

وكان النوري أحمر الوجه متقد العينين كأنما السكر قد تمكن منه وهو ينظر إلى نيشات فلم يكد بوليت يراها حتى دهش لما اكتسبته من الجمال بتأنقها .

وقد سمع مونيتو يقول : إن ابنتك بديعة بجمالها وأنا أرمل فأريد أن اتزوجها .

فاجابته تنوان : إنك تهزأ بنا دون شك ؟

– كلا وسأمنحها خير الجواهر مما لا يوجد عند الملكات .

ثم شرب كأس خمر فقالت له تنوان : انها ليست ابنتي ولكني تبنيتها . – أنا أعلم .

– وفوق ذلك فان من كان مثلك لا يتزوج ابنة امرأة سارقة .

فضحك مونيتو ضحكا عالياً وقال : إن بيبي يقول هذا القول

– وأنت أتصدقه ؟

– كلا !.

ثم أخرج من جيبه محفظة وأفرغ ما فيها من الاوراق المالية على المائدة .

فقال بوليت في نفسه وقد رأى مونيتو ينظر نظرات هيام إلى البومة ويبتسم لتنوان : إذا لم يكن ذلك منه نشوه نشوان فقد خابت آمال بيبي .

***

ولقد أصاب بوليت بظنه فان ظواهر مونيتو كانت تدل

على انه لا يكترث أقل من اكتراث لتهمة بيبي وانه يعتبرها من افاضل النساء .

غير ان بوليت لم يستطع أن يرى بقية ما جرى فقد سمع وقع أقدام في الغرفة التي كان فيها فارتعش وانصب العرق من جبينه والتفت فرأى امرأة داخلة وقد قالت له بصوت منخفض لطيف : ماذا تصنع هنا يا بوليت لقد قبضت عليك متلبساً بالجريمة .

فعرفها بوليت من صوتها انها وصيفة تنوان فاطمأن ووضع اصبعه على فمه فقال لها : اسكتي .

وكانت هذه الوصيفة فتاة حسناء تدعى بولينا وقد دخلت حديثاً في خدمة تنوان وكانت محتوية على جميع عيوب زميلاتها فهي كتومة لا تبيح أسرار سيدتها إلا بالثمن وكانت قد احبت بوليت لكثرة تردده على المنزل وتظاهره بحبها .

فنزل بوليت عن الكرسي وقال لها : وأنت ماذا تصنعين هنا ؟

ـ إني أصنع مهنتي وهي الاصغاء من وراء الأبواب والمراقبة من ثقوب الأقفال ولكني رأيت هذه الغرفة أفضل للتجسس .

ـ اذن نراقب منها معاً .

ـ ألا تعلم مدام تنوان إنك هنا ؟

ـ كلا ؟.

ـ ولكن كيف دخلت إلى المنزل ؟

ـ من الحديقة .

– ألديك مفتاح خاص ؟
– كلا ، ولكن المحامي اعطاني مفتاحه .
– إذن أنت تتجسس لحسابه ؟
– هو ذاك .
– وأنا أيضاً .
– إذن اصعدي على كرسي ولننظر ما يجري .

وكان مونيتو يعد تلك الأوراق المالية فعد ما قيمتــه مائة الف فرنك فأخذت تنوان المال وذهبت به إلى غرفة مجاورة كي تضمه في صندوق خاص بحيث بات مونيتو مختلياً مع نيشات فجعل ينظر اليها بعينين تتقدان غراماً وأخذ يـدهــا بين يديه ومال عليها برفق وحنو وقال لها : أتحبينني قليلاً ؟

فابتسمت نيشات ابتساماً دل على كثير من الوعود وهمس بوليت باذن بولينا قائلاً : اني لا أفهم شيئاً من هذه الرواية .

– ولا أنا ايضاً أتعرف هذه الفتاة ؟
– كلا !.
– إن مدام تنوان جاءت بها هذه الليلة وكانت ملابسها تدل على الفقر فأمرتنا أن نلبسها هذه الملابس الثمينة التي تراها .
– ولكنها حسناء ؟
– اني لا أراها ممتازة بجمال نادر .

وعند ذلك عادت تنوان فقالت لمونيتو : ماذا أرى الملك بت من الهائمين .

– هو ذاك .

ـ ألا تزال عازماً على الزواج بابنتي ؟
ـ إذا أمكن تزوجتها الليلة .
ـ انك كثير العجلة إيها الصديق وفوق ذلك فـان نيشات ليست نورية مثلنا ولا ترضى بالزواج على طريقتنـا فتكتفي بكسر ابريق .
ـ ليكن ولكنك لا تصرفينني هذه الليلة ؟
ـ بل أصرفك فنحن الآن في الساعة الثانية بعـد منتصف الليل !.
ـ إلى أين تريدين أن أذهب ؟
ـ إلى الفندق الذي أقمت فيه .
ـ لقد أصبت فقد نسيت اني اقمت في فندق .
ـ ذلك إن الغرام أضل صوابك !
ـ هو ما تقولين ولكني أعود اليك اليس كذلك !
ـ لك أن تعود متى تشاء .
فقام مونيتو عند ذلك فلثم يد نيشات وقال لها : انك إذا احببتني البستك من الجواهر ما لا تلبسه الملكات .
ـ وأنا أريد أن أكون ملكة .
ـ ستصبحين ملكة لاني من الملوك .
فقال بوليت في نفسه :يظهر إن الشراب قد غلبه على أمره ثم التفت إلى بولينا وقال لها : والآن يجب أن تذهبي .
ـ لماذا ؟
ـ لأنك سمعت ورأيت كثيراً من الأمور .

ـ وأنت ؟

ـ ابقى لأني أريد أن أعرف أموراً أخرى .

ـ ولماذا لا أعرفها أنا أيضاً ؟

فقال لها بلهجة السيادة : كلا لا يجب أن تعرفينها ؟

ـ وإذا أخبرت تنوان انك كنت تراقبها من هذه النافذة .

ـ أقول لها أنا ايضاً انك كنت معي فتطردك .

ـ وتطردك أنت ايضاً ؟

ـ ولكني أنا صديق المحامي خليلها .

ثم خطر لبوليت إن هذه الوصيفة لا تفهم كلمة مما سيتحدث به مونيتو مع تنوان فقال في نفسه : خير لي أن أكون على سلام مع هذه الفتاة فقد تكون لنا عوناً على ما نحن شارعون بـه فأخذ يتلطف معها وقال لها : اني لا أمنعك عن ان تسمعي وتري فنحن في هذا السر شريكان لكن يجب أن تميذبني الى النهاية

ـ انى واياك على أتم الاتفاق فقل ماذا تريد أن أصنع ؟

ـ أريد أن تذهبي بي إلى غرفتك فاختبىء بها .

ـ الى الغد ؟

ـ كلا بل الى أن ينام الجميع .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ تفتحين لي باب الشارع فاخرج منه .

وكانت تنوان تحادث مونيتو بتلك اللغة النورية التي لا يفهمها بوليت ولكنه كان يرى علائم الاطمئنان ترتسم على وجه تنوان فيقول في نفسه : إن هـذه الحية الرقطاء كانت قد

تغلبت عليه بدهائها وهو هائم بالبومة هياماً غلبه على امره وأنساه واجب الشرف فاذا كان بيبي يعتمد عليه في إرجاع الثروة خابت آمانيه .

ثم ان مونيتو مد يده إلى نيشات بعد فراغه من محادثة تنوان وقال لها : إلى اللقاء غداً .

فابتسمت له نيشات أفضل ابتسام حتى انه حاول أن يعانقها لسكره .

ولكن تنوان اسرعت الى قرع جرس كان أمامها فأقبل خادم فقالت له : أنر طريق هذا المولى الى مركبته .

فلم يجد مونيتو عند ذلك بداً من الانصراف .

ولما خلت تنوان بنيشات قالت لها : لقد وقع الطير في الشرك كما أظن .

فضحكت نيشات وقالت : بل اؤكد .

فقبلتها تنوان ثم ضمتها الى صدرها بحنووقالت لها :انك جديرة بي

قالت : سأجتهد أن أكون خير تلميذة ولكن لماذا صرفته الليلة !

ـ يجب أن يذوب شوقاً اليك خمسة عشر يوماً .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ نسافر معه ونحتفل بزواجك في بوهيميا .

***

وكان بوليت وبولينا لا يزالان في موقفيهما وتنوان ونيشات لا تزالان تتحدثان غير ان حديثهما كان بلغة بوهيميا فلم يستفد بوليت منه شيئاً .

ثم قرعت تنوان الجرس فارتعدت بولينا وقالت : انها قرعت الجرس ثلاثاً اشارة الى انها تناديني .

ـ اذن ستذهبين

ـ لا بد من ذهابي فانها مزمعة على النوم .

ـ ولكن متى اراك ؟

ـ ابق هنا وسأعود اليك .

ثم تركته وانصرفت فبقي بوليت وحده وجعل يفكر فيقول في نفسه : ان خطة تنوان ظاهرة وهي انها تريد ان ينشغل مونيتو بحب نيشات فينسى انه مدين بالحياة لبيبي والكونتس أورور .

وقد رأى من النافذة ان بولينا دخلت حيث تنوان فامرتها أن تذهب مع نيشات الى غرفتها .

ثم خرجوا جميعهم من قاعة الطعام فساد الظلام وأقام بوليت نحو ساعة دون أن تعود بولينا وهو لا يجسر أن يخرج من الغرفة فان الظلام كان حالكا وقد خشي أن يتعثر بالأثاث فينتبهوا له .

وما زال على ذلك حتى سمع وقع أقدام خفيفة ثم سمع صوت بولينا تقول له : هات يدك واتبعني وسط الظلام وهي تقوده حتى وصلا الى رواق كان مصباحاً معلقاً في قبته فنظر عند

ذلك إلى الفتاة وقال لها :

— أنام جميع من في القصر ؟

— نعم .

— إذن أستطيع الآن أن انصرف ؟

— دون شك ولكن لماذا لا تبقى إلى الصباح ؟

— لا بد لي من الخروج بعد ربع ساعة .

— أتعود ؟ — دون شك .

وقد كان بوليت كاذباً في وعده ولكنه قال ذلك إرضاء للوصيفة .

فقالت له : ولكن إلى أين تذهب في هذه الساعة المتأخرة؟

— إلى المحامي د. فانه ينتظرني .

— أين ينتظرك ؟

— في أحد بيوت القمار .

— إذن إذا كنت عازماً على العودة فيجب أن تخرج من باب الحديقة .

— كما تريدين .

ثم سارت به ففتحت له الباب الذي يشرف على الحديقة ونزلت وإياه فالتفتت إلى أعلا المنزل وقالت : إن تنوان قد نامت فان النور قد انطفأ في غرفتها .

فقال لها بوليت : ولكن ما هذا النور الذي اراه ؟

— إنه ينبعث من غرفة الفتاة التي جاءت بها تنوان هذه الليلة

— ألعلها لم تنم بعد ؟

– إنها نامت ولكنها لا تحب النوم بالظلام .

فلاحظ بوليت انه يوجد شجرة عالية تصل اغصانها بتلك النافذة التي ينبعث منها النور .

أما بولينا فانها أوصلت بوليت إلى باب الحديقة فانصرف بعد أن وعدها أن يعود .

وعند ذلك سار عدواً إلى الفندق الذي يقيم فيه بيبي فوجده لا يزال ساهراً في الغرفة الأولى وقال له : ماذا رأيت ؟

– رأيت عجباً .

– إذن أبدأ بالحكاية حسب وقوعها بالترتيب .

– اولاً إن تنوان طردت المحامي د. وهنا أخبره بما جرى بينه وبين المحامي وكيف إنه رضي أن يكون جاسوسه .

فقال له بيبي: إن هذا الرجل سيضايقني فقص علي ما جرى.

– إن نيشات قد استحالت من حال إلى حال حتى إن من رآها لا يشك انها مولودة في قصور الأمراء وإنها وتنوان على أتم الوفاق والحب .

– وبعد ذلك ؟

– إنهما جلستا على المائدة وكان مونيتو بينهما ولكني اخبرك مقدماً إن آمالنا خابت .

– هذا الذي أخشاه ثم ابتسم وقال : تمم حديثك يا بني .

– إن مونيتو بات هائماً بنيشات وقد دفع المال لتنوان .

– كيف ذلك ؟

– إنه أعطاها مائة الف فرنك وهو واثق كل الثقة إنك واش نمام وإن المال مال تنوان فافترض الآن امراً .

– ما هو ؟

– إن مونيتو بات في قبضة نيشات .

– وبعد ذلك .

– تذهب به خارج باريس .

– هذا ممكن .

– وعند ذلك تعبث به كما تشاء وتبلغ منه ما تريد تنوان

فهز بيبي كتفيه وقال : أتظن ان مونيتو يحب نيشات ؟

– إنه هائم بها هيام المجانين .

فضحك بيبي ضحكا عالياً وعند ذلك فتح باب الغرفة المقفل وخرج منه رجل فصاح بوليت صيحة دهش لأن هذا الرجل كان مونيتو .

أما مونيتو فانه ابتسم وقال لبوليت : أتظن أيها الفتى اني أهيم بنيشات ؟

فتلعثم بوليت وقال : ولكن ... خيل لي ... إني رأيت .

– لقد خدعتك عيناك بل رأيت الحقيقة .

ثم ضحك وقال : لقد بت واثقاً الآن إن تنوان قد سرقت المال الذي أودعته عندي وسوف نرى متى أعطيت البرهان الحقيقي إن هذه الفتاة لا تحول دون رد المال إلى أصحابه .

ونظر بيبي إلى بوليت وقال له :

– لسنا نحن الذين فشلنا الليلة يا بني بل الذي فشل تنوان ونيشات .

فاستاء بوليت وقال :

– إذن كل ما صنعته الليلة كان دون فائدة وكان بوسعكما الاستغناء عني .

– لقد أخطأت بل نحن محتاجون اليك الآن كل الاحتياج اليس كذلك يا مونيتو ؟

٢١

بائعة الزهور

اما ما جرى بين مونيتو وبيبي وبوليت فسيعلمه القراء باتباعهم بوليت فانه بعد ربع ساعة كان عائداً إلى منزل تنوان وهو يقول في نفسه : من كان يظن اني سافي بما وعدت به بولينا من العودة في هذه الساعة ؟

وبعد هنيهة وصل إلى المنزل وكانت بولينا لا تزال تنتظره فعانقها وهو يقول :

– ألم أف بوعدي أيتها الحبيبة ؟

فاحمر وجهها وقالت له :

– هلم لنصعد إلى الغرفة فان البرد شديد .

– أين هي الغرفة ؟

– إنها مجاورة لغرفة تلك الفتاة فاتبعني وخفف الوطىء ما استطعت .

– لماذا أتخشين أن تستيقظ تنوان ؟

– كلا بل أخشى تلك الفتاة فان النور لا يزال مضيئاً

في غرفتها .

– العل غرفتك ملاصقة لغرفتها ؟

– لا يفصل بينهما غير باب .

– من أين يفتح هذا الباب أمن غرفتها ؟

– من غرفتي .

فجمل بوليت عند ذلك يفكر ثم نظر إلى بولينا وقال لها فجأة :

– إني أحب أن أقول لك الحقيقة في الحال .

فنظرت اليه منذهلة وقالت : أية حقيقة تعني ؟

– أتعلمين من هذه الفتاة ؟

– لقد قلت لي إنها بائعة زهر .

– نعم إنها بائعة الزهر في حديقة نيقولي وأنا هائم بها .

فذعرت بولينا ذعراً شديداً وقالت : أنت تحبها !

– نعم .

– أتجسر على الاعتراف أمامي ثم تأتي الي ؟

– إني أتيت اليك كي توصليني اليها .

– انك دون شك من المجانين .

– إصغي الي ايتها الحبيبة ولا تستائي مني بل لنتحدث بتعقل .

– فانك لست هائمة بي كما أظن .

– بل إني أكرهك .

– ربما وأما أنا فان قلبي يتسع لحب امرأتين على السواء في

حين واحد .

– يا لهول ما أسمع .

– كوني كريمة أيتها الحبيبة وأفعلي مـا أقوله لك فانك لا تندمين .

ولكن كيف تستطيع أن تحب هذه الفتاة وقد رأيتها منذ ساعة بين يدي ذلك النوري القبيح ؟

– يجب أن أقول لك كل شيء ؟ – قل

– إذن فاعلمي إني لا أحبها كما قلت لك بل اني أبغضها

– أحق ما تقول ؟

– نعم واني أريد الانتقام منها .

ثم جرد خنجراً وقال لبولينا : إذا فهت بكلمة قتلتـك وانك لم تعرفيني حق العرفان فاذا وعدت بأمر وفيت به وقد قلت لك إنك لا تندمين إذا فعلت ما أريد أما إذا اعترضتني أو خنتني قتلتك دون إشفاق .

وقد اتقدت عيناه وظهرت دلائل صدق العزيمة بين عينيـه فخافت بولينا وقالت له : ماذا تريد مني ؟

– الطاعة

– سأطيع

– ثم الكتمان

قالت : سأكتم أمرك ما حييت .

– يسرني إنك بت عاقلة حكيمة فاعلمي الآن اني أريد أن تفتحي هذا الباب .

— وبعد ذلك ؟
— تدخلين إلى غرفة نيشات .
— لماذا الاعلم إذا كانت نائمة ؟
— هو ذاك !
— ثم أعود اليك فأخبرك ؟
— دون شك .

وكانت ترتجف خوفاً من خنجر بوليت وقد قرأت صدق عزيمته بين عينيه فلم تجد بداً من الامتثال ففتحت باب الغرفة ودخلت تمشي مشياً خفيفاً فوق سجادة تخفي وقع أقدامها وتقدمت من سرير نيشات وهي حابسة انفاسها .

ولم تكن نيشات قد نامت بعد فانها كانت كثيرةالاضطراب مما مر بها شديدة الهواجس بملايين ملك النور .

فانتبهت لدخول بولينا وقالت لها بلهجة المؤنب: ماذاتريدين

فوقفت بولينا وقالت لها : اسألك العفو يا سيدتي فقد خيل لي اني سمعت صوتك فقلت في نفسي ربما تكونين محتاجة إلى شيء .

قالت : أشكرك ولست في حاجة إلا إلى الرقاد .

فعادت بولينا على اعقابها ولكن بوليت كان قد وقف على عتبة الباب وسمع الحديث فانسل إلى غرفة البومة دون أن تراه وقد وضع اصبعه على فمه مشيراً إلى بولينا بالسكوت فعادت إلى غرفتها وبقي بوليت في غرفة البومة .

وكانت البومة تقول في نفسها : لا أراني في حلم فاني

مستيقظة ولكني شبه حالمة فقد كنت بالأمس فقيرة بائعة أزهار فبت اليوم في قصر لا تسكنه أميرة وفتحت أمـــامي أبواب الثروة وستكون لي مركبة كتنوان ولي الآن وصائف تخدمني فما هذا انه إذا كان حلماً فأود أن لا أستفيق مدى الحياة .

وقد قالت القول الأخير كأنها تكلم نفسها .

فسمعت للفور ضحكا يشبه ضحك الساخر فصاحت صيحة رعب وجلست في سريرها فرأت رجلا عند السرير وهو مشهر بيده الخنجر ويقول لها : احذري أن تستغيثي .

وقد خافت نيشات خوفاً شديداً وقـــد همت أن تقرع الجرس مستغيثة ولكن بوليت هجم عليها فـاختطف الجرس وقال لها : إذا أردت أن يتحقق حلمك فاحذري أن تفوهي بكلمة واعلمي إنك إذا استغثت أو دخل أحد إلى هذه الغرفة فأنت مائتة لا محالة .

ثم وضع الخنجر فوق صدرها اتماماً لارهابها .

فجمد الدم في عروق نيشـــات وجعلت تنظر إلى بوليت نظرات ملؤها الرعب وتقول في نفسها : اني رأيت هذا الرجل من قبل وكيف دخل علي وماذا يريد مني ؟

فكأنما بوليت قد أدرك معنى ما تقول فقال لها : أرى انك لم تعرفيني ولكنك إذا أردت أن تفوزي بـــلايين ملك النور فيجب عليك أن تصغي اليّ .

– ولكن من أنت ؟

– سأخبرك بشأني ايتها الحسناء .

ثم جلس على حافة السرير وأبعد الجرس وقال لهـا :
لنتحدث الآن .

* *

لما مضت وساوس الرعب الأول واطمأنت نيشات بعض الاطمئنان إذ عرفت بوليت وذكرت إنها حين كانت تبيع الأزهار في حدائق نيقولي كان يلاطفها ويؤانسها ويظهر لها من عينيه انه مفتون بها .

ولكنها لم يخطر في بالها انه ذلك المتشرد القديم الذي أنقذ أورور من الاعدام فانه تغير تغيراً عظيما حتى بات يستحيل معرفته

وبعد أن سكن جأشها قالت له : من أنت ؟

— اني ادعى بوليت .

— ماذا تريد مني ؟

— مباحثتك

— ولكن كيف دخلت الي ؟

— لا توجد أبواب تحول دون رجل عـازم على قتلك إذا حاولت الاستغاثة .

— والآن ماذا تريد ؟

— أريد أن أبثك غرامي فتعلمين إني لك من الهائمين .

فتنهدت البومة تنهد الراحة فانهـا تؤثر الغرام دون شك على الخنجر .

أما بوليت فانه كان لا يزال مشهراً خنجره فنظر اليها نظرة العاشق المفتون وقال لها : أتعلمين إنك بديعة الجمال !

فعادت الى نيشات سكينتها وقالت له : إنك لست محتاجاً إلى خنجر لتقول لي هذه الأقوال .

– هو ذاك ولكنك لولا هـذا الانذار لقرعت الجرس أو استغثت بالصياح فاقبلوا لنجدتك وطردوني .

– والآن أحقيقة انك تحبني ؟

– منذ ستة أعوام .

– إنك تكذب دون شك . – اتظنين ؟

– بل اؤكد انك ما عرفتني إلا منذ ستة أشهر .

– انك منخدعة .

– كلا فانك ما عرفتني إلا في حديقة نيفولى وما توليت بيع الأزهار في هذه الحديقة إلا منـذ أشهر الملك حسبت الشهر عاماً ؟

– اني أعيد عليك ما قلته لك وهو اني أحبك منذ ستـة أعوام

– ما هذه الجسارة بالكذب ؟

– لست كاذباً أيتها الحبيبة فقد أحببتك حـين كنت تدعين البومة .

فاضطربت نيشات اضطراباً شديداً وخرج من صدرهـا صوت أبح فقال لها بوليت : احذري أن تعودي الى مثل هذه الصيحة فان الخنجر لا يزال في يدي .

فارتعدت فرائصها وقالت : أتعلم اني كنت أدعى البومة؟

– لقد قلت لك .

– ولكن أين عرفتني !

– في دكان الغسالة .

فأعادت هذه الكلمة لنيشات ذكرى الماضي ومرت بها بجميع تذكارات حداثتها فذكرت تلك الدكان الحقيرة التي كانت تنام فيها وطبق الثياب الذي كانت تذهب به إلى أصحابها وملابسها الحقيرة التي لم تكن تقيها آلام البرد .

ومع كل ذلك فانها حين رأت نفسها أمام الفتى الجميل الذي بلغ من جسارته انه عزم على قتلها إذا صدته كانت تخجل حين ذكرها بماضيها بل شعرت بعاطفة كبرياء بل باتت متيمة بهذا الفتى الجميل الذي أحبها على عرفانه ماضيها وخاطر مخاطرة عظيمة في سبيل الوصول اليها ثم نظرت اليه نظرة أعربت بها عما خالج فؤادها من شعائر الفرح والامتنان .

وأدرك بوليت انه لم يعد في حاجة إلى الخنجر وعلم انها باتت طوعاً له فانه عرف موضع الضعف منها .

وعادت نيشات إلى سؤاله وقد نظرت اليه نظرة دلال وقالت له : أحق إنك عرفتني حين كنت أدعى البومة ؟

– نعم كنت صغيرة هزيلة ولكن عينيك كانتا ساحرتين كما هما الآن فكنت حين اراك ذاهبة بالملابس إلى أصحابها يخفق قلبي خفوق أجنحة الطائر .

وقد كان صوت بوليت يرن في أذنيها ويقع من نفسها وقع الأنغام فقالت له : ولكن لي ذاكرة جيدة .

– ماذا تريدين ؟

ـ أريد انك لو كنت عاشقاً لي في ذلك العهـد كما تقول لكنت رأيتك ولكني لا أذكر إني رأيت فتى جميلا مثلك يسير في أثري حين كنت أخرج من الدكان .

ـ كيف ذلك ؟ أتذكرين دكاكين ذلك الشارع الذي كنت فيـــه ؟

ـ نعم لا أزال أذكرها .

ـ أتذكرين انه كان يوجد مقابل دكان الغسالة دكان جزار ؟

ـ واسمه يولبوف .

ـ ألا تذكرين أيضاً انه كان يوجد بجوارها مطبعة ؟

ـ نعم وكانوا يطبعون بها جريدة الثوار .

ـ إنه كان يوجد في هذه المطبعة غلام هزيل طويل الشعر كان يأخذ المسودات من المطبعة إلى المحررين .

ـ نعم وطالما كنت اراه ينظر الي نظرات حلوة فمن هو هذا الغلام ؟

ـ هو أنا .

ـ لا أصدق وشتان بينك وبينه .

ـ أتريدين البرهان انظري .

ثم خلع ملابسه وأخذ جريدة فجعلها على شكل القبعة التي كان يلبسها في ذلك العهد وقلد حركات ذلك الغلام أتم التقليـد وجعل يناديها كما كان يفعل من قبل فاتم بذلك اغواءها، ورأت البومة أمامها فتى رقي مثلها من أدني المراتب وبات رفيع المنزلة بعد الضعة ثم ان هذا الفتى الجميل لم يحتقرها لماضيها بل انه حافظ

على ولائها واثبت لها بالبرهان انه هائم بها فانتشلت الخنجر من يده وقالت له : لا حاجة لك بعد ذلك إلى السلاح أيها الأبله، ثم طوقت عنقه بذراعيها وقالت: لقد كنت أحسب من قبل ان قلبي قد من الحجر الصلب ولكني علمت إن لي قلباً بشرياً يحب ويحن.

ثم جعلت تنظر اليه بحنان وتقول له : كيف استحلت هذه الاستحالة وبت من الأسياد ؟

— ألم تستحيلي أنت وتبيتي من السيدات ؟

فارتعشت نيشات فجأة واحمر وجهها فارخت عينيها لأنها افتكرت بونيتو وقالت : اسألك العفو أيها الحبيب فلم يخطر لي إني سألقاك .

فضحك بوليت وقال : ما زال يوجد ملايين فلنقتسمهما .

فلم تستأ البومة لهذا القول وقد علمت انها تجد رجلا جديراً بها فانها ما ودت تنوان إلا لما رأته من فساد أخلاقها وهي الآن تمنح قلبها لرجل لا يخجل من اقتراح مثل هذه القسمة .

وعند ذلك عادت إلى معانقته وهي تقول : إني هـائمة بك فاصدق في هواي كما سأصدق في هواك .

٢٢
سجن بولينا

وكانت نيشات تنظر إلى بوليت بمـــا يدل على الحب والاعجاب وهو ينظر اليها بما يدل على فوزه بما اراد .

الى أن بدأت نيشات الحديث وقالت . والآن ايها الحبيب انك ستخبرني بكل شيء اليس كذلك ؟

– ماذا تريدين ان اخبرك ؟

فضحكت وقالت : أتظن إن دخولك على امرأة بعـــد انتصاف الليل والخنجر مشهور بيدك تقول لها : إما تحبيني أو تموتين أتظن ذلك أيها الحبيب من الأمور الطبيعية المألوفة ؟

– ولكنك ترين إني فزت .

– دون شك ولكني لا أعلم من فوزك هذا كيف دخلت الي

– إذن سأخبرك بمـا تريدين أن تعلميه فأعلمي إني أعرف تنوان .

– أحق ما تقول ؟

– بل أريدك انها محسنة لي

فانقدت عينا نيشات ببارق من الغيرة وقالت : ويح لهذه العجوز أتحبك ؟

— ليس هذا الذي أعنيه فاطماني ولكن تنوان رأتني على شاكلتها من فساد الأخلاق فرضيت عني وقد تعرفت بها بطريقة غريبة .

— قص علي ذلك !.

— إني دخلت اليها في ليلة حالكة الأديم دخول اللصوص وأردت أن أقتلها . — لماذا ؟

— لأسرقها .

— إنك جرىء دون شك .

— وعند ذلك عقدنا اتفاقاً فلم اقتلها فعينت لي راتباً من ذلك العهد .

— إني أراهن على أنها تحبك .

— إنها تدعونني بابنها .

— وأنت تعلم كيف إني وجدت في هذا القصر ؟

— بالتقريب .

— إن تنوان قد تبنتني وهي الآن تدعوني ابنتها كما تدعوك بابنها فما هذا الاتفاق الغريب ؟

— وسنتم هذا الاتفاق يوماً بالزواج .

— ذلك يكون بعد أن تنشب مخالبي بملك النور وأقضي مآربي من ماله والآن ألا تريد أن تقول لي كيف دخلت إلى هنا؟

— إن الأمر سهل فهمه فاني كثير التردد على هذا المنزل

وصديق المحامي د.

– إن هذا المحامي يكاد يكون رب المنزل .

– هو ذاك ولكن هذه السيادة لا يتمتع بها في كل حين

– كيف ذلك ؟

– ذلك إن تنوان لم تقبله في منزلها هذه الليلة .

– نعم نعم أتذكر .

– وقد رأيته خارجاً من الباب مغضباً وهو يود أن يعلم ما يجري في داخل المنزل فاعطاني مفتاح الحديقة فدخلت منها .

– وقد وصلت الي دون أن يراك أحد .

– لي صديقة في المنزل وهي خادمة غرفتك فقد أغريتها على حبي .

فقطبت نيشات حاجبيها وقالت : لا أريد هذا .

– ولكن يجب أن نستخدمها لفائدتنا .

– اني أدفع لها قدر ما تشاء .

– كلا إن هذا لا يعنيك . – لماذا ؟

فنظر اليها نظرة السيادة وقال لها : ذلك لاني لا أريد .

فاطرقت نيشات برأسها الى الأرض وقد شعرت ان هذا الرجل قد ملأ فراغ قلبها وبات الحاكم المطلق عليها .

وعاد بوليت إلى الحديث فقال لها : أتحبينني حقيقة كما تقولين ؟

– إني هائمة بك .

– إذن اختاري بين أن لا تريني إلى الأبد وبين أن تخضعين

لي أتم الخضوع .

– اني عبدة لك .

– إذا كان ذلك فاعلمي اني أريد ألا تعلم تنوان شيئاً مما جرى بيننا . – لماذا ؟

– لأن تنوان تغار منك وفوق ذلك فانها تريد أن تتجردي لاغواء النوري .

– إنها إذن لن تعلم شيئاً .

– وغداً احضر إلى هنا في رابعة النهار فلا تظهري إنك تعرفينني فاذا بدرت منك بادرة من ذلك لا تريني إلى الأبد .

– لا خوف من ذلك فاني احبك أصدق حب ولكن هذه الفتاة الواقفة على سرنا ألا تخاف أن تخدعنا ؟

– إني ضامن كتمانها .

فقبلته وقالت : إذن الى اللقاء غداً .

فودعها بوليت وخرج من غرفة بولينا الوصيفة .

وكانت ترتجف وقد اصفر وجهها فقال لها بوليت :

– العلك سمعت ؟

– نعم سمعت وما أنت إلا وحش ضاري .

– كلا أيتها الحبيبة بل أنا رجل يتسع قلبه لحب امرأتين

ثم هم أن يعانقها ففرت منه وقالت له : إني أكرهك ولا أريد أن أراك .

فاجابها ببرود : أستطيع كل ذلك إن أردت فتعالي الآن وأوصليني إلى الباب الخارجي .

ـ كلا لا أريد ولا أود أن يكون لك بي اتصال .

فجرد بوليت خنجره وقال : إنك تركبين مركباً خشناً بمصياني أيتها الحسناء .

فخافت بولينا هذا الرجل بعدما سمعت ورأت من أعماله وأقواله فتنهدت وبكت .

ـ الآن أحسنت بالطاعة فالبسي وشاحك فان البرد شديد.

فقالت له بتهكم : أراك كثير الحنو والاشفاق على الليلة.

فلم يجبها بوليت وخرج الاثنان إلى الحديقة حتى بلغا بابها.

فلما فتحته تأبط ذراعها وقال لها : هلمي معي الآن .

فأجفلت وقالت : أنا أذهب معك ؟!

ـ دون شك .

ـ إلى أين تريد الذهاب بي ؟

ـ إلى منزلي . ـ ولكنك مجنون .

ـ إن جنوني بهواك .

ثم جذبها إلى خارج الباب فأقفله ووضع المفتاح بجيبه .

فقالت له بولينا : ولكن ماذا تقول تنوان إذا لم تراني غداً صباحاً ؟

ـ انك تعودين عند الفجر .

ـ كلا اني لا أجسر على ذلك .

ـ كفى خبثاً فاني عارف بكل شيء وليست هذه أول مرة بت فيها خارج القصر .

ثم سار بها فلم تمانعه ولكنه لم يسر بها إلى منزله بل إلى

منزل بيبي .

وكان بيبي جالساً مع ملك النور وهما يشربان خمر ويتحدثان فلما رأتهما بولينا وهي تعتقد انها قادمة إلى منزل بوليت الذي لم تكن تعرفه من قبل صاحت صيحة دهشة منكرة فانها لم تكن تعرف بيبي ولكنها كانت تعرف ملك النور .

وأما بوليت فانه دفعها إلى الغرفة وقال لها: لا تجزعي ايتها الحبيبة فان هذين الرجلين من أهلي ، ثم نظر إلى بيبي وقال له : هوذا عصفور جميل يا سيدي يجب أن تجد له قفصاً جميلاً .

ثم نظر إلى بولينا وقال لها :

– إنك عرفت الآن كثيراً من الأمور بحيث بات وجودك عند تنوان خطراً علينا ولكن اطمانني أيتها الحسناء فسنعاملك خير معاملة ونكافئك خير مكافأة مدة إقامتك الموقتة عندنا اليس كذلك يا سيدي بيبي !.

– دون شك !..

أما بوليت فانه أدخل بولينا إلى المنزل وقال :

– يجب أن أخبركم الآن ما اتفق لى .

ثم اخبرهما كيف انه تمكن بواسطة بولينا من الدخول إلى نيشات .

فقال بيبي : إنك من أهل الذكاء .

فابتسم بوليت وقال : اني خشيت أن تعلم تنوان بما حدث فلم أجد بداً من اختطاف هذه الحسناء .

فارتعشت بولينا وقالت : ماذا تصنعون بي ؟

– اننا لا نسيء اليك أقل إساءة بل نبقيك هنا .
– أابقى هنا أسيرة ؟
– عشرة أيام لا أكثر .
– إذا كنت تريد أسري حـذراً من أن أبوح بسرك فانى أقسم لك على الكتمان .
– انك صادقة ولكن اسرك خير ضمان لنا .
– ولكنني أفقد مركزي فى منزل تنوان فـــانها تطردني دون شك .
فقال لها ملك النور : كم تكسبين من تنوان ؟
– ستمائة فرنك في العام .
– خذي الفاً .
ثم أخرج من جيبه ورقة مالية قيمتها الف فرنك ودفعها لها.
فابتسمت وقالت : إذا كنتم تدفعون بهذا الكرم فاني أود أن أبقى أسيرة عندكم مدى العمر .
فقال بيبي لها : وإذا أردت أن تقيمي في خدمتي أعطيتك مائة فرنك في الشهر .
فقالت بولينا في نفسها عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خـير لكم .
وقال بوليت في نفسه إنها بانت لنا .

* * *

- كان بيبي متمرنا خبيراً بقلوب البشر فبعد أن تحدث هنيهة مع بولينا قال لبوليت ومونيتو إن هذه الفتاة تفيدنا في بقائها عند تنوان أكثر مما تؤذينا .

فأجابته بولينا هو ذلك يا سيدي فان من يدفع مثلكم يخدم أجل خدمة فاذا كنتم تشككون بي فابقوني عندكم وإذا ضاعفتم راتبي وارجعتموني إلى منزل تنوان خدمتكم أصدق خدمة وكنت طوعاً لكم في كل ما تريدون .

فقال لها بيبي : بل نجعل راتبك أربعة أضعاف ما كان ولكن بشرط أن تكوني خاضعة لأوامرنا .

- سأمتثل لكل ما تأمرون به .

فقال لها بوليت : ولا تنسي اني أشهر من طمن بالخنجر .

فقال له بيبي : لا فائدة من هذا الآن فاني أضمن صدقها .

- ولكنها حاقدة علي ؟

فضحكت بولينا ضحك الساخر وقالت لا أنكر اني حقدت عليك هنيهة أما الآن فقد زال كل حقد من قلبي وهذه يدي أمدها لمصافحتك .

- اذن ستخدمينا ؟

- انى أخدمكم أولاً لمالكم ثم لكرهي لتنوان فإن هذه الحرباء تعامل خدامها معاملة الحيوانات .

- تكرهين تنوان ؟

- أشد كره .

فقال لها بيبي : ان هذه الحية قد ارتكبت جناية كبيرة

فظيعة ألا يسرك أن تعاقب عقاباً يناسب جنايتها ؟

ثم التفت إلى بوليت وقال له : اني اضمن وفاءها فعد بها الآن إلى تنوان فانها تعينك على الدخول إلى المنزل إذا أردت الدخول اليه بالليل وسيكثر دخولك اليه فيما أظن .

— إني أدخل اليه متى أشاء وفوق ذلك فان البومة راقت في عيني .

فقطب بيبي حاجبيه وقال : احذر .

— انها تروق لي ولكني أحب أورور .

ثم التفت إلى بولينا وقال : إننا سنطلق سراحك بدلاً من سجنك فتعالي معي ! — هلم بنا .

ثم ذهب الاثنان وبقي بيبي وملك النور يتحدثان .

أما بوليت فانه جعل يحادث بولينا على الطريق فقال لها : لا شك انك حاقدة علي .

فأجابته بلهجة الساخر إنك مخطىء .

— كيف ذلك ؟

— لو كنت حاقدة عليك لما جئت معك .

— انك صفحت عني الآن ولكني خدعتك مرتين .

— ولكن الخديعة الثانية كانت موافقة لي أتريد الآن أن ابوح بجميع أفكاري ؟ — تكلمي .

— كنت أحسبك منذ ساعة إنك تهوى بائعة الأزهار وأنت تعلم ان الغيرة من أشد أمراض النساء .

— والآن علمت انك تمثل دوراً ؟

– كيف عرفت ذلك ؟

– ليس معرفة ذلك من الأمور الصعبة فان هذا النوري الذي كان يتظاهر بالسكر في منزل تنوان مظاهرة وهذا الرجل الآخر الذي كان يتكلم بلهجة السيادة كل ذلك دلني أصدق دلالة على اتفاقكم في تمثيل الدور فارجوك الآن أن لا تحسبني ضعيفة العقل الى حد العبث بي وأن توقن اني غير حاقدة عليك .

– إذن تظنين اني أمثل دور مع بائعة الأزهار ؟

– بل اني واثقة كل الثقة ؟

– أعلمت الغاية من ذلك ؟

– كلا ولكني سأعلمها فاعلم الآن إني لا أخدمكم من أجل المال وحده ، بل لمعرفة هذا السر أيضاً والفضول من سجيتنا كما تقولون .

ثم ابتسمت وقالت : انكم ثلاثة تتآمرون على هذه الحية الرقطاء تنوان لمآرب أجهلها كما قلت لك ولكن لا بد لي من معرفته والاتفاق معكم .

– إذن تشتركين معنا !.

– دون شك فاني لا أخسر بشركتكم بل أربح كما اتضح لي ذلك بالبرهان .

فقال بوليت في نفسه : لقد كنت أحسب ان تنوان أشد وأدهى فانها أقامت وقتاً طويلاً تبحث عن شريكة لها في اثامها حتى عثرت على البومة ولكنها لو كانت عاقلة كما كنت أظن لما وقع اختيارها إلا على بولينا .

وعند ذلك وصلا إلى باب الحديقة فحاول بوليت أن يقبلها فصدته وقالت : لسنا متعاشقين بل حليفين بل انكم اشتريتموني بمالكم وأنا انتظر أوامركم .

– اذن ستفتحين لي الباب في الليلة القادمة ؟

– في أية ساعة ؟ – لا أعلم بعد .

– ولكني لا أستطيع الانتظار كل الليل .

– هو ذاك ولكني أعين لك اشارة تكون اصطلاحاً بيننا وهي انك اذا سمعت الدور الثاني من نشيد المرسليز بين الساعة الحادية عشرة ونصف الليل أكون أنا ذلك المنشد .

– حسناً .

ثم دخلت من باب الحديقه وأقفلته .

وعند ذلك فطن بوليت للمحامي وقال : ان هذا المنكود ينتظرني فلاذهب اليه .

أما المحامي فانه أقام ينتظر بوليت بملء السكينة والصبر وقد استعان على الانتظار بالخمر فلما رأى بوليت قادماً اسرع اليه وقال له : ما وراءك من الأخبار .

وكان بوليت قد جهز حكاية وهو قادم اليه يقصها عليه فقال له : لقد أخطأت بغيرتك على تنوان .

– أحق ما تقول ؟

– اني اقمت ساعتين في الغرفة التي أشرت لي عليها .

– وماذا رأيت ؟

– رأيت كل شيء .

– ولكن ماذا رأيت ؟

– رأيت تنوان والفتاة الحسناء وذلك الضيف السري الذي خفت منه .

– من هذه الفتاة الحسناء ؟

– هي بائعة زهر في حديقة نيفولي .

– والضيف السري ؟

– رجل نوري من فينا .

– العله الذي أودعت عنده مالها .

– هو بعينه وقد سمعت الحديث .

– ارو لي ما سمعت .

– انك تعلم ان هذا النوري أبى أن يدفع المائة الف فرنك في الشهر الماضي .

– وأنت كيف عرفت ذلك ؟

– ألم أقل لك اني سمعت الحديث ؟

– لقد أصبت فتمم حديثك .

– ان هذا النوري قدم الى باريس ليستوضح سر تنوان وقد اجتمعا أول الليل في حديقة نيفولي ويظهر ان هذا النوري من عشاق الجمال فدعته تنوان الى العشاء معها .

– ماذا حدث بعد ذلك ؟

– حـــدث انه هام ببائعة الأزهار فأضل الهوى صوابه

– ولكن قل لي أدفع المائة الف فرنك ؟

– دون شك فقد رأيته يبسط على المائدة كثيراً من الأوراق

المالية وتنوان قد أخذتها .

فبرقت عينا المحامي وقال : وبعد ذلك ؟

— وبعد ذلك لم أعد أبالي بمعرفة ما يكون وسيكون بينهم فأسرعت اليك لاخبارك وهذا مفتاحك .

— ألم يرك أحد ؟ — كلا

فبرقت اسرة المحامي وقال : ليعشق هذا النوري الفتاة كما يشاء فان المفيد انه دفع المال .

فقال له بوليت : أتأذن لى أيها الصديق بنصيحة ؟

— دون شك فقل .

— انصحك انك حين ترى تنوان ان تتودد لها .

— اني أعدك بذلك ؟

— وأن لا تسألها عن شيء . — سأفعل

وعند ذلك طلب المحامي طعاماً وشراباً واكلا فلم يفرغا من طعامها إلا وقد بزغ الفجر ففارقه بوليت وهو يقول في نفسه : لأذهب الآن فارى ما يفعل مونيتو وبيبي .

فلما وصل الفندق دهش دهشاً عظيما اذ علم ان بيبي والنوري قد برحا الفندق دون أن يناما .

* * *

أما مونيتو وبيبي فانهما بعد أن ذهب بوليت مع بولينا جعلا يتحدثان فقال بيبي : اذن بت واثقاً الآن إن تنوان قد اختلست المال الذي أودعتك اياه ؟

— كل الثقة .

— اذا كان ذلك فلماذا لا ترده الى أصحابه ؟

— لأني أريد برهاناً واضحاً.

— ذلك ضروري بعد اقتناعك ؟

— دون شك كما سترى .

— كيف ذلك ؟

— إني ملك النور ولكن لي مجلس شورى كما يقولون فأنا ملك مقيد دستوري فلا أستطيع رد المال إذا اقتنعت وحدي انه مسروق إذ يجب أن أقنع الأعضاء ايضاً .

— اذا كان ذلك فانت مصيب .

— اني الآن اعتقد اعتقادك بالوصية وهو انها مزورة وقد وعدتني أن تجمعني بمزورها .

— سأفعل ولكن يجب قبل ذلك أن أوقفك على بعض حالات العائلات التي سرق منها المال فان تنوان كانت خادمة عندالبرنسيس هيلانه ثم انتقلت من خدمتها إلى خدمة الكونتيس دي مازير والدة الكونت لوسيان زوج حنة .

وكان هذا المال عند الكونتس فان هذه الثروة التي كانت ضمن صندوق قد انتقلت من يد الى يد أي من لص الى لص ثم قتلت الكونتس دي مازير . أتعلم من قتلها ؟

— العلها تنوان ؟

— كلا بل ان قاتلها رجل وعد تنوان أن يهرب معها الى ايطاليا ويتزوجها فقالت له تنوان : انك عاشرت الاميرة

هيلانة وعرفت خطها فيجب أن تزور وصية باسمها .

– وكيف عرفت هذا ؟

– لا أستطيع أن اقول لك الآن ولكن اسمع ما حدث فان تنوان استولت على الوصية وأخـذت صندوق المال وبينما كان هذا الرجل يقتل البرنسيس دي مازير كانت تنوان ممعنة بالفرار .

– هذا كل الذي أريد أن تبرهن لي عنه .

– سأبرهن لك لأني سأجد هذا الرجل .

– ومتى تمكنت من اطلاع هؤلاء الذين أدعوهم وزرائي على هذه الوصية المزورة أرد المال لأصحابه دون تأخير .

– وماذا تفعل بعد ذلك ؟

– نعاقب تنوان. – أي عقاب ؟

– كن مطمئناً فان عقابها سوف يكون هائلاً .

ثم اتقدت عينا مونيتو ببارق ارتعش له بيبي وقال : نحن معشر النور في المانيا لنا صيتاً حسناً اكتسبناه بالصدق والوفاء والامانة حتى ان الامبراطور نفسه تنازل إلى الثقة بي وعهد الي بمهمة جليلة لا يعهد بها الى أصدق المخلصين من رجال دولته لأنه يعتقد بنا خير اعتقاد .

وأما تنوان فهي من طائفتنا وقد ارتكبت المحارم والاثام ما شان سمعتنا ودنس شرفنا فوجب عقابها .

انك لا تعرف عقاب النور ولا يخطر الك شدته في بال بل لا يدور في خلد انسان ذلك العقاب الهائل الذي أعده لهذه الفاجرة

فلنبحث عن هذا الرجل الذي قلت لي عنه .

فقال له بيبي : اني حين برحت باريس منذ عـامين غادرت هذا الرجل مريضاً .

— ألا يمكن أن يكون قد مات ؟

— لا أظن ولكنه قد يكون ذهب صوابه .

— إذا كان ذلك فقد فقدنا كل شيء .

— كلا فان المجانين يبرأون وربما يكون قد شفي .

— أين غادرته حين سفرك ؟

— في المستشفى فهلم بنا اليه .

ثم قام بيبي وأطل من النافذة فقال : ان الفجر قد انبثق فتعال معي .

وبعد هنيهة خرجا من الفندق فوجدا مركبة فركبا فيهـا وسارا إلى ذلك المستشفى .

وكان هذا مستشفى البلد وأبوابه ليلاً نهاراً مفتوحة وهو في أصله دير للرهبان فحوله الفرنسيين في عهـــد الثورة الى مستشفى لنقمتهم على الدين وأهله في ذلك العهد كما بسطناه في الأجزاء السابقة .

ولما وصلا اليه استقبلهما كاتب المستشفى فطلب منه بيبي السجل الذي تقيد فيه اسماء المرضى .

فأسرع البواب الى احضار ذلك السجل فأخذه بيبي وجعل يقلب أوراقه ويقرأ ما تضمنته من الأسماء نحو نصف ساعة وهو مقطب الجبين الى أن صاح صيحة فرح وبرقت أسرة وجهه ذلك

انه قرأ بين الأسماء ما يأتي :

(المواطن بول مدير البوليس السري دخل في أول يناير)

ولم يكن يوجد أقل اشارة تدل على وفاته أو على خروجه .

فقال في نفسه : إن الشفاليه دي مازير لم يمت ولم يخرج من هذا المستشفى فهو اذن لا يزال فيه .

وعند ذلك طلب بيبي أن يرى طبيب المستشفى .

فذهب الكاتب به وبمونيتو اليه وأطلعه بيبي على ما قرأه في السجل وسأله عن المواطن بول .

فقال له الطبيب : إني أذكر هذا الرجل ولكنه ليس في المستشفى كما تتوهم .

— كيف يكون ذلك وليس في السجل ما يشير الى خروجه؟

— انك تجد مذكرة عنه في سجل العام الماضي .

وعند ذلك ذهب الطبيب فأحضر ذلك السجل وبحث فيه فعثر على طلبه وقرأ ما يأتي :

« اليوم ٤ نوفمبر برح المواطن بول رئيس البوليس سابقاً هذا

« المستشفى بعد أن شفي وقد ذهب به رجـــل شاب يدعى

« بنوات قائلا : انه من أقاربه » .

فقال بيبي مستنكراً : بنوات ؟!

فقال له ملك النور : من هو بنوات هذا العلك تعرفه ؟

فلم يجبه بيبي ولكنه سئل الطبيب قائلا : ألم تعرفوا عنوان هذا الفتى الذي ذهب به ؟

— دون شك .

– أتستطيع أن ترشدني اليه ؟

– نعم فانه مكتوب في سجل خاص فامهلني قليلاً ريثما أبحث عنه .

وبعد ربع ساعة عاد اليه بذلك العنوان فقال له ان بنوات قال انه يقيم في قرية في بسي ولكنه يشتغل عاملاً في الأرصفة في رصيف نمرة ١٧ .

فشكره بيبي وقال لمونيتو : هلم بنا فقد وقفت على أثره وهان الأمر .

٢٣
العقاب الهائل

تقدم لنا القول في الاعداد السابقة ان بيبي عرف من المستشفي ان بنوات اخرج الشفاليه دي مازير والد اورور من المستشفى بعد ان ترك عنوانه .

ويذكر القراء هذا الأحدب وعلائقه بداغوبير والاختين وكيف انه ذهب مع داغوبير حين برح باريس مع امرأتـه أورور فاقام نحو عام وهو يتنقل من منزل داغوبير إلى منزل لوسيان دي مازير فيحسب نفسه سعيداً لأنه لم يحب في الوجود غير هؤلاء .

غير انه صحا يوماً من رقاده منقبض الصدر فتذكر غابات أورليان التي ولد فيها وحن الى الوطن وذهب إلى داغـــوبير يودعه وقد عزم على الرحيل .

فقال له داغوبير : كيف ذلك أتسافر ؟

— نعم .

– اتذهب الى فينا لزيارة الكونتس أورور ؟

– كلا فلا أنت ولا الكونتس أورور في حاجة الى الآن

– إذن الى أين أنت ذاهب ؟

– اني عائد الى فرنسا .

– لماذا لا تبقى معي في الجيش ؟

– اني مللت الإقامة في بلاد لا أفهم كلمة من لغة قومها ثم اني اشتقت الى غاباتنا .

فتنهد داغوبير وقال : وانا ايضاً اشتقت الى منزلي ولكني أرجو أن لا يطول زمن غيابك .

– ربما عدت اليك بعد ثلاثة أشهر .

– ولكن ماذا تصنع في مدينتنا ولم يبق فيها أحد حياً من الذين نحبهم .

– من يعلم فان الأب جيروم قد يكون باقياً في قيد الحياة

– وأنا أوكد انه قتل مع جميع رهبان الدير أيام الثورة .

– أما أنا فاني أرى غير رأيك واعتقد انه لا يزال حياً واني اذا ذهبت الى القرية لاراه فيها أو أعرف من أهلها أين هو .

فهز داغوبير رأسه شأن المرتاب ثم قال للاحدب : اذهب بأمن الله ورجائي أن أراك قريباً ثم أعطاه مائة ليره .

ومثل هذا المبلغ يعد ثروة لمثل بنوات ويكفيه لطواف الأرض غير ان بنوات كان عاقلاً مقتصداً بل كان يقرب من البخل كأكثر أهل القرى فلم يشأ أن يسافر في مركبة مؤثراً السفر على الأقدام فكان يسير في النهار ويستريح في الليل

ويقتصد في طعامه فلا يأكل غير الخبز والجبن ولا يشرب غير مياه الينابيع ، فلما وصل من الرين الى باريس مرض وعلم انه أخطأ في اقتصاده وانه سينفق على المعالجة أضعاف ما اقتصده من اجرة الركوب .

وكان قد أقام في فندق حقير فلم يخطر لصاحبه ان لديه مائة ليره وخشي أن يموت عنده فأرسله الى المستشفى الذي كان فيه الشفاليه دي مازير .

وقد قدرت الصدفة أن يكون سريره محاذياً لسرير الشفاليه فعرفه حين رآه انه والد الكونتس أورور فصاح صيحة دهش انتبه لها الطبيب فقال له : الملك تعرف هذا الرجل .

— نعم انه من بلدي .

فهز الطبيب رأسه وقال : أظن انك مخطىء

وقد كانت الحوادث التي مرت بالأحدب خلال مدة الثورة جعلته حكيما فلم يعارض الطبيب وقال له : قد أكون مخطئاً .

فقال له الطبيب : ان هذا الرجل يدعى بول .

— ليس هذا الرجل الذي ظننت انه هو .

— وقد كان رئيساً للبوليس في عهد روبسبيير .

— ادن انا مخطىء دون شك .

— وقد جن جنوناً فجائياً ولم يعلم أحد سبب جنونه .

— وكيف حالة جنونه ؟

— انه يحسب نفسه من الاعيان ويقول انهم أعدموا ابنته

ولكنه لو كان من الاعيان كما يدعي لما حمل على الاعيان تلك الحملات المنكرة فان لدينا مريضاً كان بوليساً تحت امرنا فأخبرنا ان بول كان يعامل النبلاء دون اشفاق وإنه كان يقبض على خمسين نبيلاً كل اسبوع .

أما الآن فانه بات يدعى بعد جنونه إنه من النبلاء وان اسمه عظيم وإنه لا يريد ان يذكره .

فقال له الاحدب : اسألك المعذرة يا سيدي فقد وجدت شبهاً بينه وبين ذلك الرجل مواطني فحسبته إياه .

ومضى على ذلك ثلاثة ايام تماثل فيها بنوات الى العافية .

فكان دائماً يقول في نفسه إني واثق كل الثقة من ان هـذا الرجل هو الشفاليه دي مازير بعينه .

ولم تؤثر حكاية الطبيب في شيء على اعتقاده وقد كان يعلم أخلاق هذا الرجل وإنه من أهل الشر فلم يستغرب استخدامه في البوليس وحملته على زملائه النبلاء ومع ذلك فانه قال في نفسه ان الشبه قد يتفق الى هذا الحد ولا بد لي من الاستيثاق.

ففي ذات ليلة رآه جالساً في سريره ساهي الطرف فدنا منه وهمس في اذنه قائلاً : (اورور) .

فصاح الشفاليه عند ذلك صيحة منكرة سمعها وكيل المستشفى وأسرع اليه .

ولكن بنوات كان قد عاد مسرعاً أيضاً إلى سريره وتظاهر بالرقاد وقد وثق ان هذا المجنون والد اورور .

وقد حن عليه على ما يعلمه من فساد اخلاقه وقال في نفسه :

انه والد اورور على كل حال فلا أدعه يموت في هذا المستشفى .

وبعد ذلك بيومين شفي بنوات تماماً وبات قادراً على مبارحة المستشفى فخرج منها وغاب ثمانية ايام لم يره احد .

وفي اليوم التاسع عاد الى مدير المستشفى وقال له : اني لم انخدع حين توهمت اني أعرف الذي تدعونه بالمواطن بول فليس، هذا اسمه الحقيقي فانه يدعى بنوات نيكولا وهو خالي وقد غادر القرية في عهد الجمهورية ولم نعلم اذا كان مات او بقي في قيد الحياة الى أن رأيته هنا وأنا الآن قادم لطلبه .

– أنت تطلبه ؟

– نعم يا سيدي فاني عامل في الارصفة أرتزق ما يكفيني للعيش والعناية بخالي المنكود .

ولا أحب للمستشفيات من التخلص من مريض لا سيا اذا كان لا يدفع أجرة تمريضه .

فأذن له المدير بالذهاب به .

أما الشفاليه فلم يبدو منه أقل مقاومة فان جنونه كان هادئاً حتى ان المرء كان يستطيع أن يديره كما يدير الطفل .

وكان بنوات يرى من حالة الشفاليه إنه لا يعيش طويلاً فقال في نفسه : إني سأعتني به وأنفق عليه الى النهاية فانه والد اورور .

وكان بعض الاحيان يذكر اسم اورور أمامه فيرتعش ويختلج ثم يغطي وجهه بيديه ويذرف دموعاً غزيرة .

ثم انه كان ينظر بعض الاحيان الى بنوات نظرات غريبة تدل على ان منظر الاحدب قد رد اليه تلك التذكارات القديمة

فيقول الاحدب في نفسه : انه عرفني ولولا خوفي من ان يعود بعد شفائــه الى ما فطر عليه من اللؤم والشر لكنت أعلم ماذا أصنع ولكنه لم يكن يظهر فكره .

ففي اليوم الذي جاء به بيبي وملك النور الى المستشفى وعلما ان الشفاليه عند بنوات كان قد مر على بقائه عنده تسعة أشهر .

فأسرع بيبي الى المعمل الذي يشتغل فيه الاحدب فكان اول من رآه من العمال فدنا منه وحياه بأسمه .

فدهش الاحدب لأول وهلة وقال له : أتعرفني ؟

فضحك بيبي وقال له : اني متنكر ولست انت الوحيـد الذي لم يعرف وجهي ولكن لا بد أن تعرفني من صوتي .

فعرفه بنوات للحال وقال : بيبي .

— هو بعينه .

فنظر الاحـدب الى مونيتو نظرة ريب أدرك بيبي معناها فقال له : لا تخف فان هذا المولى صديق الأختين ويمكن التحدث أمامه فقل لى ماذا تفعل هنا ؟

— كما ترى أشتغل لأعيش .

— لماذا لم تبق مع داغوبير ؟

— لانني مللت الاقامة في بلاد الالمان .

— أنت عائش وحدك ؟

— نعم .

— أحق ما تقول ؟

فارتعش بنوات وقال : مع من تريد أن أعيش ؟

– مع المواطن بول مثلاً .
– أتعرف ذلك وكيف عرفته ؟
– عرفته من المستشفى حين ذهبت اليه لأفتقد صديقي بول.
– أهو صديقك ؟
– من أخلص أصدقائي .
– اذن أنت لا تعلم .
– بل أعلم انه والد الكونتس اورور .
– وكيف عرفت هذا ؟
– اني أعرف كثيراً غيره من عهد بعيد .
– اذن انت قادم من قبل الكونتس اورور ؟
– كلا فانها لا تزال معتقدة ان أباها قد مات .
– وربما كانت مصيبة في اعتقادها .
– لماذا ؟
– لانه مجنون .
– ولكن المجانين يشفون .
– ان هذا القول شائع وقد بت أعتقد بصدقه فان هذا المنكود يظهر لى منه بعض الأحيان انه يعرفني حتى لقد قلت مرة في نفسي اني لو ذهبت به الى قريتنا وأقام في منزله القديم بين الغابات فقد ينال الشفاء .
– انه رأي صالح فكيف لم تعمل به ألعل ذلك لعدم وجود المال لديك .
– كلا اذ يوجد لدي فوق ما أحتاج اليه .

– اذن ما الذي يمنعك ؟

فأطرق بنوات بعينيه وقال : الخوف .

– ومن أي شيء خفت ؟

– من أن يعود الى ما كان عليه من الشر اذ عاد اليه صوابه.

– وأنا أرى غير ما تراه وازيدك على ذلك اننا كلنا في أشد الاحتياج الى ان يعود اليه عقله .

– اذن نذهب به الى القرية اذا كنت تظن ما أظنه من امكان شفائه فيها .

فقال له ملك النور : اني يا بني طبيب وقد يمكن ان اجد علاجاً يشفيه ولكني لا أجزم بشفائه قبل أن أراه .

اذن هلم بنا الى المنزل . ثم تقدمهما وسارا بأثره حتى وصلوا الى منزل الاحدب وهو مشرف على السين فوجدوا المجنون جالساً عند النافذة ينظر الى مياه النهر .

فلم ينتبه حين دخولهم حتى دنا منه الاحدب ووضع يده على كتفه فالتفت اليه وابتسم .

ثم نظر نظرة انذهال الى مونيتو وبيبي فقال بيبي بلهجة الآسف : انه لم يعرفني وانا اخلص اصدقائه .

اما الشفاليه فانه عاد الى مراقبة المياه دون ان يفوه بحرف فقال بيبي لمونيتو : ما رأيك فيه ؟

– ما هو جنونه ؟

– انه يعتقد ان ابنته قتلت أيام الثورة .

– إذن حدثه عن إبنته .

– فدنا عند ذلك بيبي منه ولمس كتفه فالتفت الشفاليه اليه وقال له : ماذا تريد ؟

– أريد أن اكلمك عن اورور .

فصاح المجنون صيحـة منكرة . ثم نظر الى بيبي بعينين تتقدان ناراً وقال له من انت ايها الرجل الذي تكلمني عن اورور ان اورور ماتت ... ان روبسبيير أمر بأعدامها .

ثم جعل ينظر الى بيبي نظرات تدل ان حجب الماضي قد انكشفت عن عينيه .

٢٤
الاعتراف

غير ان ذلك لم يدم فانه بعد ان نظر اليه النظرات قهقه ضاحكاً ثم اندفع يغني نشيد الثورة .

فقال الاحدب أظنه لا يشفى .

فقال ملك النور : وأنا أشفيه .

فقال له بيبي : كيف تشفيه ؟

ان لدينا نحن النور علاجات سرية وطرقاً خاصة في المعالجة لا توجد عند غيرنا من الشعوب .

ثم قال مشيراً الى بنوات : وان الذي قاله هذا الفتى صواب ان وجوده في البلاد التي يعيش فيها يعينني على معالجته فأشفيه في ثلاثة أيام .

ـ أتعود اليه ذاكرته ؟

ـ دون شك .

فجعل بيبي يعد على أصابعه فيقول يومان للذهاب ويومان للاياب وثلاثة او اربعة ايام في القرية وجملتها ثمانية ايام فماذا نصنع في نيشات وتنوان ؟

فابتسم ملك النور وقال : انك لا تحتاج إلي في مثـــل هذه المدة .

– كيف ذلك ؟

– اني لا اذهب معك .

– ومن يعالجه حسب الطريقة التي تريدها ؟

– انت . ومتى كشفتها لك علمت ان ذلك ميسور والحق ان هذه المعالجـــة سهلة فهي منحصرة بشراب يخدر حواسه فلنفترض انك سافرت به مع هذا الفتى وهو لا يمتنع فيما اظن .

فقال له بنوات : انه يطيعني كل طوع ولا يخالفني في شيء مما أريد .

– تصعدون به الى مركبة مقفلة وتقيمان معه وفي الطريق تطعمانه وتسقيانه وتضعان في شرابه جرعـــة من شراب سأحضره لكما .

فقال له بيبي : ماذا يكون تأثير هذا الشراب ؟

– انه ينام بعده نوماً عميقاً بحيث لا يعلم ما يجري حوله .

– وبعد ذلك ؟

– هل المنزل الذي كان يسكنه في القرية لا يزال عامراً ؟

– انه نهب في ايام الثورة ولكن أحد المزارعين الذين كانوا عند الشفاليه قد اشتراه .

فقال بنوات : لقد اخبروني بهذا وعرفت الذي اشتراه وهو رجل طيب السريرة .

– ألا أستطيع الاعتماد عليه ؟

– كل الاعتياد .

– إذن حين تصلان به الى هـذا المنزل تضعانه في سريره وتسقيانه شراباً أحضره لكما أيضاً فيستحيل نومـه الى نوم طبيعي وعندما يصحو ينظر الى ما حواليه فيجد النافذة مفتوحة فيطل منها فيرى تلك الغابة التي أقام فيها دهراً طويلاً وعند ذلك يزول حجاب الماضي عن عينيه ويحسب نفسه قد حلم حلماً طويلاً هائلاً .

– وبعد ذلك أيكون قد شفي ؟

– ولكنه يكون في دور النقاهة وأما أنت يا بيبي فلا يجب أن يراك بل يجب ان يرى في البدء هذا الفتى الذي تعود ان يطعمه

فقال له بنوات : وماذا أقول له ؟

– لا تقول له شيئاً بل تحدثه حسب العادة كأنه لم يحدث أمر فوق العادة وتجتهد أن لا تدعه يرى سواك وهو سيسألك أسئلة كثيرة فتجيبه بل انه ربما بكي .

– أيتكلم عن إبنته ؟

– دون شك .

– أيجب اخباره انها لا تزال في قيد الحياة ؟

– كلا فان هذا الخبر الفجائي يقتله لا محالة .

– وماذا يكون من أمره بعد ذلك ؟

– انه يكون في اليوم الاول بليداً تائهاً جامد الطرف فتسقيه من الشراب الذي سقيته منه في المرة الاولى وفي اليوم التالي تعود تذكاراته جملة وعند ذلك تستطيع انت يا بيبي ان تراه .

فقال ببي: اني أضمن شفاءه على ذلك في اليوم الثالث فأخبره ان ابنته لا تزال في قيد الحياة .

ـ كلا بل تحدثه عن تنوان وأرجح انه سيغضب غضباً شديداً عند ذكرها فخبره عند ذلك ان هذه المرأة غنية جداً وان ثروتها مودوعة عند قوم يردونها لأصحابها اذا أثبتت لهم ان وصية البرنسيس هيلانة مزورة وهو يحب المال أليس كذلك؟

ـ لو لم يكن يعبده لما قتل الكونتس دي مازير .

ـ اذن فاعلم ان رجاءه بعودة تلك الثروة اليه يتم شفائه .

ـ أتظن كل ذلك ؟

ـ بل اؤكده .

ـ وبعد ذلك أاحضر به إلى باريس ؟

ـ على الفور .

ـ سأفعل كل ما قلته ثم قال لبنوات : إن السفر قد تقرر فتهيأ له .

ـ متى نسافر ؟

ـ في هذه الليلة فأحضر اليك بمركبة .

ـ ولكنك لم تفطن لأمر وهو ان هذا الشفاليه كان من كبار اللصوص ألا تخشى اذا عاد اليه صوابه ان يعود اليه الشر .

ـ فهز ببي كتفيه وقال : اني لا أعلم ما يكون .

ـ واذا ابى أن يرد المال ؟

فابتسم مونيتو وقال : كن مطمئناً فاني لا أرد المال اليه .

وعند ذلك افترقوا فذهب مونيتو وببي فقال له : إذن

عولت ان تبقى في باريس مدة غيابنا ؟

ـ هو ذاك . ـ ماذا تصنع ؟

فابتسم ملك النور وقال : أجن غراماً بنيشات .

ولما وصلا الى الفنـدق ذهب ملك النور ليستحضر الدواء الذي وصفه .

وقد علم بيبي ان بوليت اتى الى الفندق مرتين وكان بيبي لم ينم تلك الليلة فاضطجع في سريره ولكنه لم يكد يغفو حتى سمع قرعاً على بابه .

وكان الطارق بوليت ففتح له الباب ودار بينهما الحديث الآتي فقال بوليت : هذه هي المرة الثالثة التي أتيت فيها فأين كنت ؟

ـ كنت أبحث عن والد اورور فوجدته .

ـ ألا يزال مجنوناً ؟

ـ نعم ولكن ملك النور يرجو أن يشفيه .

ـ ولكن يوجد أمر لم أفهمه بعد وهو لنفرض ان الشفاليه قد شفي فكيف يثبت شفاؤه لمونيتو ان تنوان قد سرقت المال ؟

ـ انه كاتب الوصية المزورة .

ـ ولكن أيعترف بأنه مزورها ؟

ـ انه يعترف دون شك اذا لم يكن حباً بابنته فلكرهه لتنوان فانها هزأت به .

ـ لقد فهمت .

ـ وعلى ذلك فسنسافر الليلة .

ـ مع المجنون .

ـ ومع بنوات أيضاً.

ـ ومنيتو أيبقى في باريس ؟

ـ دون شك فانه يحاول ان يجن غراماً بنيشات وانت فماذا صنعت هذه الليلة ؟

تمشيت مع المحامي د .

ـ أأخبرته بما رأيت؟

ـ نعم ولكن اطمئن فانه لا يخونني .

ـ وتنوان أرأيتها ؟

ـ اني قادم من عندهـــا فهي لم تشكك بشيء وتظاهرت نيشات انها لا تعرفني .

ـ أتظن انها تثبت على وفائك ؟

ـ انها عبدة لي .

ـ اذن اصغ الي فان العاقل يجب ان يتوقع كل امر فلنفترض ان مونيتو انخدع وان الشفاليه لم يشف من جنونه فيجب عند ذلك استخدام نيشات .

ـ لأي شيء للاطلاع منها على أسرار تنوان ؟

ـ هو ذاك .

ـ اذن يجب ان تقف هي على هذه الاسرار .

ـ وستقف عليها فان هاتين المرأتين متفقتان على الشر فلا يتكتمان وأذكر الآن ما اوصيك به وهو انه اذا امكننــا الاستيلاء على كتاب من خط البرنسيس هيلانه وقابلناه بخط الوصية اتضح التزوير ولم نعد في حاجة الى والد اورور .

ـ ولكن من يثبت لنا ان تنوان لديها رسائل من البرنسيس؟

ـ لابد ان يكون عندها. اني واثق من وجود رسائل اذ لابد ان يكون موجوداً في الصندوق الذي اختلسته رسالة من خطها

ـ ولكن تنوان تحرق هذه الرسائل دون شك .

ـ كلا فان هذه النورية تفتخر ان يكون لديها رسائل من خط أميرة خطيرة كالاميرة هيلانة .

ـ ان ذلك ممكن ولكن اين يمكن ان تكون هذه الرسائل.

ـ يجب على نيشات ان تجدها .

ـ كن مطمئناً فستجدها .

ولم يعد بيبي الى الرقاد بل انه جعل يتأهب للرحيل وينتظر عودة مونيتو .

وفي الساعة الخامسة عاد ملك النور ومعه زجاجتان مختومتان احداهما تحتوي على سائل اصفر والثانية على سائل أخضر فدفعهما الى بيبي وقال: ان السائل الاصفر يتضمن المادة المنومة والسائل الاخضر هو الدواء الشافي فأسقه اياهما كما وصفت لك واحذر ان يتأثر تأثيراً عظيماً لئلا يموت.

قال : كن مطمئناً فسأنفذ وصيتك كما تلقيتها فسأله بوليت متى تعود ؟ قال بعد ثمانية أيام قال : اني في هذه المدة اتم غواية نيشات فابتسم مونيتو وقال: وهي أيضاً تتم اغوائي وعند ذلك صافح مونيتو بيبي وقال له : اني سأرد الى الكونتس اورور المال الذي سرق منها وسأخبر الرجلين اللذين يجب علي استشارتهما في اعمالي فانهما سيحضران عقاب تنوان .

٢٥
الشيخ

وبعد ذلك بيومين كانت مركبة تسير في غابات اورليان وفيها بيبي والشفاليه دي مازير والاحدب جالس بجانب سائقها

وكان الشفاليه دي مازير نائماً نوماً عميقاً لتأثير المخدر الذي أعده له ملك النور .

وما زالت المركبه تسير بهم والشفاليه نائم حتى اقتربوا من قصر بلياردير وهو القصر الذي كان يقيم فيه الشفاليه دي مازير مع ابنته اورور قبل زمن الثورة فأوقف بنوات المركبة ونزل الى بيبي فقال له اننا قد دنونا من القصر ويجب ان تنتظرني هنا الى ان اعود اليك .

فقال له بيبي : لماذا ؟

— لانني لا اعلم يقيناً اذا كان القصر لايزال موجوداً ولكنني سمعتهم يقولون ان احد المزارعين اشتراه من الحكومة وفي نيته دون شك ارجاعه الى الكونتس اورور .

— وماذا تريد ان تعلم ؟

— أريد ان اعلم اذا كان هذا المزارع لا يزال في قيد الحياة فاذا كان ذلك وكان القصر لايزال له فاني أريد ان اخبره بطرف قصتنا والغاية من قدومنا .

— لا بأس فافعل .

— ثم ان الشفاليه نائم من عهد بعيد فقد يستفيق ويتأثر وهو ما اوصانا مونيتو باجتنابه .

— هو ذاك .

— اذن ارى انه يجب ان يكون وصولنا في الليل فابق هنا وانا اذهب للاستطلاع .

ثم تركه وانصرف يعدو عدواً حسب عادته وقد آنس بهذه الغابات التي نشأ فيها فوصل الى منزل جزار يدعى يعقوب.

وكان هذا الرجل من اصدقاء الاحدب فلما لقيـــه دهش دهشاً عظيماً وقال له : ماذا أرى ألعل الاموات يبعثون فابتسم الاحدب وقال له : كيف ذلك ؟

— لقد أشيع عندنا انك قتلت في باريس فمن أين انت قادم؟

— من باريس .

— والى أين ؟

— أتيت لأراك وأرى بقية الرفاق .

— لقد تغيرت احوالنا كل التغيير في غيابك فمات كثيرون من اصدقائنا وتجند كثيرون حتى لقد بلغنا ان داغوبير الحداد أصبح جنرالاً .

— هذه هي الحقيقة .

ـ ولكنهم يروون ايضاً اموراً اشد غرابة وهي انه تزوج .
ـ هذا أكيد .
ـ وان امرأته الكونتس اورور ابنة المرحوم الشفاليه دي مازير .
ـ وهذا اكيد ايضاً.
فنظر اليه الجزار نظرة المؤنب وقال : أتهزأ بي ؟
ـ كلا لم اهزأ بك فاني منذ فارقتكم لم أفترق عن اورور واختها .
ـ اذن كل ما تقوله صحيح ؟
ـ لا ريب فيه .
ـ اني اعرف رجلاً يسره هذا النبأ كل السرور وهو الاب كورتي .
ـ ألا يزال في قيد الحياة ؟
ـ لا يزال حياً يرزق وهو الذي اشترى قصر بلياردير بعد ان كان مزارعاً في ارضه ولكنه لم يقم فيه ولا يزال يشتغل في المزارع .
ـ لماذا لا يقيم فيه اذا كان اشتراه ؟
ـ انه اشتراه بثمن بخس من الحكومة بفضل ما كان يقتصده من صدقات الكونتس اورور وقد عاهد نفسه ان يرد القصر اليها متى عادت الى القرية .
ـ اذا كان ذلك فاعلم انها ستعود .
ـ أحق ما تقول ؟

ـ دون شك وان غيابها لا يطول .

ـ انها تستحق كل خير فقد كانت محسنة الينا جميعاً .

وعند ذلك استأذن الاحدب الرجل بالانصراف الى مشاهدة اصدقائه وقد عرف منه ما أراد ان يعرفه فقال له : يجب ان تبدأ بزيارة كورتي .

ـ هذا الذي عزمت عليه ثم ودعه وانصرف تواً الى قصر بلياردير حتى اذا وصل الى بابه الكبير وجد انهم ازالوا اشارة اسرة دي مازير عنه وكتبوا بدلها (الحرية والمساواة والاخاء).

ودخل بنوات في مزارع القصر فذهب الى حيث كان يشتغل كورتي عادة فلقيه فلما رآه كورتي لم يبد ما ابداه الجزار من الانذهال وقال له : أهذا انت يا بنوات ؟

فحياه بنوات وقال : يسرني انك لم تحسبني ميتاً كما حسبني سواك ولكن يسوئني ان تستقبلني بهذا البرود بعد فراقنا الطويل

فمد له كورتي يده وصافحه وقال له: الحق اني كنت احسبك من الاموات ولكني علمت منذ شهر انك لا تزال حياً .

ـ من الذي أخبرك ؟

فقال له بصوت منخفض : ورد إلي كتاب من اورور منذ شهر تخبرني به انك مسافر الى القرية .

ـ هو ذاك ولكني تأخرت في الطريق لبعض المشاغل .

ـ ولكني انتظرك منذ شهر .

ـ انت تنتظرني ؟

ـ دون شك فالى اين تذهب اذا كنت لا تأتي الينا .

ـ لقد أصبت فاني فقدت عادة النوم في الغابات ثم قال في نفسه : ان كتاب اورور قد يضرنا لانها دون شك لم تذكر شيئاً عن ابيها لاعتقادها انه ميت .

وبعد ذلك نظر الى ما حواليه نظرة الفاحص فقال له كورتي ماذا تنظر ؟

ـ أتظن اننا وحدنا وانه لم يرنا احد سواك ؟

ـ لماذا تسأل هذا السؤال ؟

ـ لاني قبل ان ادخل الى منزلك وارى امرأتك وابنتك اريد ان احدثك في بعض الشؤون فاني لا اعلم ما كتبته لك الكونتس لانها كتبت اليك بعد سفري ولكنها لم تكتب لك كل شيء .

ـ ماذا تعني ؟

ـ أكتبت لك شيئاً عن أبيها ؟

ـ كلا فان الشفاليه قد مات .

ـ انك منخدع ايها الصديق .

ـ ماذا تقول أهو حي وهل ذلك ممكن .

ـ لقد قلت لك الحقيقة فهو حي ولكنه شبه ميت .

ـ كيف ذلك ؟

ـ انه مجنون وقد ذهب عقله في عهد الثورة وجنونه يعد شقاء عظيماً للكونتس ابنته .

ـ بل ارى ان شقاءها بصوابه .

ـ انه اذا عاد الى الشفاليه صوابه تعود الى الكونتس ثروتها

الطائلة المسلوبة وهي ثروة تحصل عليها بكلمة تخرج من فم ابيها.
ـ ولماذا لا يقول هذه الكلمة ؟
ـ لانه مجنون لا عقل له .
ـ ألا يمكن شفاؤه ؟
ـ انهم يعالجونه .
ـ أين ؟
ـ ان الذي يتولى معالجته طبيب ماهر وعد ان يشفيه مشترطاً ان يساعده جميع الذين يذكرون جميل ابنته .
ـ وأنا واحد منهم كما تعلم .
ـ ولهذا أتيتك وأردت مباحثتك لاعتمادي عليك.
ـ اذن أوضح ما تريد .
ـ ان الشفاليه دي مازير غير موجود في باريس الآن .
ـ أين هو ؟
ـ على بعد نصف مرحلة من هنا مع الطبيب الذي يعالجه ثم قص عليه السبب في المجيء به الى قصره القديم وأملهم ان تشفيه مناظر الغابات الى غير ذلك مما بسطناه فقال له كورتي . ان هذا الطبيب مصيب في رأيه ولكن لماذا لم تأتوا به تواً ؟
ـ لاني اردت ان اعلم في البدء اذا كنت توافق على مشروعنا ثم اننا اثرنا ان يكون دخوله الى القصر في الليل .
ـ اذن هلم بنا الى المنزل لنخبر امرأتي وابنتي بما جرى ثم خرج الاثنان من الحقل وذهبا الى المنزل .
وبعد ذلك بساعة عاد الاحدب الى الغابة حيث ترك بيبي

والشفاليه وكان الشفاليه لا يزال نائماً فقال له بيبي: ماذا حدث؟

ـ ان المزارع مستعد لقبولنا والقصر لايزال على ما كان عليه

ـ اذن هلم بنا الى القصر .

ـ أراه على وشك الاستفاقة ألا ترى انه يجب ان تسقيه جرعة من المخدر ؟

ـ سأفعل .

فسقاه جرعة فعاد الى النوم العميق وبعدذلك بساعة دخلت المركبة بهم الى فناء القصر .

***

لم يكن أحد في الحقول حين دخلت المركبة فان كورتي كان قد أطلق سراح العمال فذهبوا الى منازلهم .

فلما وصلت المركبة الى باب القصر اخرج بيبي والاحدب الشفاليه منها وحملاه الى القصر فوضعاه في السرير الذي كان ينام فيه في غرفة تشرف على الغابة ثم ذهبا مع كورتي الى المائدة للعشاء وفيما هما على المائدة سمع الاحدب وقع أقـدام في الرواق فقال : ما هذا ؟

فاضطرب كورتي وقال : لا شيء .

ـ ولكني سمعت صوتاً .

ـ انه صوت سلاسل كلب الحارس .

فلم يلح الاحدب ولكنه كان واثقاً انه سمع وقـع اقدام في الرواق .

وكانوا قد أعدوا غرفة لبيبي، أما الاحدب فقد اتفقوا معه ان يبيت في غرفة الشفاليه .

وكان كلاهما قد أجهدهما التعب فلما فرغا من الطعام دب النعاس الى اجفانهما فناما .

وعند الفجر خرج الاحدب من غرفة الشفاليه وذهب الى غرفة بيبي فذهل حينما رآه لا يزال في ملابسه وغرفة النافذة مفتوحة وهو مقطب الجبين ، فقال له : ماذا اصابك ؟

ـ أرى انه يحدث هنا امور غير اعتيادية ، فانك سمعت في الأمس وقع أقدام في الرواق حين كنا على العشاء وخطأك كورتي أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ ولكنك كنت مصيباً .

ـ ربما كان هذا المتلصص فلاح دفعه الفضول الى الوقوف على أخبارنا .

ـ كلا فاني حين دخلت أمس للرقاد فتحت النافذة فخيل لي اني أسمع همساً فأصغيت فتبين لي صوت كورتي .

ـ مع من كان يتحدث ؟

ـ مع رجل كهل وقد أطفأت مصباحي من قبيل الحذر كي لا يراني ولكني كنت أراهما فرأيت ان الكهل محدوب الظهر ذو لحية طويلة بيضاء فأصغيت اصغاء تاماً وسمعت بعض حديثهما.

فارتعش الاحدب حين سمع أوصاف الشيخ وقال: ماذا سمعت

ـ سمعت كورتي يقول للشيخ ليس هنا ما يحمل على الخوف

يا أبي فابق في القصر ذلك خير من ذهابك الى الغابة ، فأجابه الشيخ بكلمات لم أسمعها .

ـ وبعد ذلك أبقي الشيخ ؟

ـ كلا فان كورتي سار الى باب غرفة مشرفة على الرواق فطرق بابها وخرجت امرأته تحمل سلة فأخذها منها وعاد الى الشيخ فأعطاه إياها ورافقه الى اول الاشجار .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ عاد ، وأما الشيخ فانه سار بسلته.

ـ انه ذهب دون شك الى الغابة للاختباء بها ، فما رأيك في ذلك ؟

ـ أرى ان هذا الشيخ انما يختبىء لامر هام فان الثورة قد مضى زمنها ولم يبق خوف عليه من المقصلة .

فوضع بنوات يده على جبينه وقال : أأنت واثق من ان كورتي كان يناديه يا أبي .

ـ كل الثقة .

ـ اذن لا بد أن يكون هذا الرجل كاهناً فان والد كورتي قد مات من عهد بعيد ولا يزال الرهبان الذين لم يحلفوا اليمين مضطهدين .

فظهرت علائم الاطمئنان على وجه بيبي وقال: لقد أصبت.

ـ وفي كل حال فان كورتي من أهل الثقة والاخلاص فلا سبيل الى الحذر منه .

ـ ربما كان ذلك غير ان الحذر أصبح في دمي لطول عهدي في

خدمة البوليس فلا أطيق أن أجد سراً دون ان أكتشفه .

ـ اني سأكتشفه لك فاطمئن، ثم تركه وانصرف الى الحقول حيث كان كورتي يدير المزارعين فلما رأى الاحدب دنا منه وقال له همساً ألا يزال الشفاليه نائماً ؟

ـ نعم . ـ والطبيب ؟

ـ إنه لم ينم الليلة فتعال معي إني احب ان احدثك على انفراد فانك كنت السبب في عدم نوم الطبيب . ـ انا ؟

ـ نعم انت فاني لم اكن مخطئاً أمس حين قلت لك اني اسمع وقع أقدام فقل لي من الذي تريد ان تخبئه عندك ؟

ـ لا أريد ان اخبىء احداً .

ـ وهذا الشيخ ذو اللحية البيضاء .

فتراجع كورتي مذعراً وقال : أرأيته ؟

ـ كلا ولكن الطبيب رآه فقل لي من هذا الرجل ولماذا يريد ان يختبىء .

ـ اذن فاعلم يا بنوات انه كاهن أقام مدة طويلة في السجن ولم ينج منه إلا بأعجوبة .

ـ ألعله هرب من السجن ؟

ـ نعم .

ـ وهو لذلك يختبىء في الغابة .

ـ منذ ستة أشهر .

ـ وهو يأتي كل ليلة اليك لأخذ زاده ؟

ـ كلا بل مرتين في الاسبوع .

ـ اني لا أجد سبباً يدعوه الى الاختباء .

ـ وأنا لا أعلم هذا السر فهو سره .

ـ ولكنك تعلم من أنا ؟

ـ دون شك .

ـ وانه يمكن الثقة بي ؟

ـ دون شك يا بني ولكني لا اثق بهذا الطبيب .

ـ ثق به كما تثق بي فقد خطر لي خاطر اضطرب له قلبي .

ـ ماذا خطر لك يا بني ؟

ـ ان هذا الكاهن هو الأب جيروم رئيس الدير .

ـ أسكت لا ترفع صوتك .

فسر بنوات سروراً عظيماً وقال : أرأيت انه هو بعينه .

ـ هو ذاك ولكن اسكت لا تذكر اسمه .

ـ لقد أصبت في قولك له انه لا خوف عليه عندك فان اهل القرية يوشكون ان يعبدوه .

ـ نعم غير ان لديه اسباباً تحمله على الاختباء .

ـ وما هي الاسباب ؟

ـ انها من أسراره فلا أستطيع ان أبوح بها لأحد .

ـ ليكن ما تريــد فلا ألح عليك ويكفيني ان أعلم انه لا يزال في قيد الحياة .

ثم تركه وعاد الى بيبي فقال له بيبي : أسرع وتعال انظر. وقد ذهب به الى آخر الرواق وقال له: انظر من ثقب الباب فنظر بنوات فرأى الشفالية قد صحا من رقاده وهو ينظر

من النافذة الى الغابة فقال له بيبي: ادخل اليه إذ لا يجب ان يرى سواك اليوم كما قال مونيتو .

فدخل بنوات الى غرفة المجنون دون ان ينتبه اليه الشفاليه لانشغاله بالنظر الى الخلاء .

ثم وضع يده على كتفه فالتفت الشفاليه ورأى بنوات فقال له دون اندهاش : لماذا لا أرى النهر حسب العادة .

– أي نهر ؟

– النهر الذي كنا نراه هناك .

– ذلك لاننا لسنا في باريس .

– فلم يجبه الشفاليه بشيء وعاد إلى تأملاته فعاد بنوات الى بيبي وقال له : إنه لا يزال يعتقد انه بات في باريس .

– ذلك يدل ان رد الفعل لم يحدث بعد وانه لا يحدث إلا تباعاً وبالتدريج وذلك خير له فانه لو علم فجأه بهذا الانقلاب لأصابه ما كان يخشاه مونيتو من عاقبة التأثر .

فعاد بنوات الى الشفاليه فقال له المجنون : عجباً أين ذهب النهر وكيف ذهب ؟ ثم أطرق هنيهة وعاد الى الحديث فقال : أحق ما قلته لي اننا لسنا في باريس ، واذا كان ذلك فأين نحن ؟

فلم يجبه بنوات .

أما الشفاليه فانه سكت أيضاً ثم عـاد الى الحديث فقال : يخال لي اني رأيت هذه المناظر قبل الآن فهل أنا نائم ؟

– كلا . – إذن انا صاح ؟

– هو ما تقول يا سيدي .

— كيف تدعوني سيدك ألا تعلم ان عهد السيادة قد انقضى بسقوط دولة الأعيان ؟

ثم تركه وعاد الى النظر من النافذة ثم رجع فجأة الى الغرفة وجعل يفحص أثاثها وصورها فظهر من عينيه كأن تذكاراً بعيداً قد جال في خاطره وقال : كلا كلا اني حالم .

— لقد قلت انك صاح يا مواطني .

— لماذا تدعوني مواطنك ولا تدعوني سيدك ؟

— سأفعل .

— بل ادعني سيدك الشفاليه ، وقد ضحك ضحكاً شديداً بعد هذا القول .

وكان بيبي يراقب حركاته من ثقب القفل وسمع كلماته فقال في نفسه : لقد بدأ دور الشفاء فانه ذكر اسمه .

أما الشفاليه فانه فتح خزانة وأخرج منها علبة صغيرة فتحها فوجد فيها صورة فلما رآها صاح صيحة منكرة ثم ألقى العلبة والصورة الى الارض فانكسر اطار الصورة وتحطم زجاجها فنظر اليها الشفاليه كما نظر الى العلبة التي كسرها وجعل يبكي بدموع غزيرة .

أما هذه الصورة التي أحدثت فيه هذا الانقلاب فقد كانت صورة ابنته اورور .

ولبث يبكي مدة طويلة كان بنوات في خلالها أعاد الصورة الى موضعها ثم جعل يضحك بعد البكاء فان الصواب كان قد عاد

اليه هنيهة ولكنه لم يظل فانه رجع الى النافـذة وجعل ينشد المرسيليز .

أما بنوات فانه ذعر لهذا الانقلاب فعاد الى بيبي وقال له : أرى ان جميع علوم مونيتو لا تفيده في شيء .

— لنصبر الى النهاية .

— ألك ثقة في دواء مونيتو ؟

— كل الثقة .

— أما انا فلا أثق به بعد ما رأيت .

— لانه رأى صورة ابنته فعرفها وبكاها ؟

— ولكنه رجع الى نسيانها .

— هو ذاك غير أنه يفتكر الآن في أحد أدوار حياته .

— أي دور ؟ — دور الثورة .

— ألا ترى من الموافق أن نخبره بعدم وفاة أبنته .

— كلا لم يحن الوقت بعد .

وعند الظهر عاد بنوات الى الشفاليه بالطعام كما كان يصنع في باريس فأكل وشرب دون ان يذكر شيئاً من ماضيه ولما فرغ من الطعام قال لبنوات : تعال معي .

— الى أين تريد الذهاب ؟

— أريد ان أفتش على النهر .

وكان بيبي واقفاً وراء الباب بحيث يراه بنوات فأشار اليه اشارة مفادها لا تخالفه فيما يريد فامتثل بنوات وتقدم الشفاليه الى السلم فكان يتبعه حتى انتهى الى مجموعة من أسلحـة الصيد

كانت لأورور فوقف عندها وجعل يتمعن بها ملياً .

ثم مشى يتبعه بنوات وهو ينظر بأمعان الى كل ما يحيط به حتى رأى حجراً ضخماً فجلس عليه وتفرس بوجه بنوات فقال له: اني أعرفك ايها الرجل فانك انت الذي كنا نلقبك بالاحدب فماذا كنت تدعى ؟

قال بنوات : نعم نعم لقد ذكرت فان اورور كانت تحبك.

وعندما ذكر اسم اورور انقطع عن الحديث وعـــاد الى التصور ولكنه لم يعد يحاول التفتيش عن النهر .

وقد بقي جالساً نحو ساعة على الحجر وبنوات معه لا يجسر ان يكلمه بحرف الى ان نهض الشفاليه فجأة فقال له : هلم بنا .

– نعود الى المنزل فان البرد قارص .

وسار وإياه الهوينا وهو يحدثه فقال له : اني عرفت الآن اين انا فاني في قصر البلياردير .

– هذا أكيد يا سيدي .

– يظهر اني كنت مريضاً جداً .

– وهذا أكيد أيضاً .

– اما كنت مصاباً بالهذيان ؟

– هو ذاك .

– ألعل ذلك طال بي ؟

– عدة أيام يجب ان يكون ذلك فاني رأيت اموراً غريبة خلال مرضي حتى يخال لي اني كنت أحلم .

– وبماذا حلمت يا سيدي ؟

– بأمور كثيرة لم تحدث دون شك فاني أجد نفسي لا أزال في منزلي فقد رأيت انهم أحرقوا القصور وقتلوا الملك وطردوا النبلاء والاساقفة واني انقلبت عدواً للنبلاء أنشد الاناشيد الحماسية ، ثم غني دوراً من تلك الاناشيد الثورية وقال لبنوات : أسمعت شيئاً انت من هذا الغناء ؟

فارتعد بنوات وقال : كلا يا سيدي .

– إذن فقد كنت حالماً دون شك وانا الذي اخترعت هذه الاناشيد ثم قال فجأة : ألا تذهبون اليوم الى الصيد ؟

– كلا . – واورور ألا تصحبك معها ؟

– كلا .

– أتعلم اذا كانت تعود باكراً هذه الليلة ؟

– انها تعود حسب العادة .

وكان بيبي قد استتر وراء هذه الشجرة التي كان الشفاليه جالساً تحتها يسمع الحديث فلما رآه عزم على الرجوع وسار مختفياً بين الاشجار يقفو اثرهما غير ان الشفاليه التفت فجأة ورأى بيبي فكانت ساعة هائلة فانه أسرع اليه وقال له : انت انت .

– نعم انا هو .

فصاح المجنون صيحة منكرة وقال : اذن لم أكن حالماً وكل ما رأيته أكيد المرسيليز انشدت والمقصلة عملت، والملك قتل كل ذلك أكيد أليس كذلك ؟

فأطرق بيبي برأسه دون ان يجيب غير ان الشفاليه هز ذراعه وقال له : تكلم لماذا انا هنا في قصر الشفاليه دي مازير

وانا المواطن بول .
— لشفائك .

فغص المنكود بالبكاء وقال : اورور اورور انهم قتلوها ثم سقط لا يعي بين أيدي بيبي وبنوات فقال : زباه انه قضى عليه او كاد الا انه استفاق بعد هنيهة ونظر الى بيبي وبنوات نظرة المؤنب وقال لهما : لماذا جئتما بي الى هنا ؟

فأجابه بنوات : اني مخبرك بذلك يا سيدي فقد كنت أشتغل في باريس منذ بضعة أشهر فمرضت ونقلوني الى المستشفى الذي كنت انت فيه فعرفتك ولما شفيت من مرضي التمست من المدير ان أذهب بك الى منزلي فأذن .

* * *

ويظهر ان التذكارات الماضية عادت اليه فجأة وعلم ان الشفاليه دي مازير نفسه والد اورور ، وذكر انه كان يدعي المواطن بول زعيم البوليس السري الهائل .

وقال لبنوات : نعم نعم اني أذكر ذلك .

فأكمل بنوات قائلاً : ففي ذات يوم لقيت بيبي وكان يعرفك فخطر لنا ان الأطباء قد يكونون مخطئين فيما زعموه من استحالة شفائك واننا اذا جئنا بك الى هنا فقد تشفى .

— ولكن لمن هذا القصر الآن .

فأجابه صوت من الخارج : لك يا سيدي .

وكان صاحب هذا الصوت كورتي فعرفه الشفاليه أيضاً .

– كيف يكون لي ألم يضبطوه في عهد الثورة .

– نعم يا سيدي ، ولكني اشتريته من الحكومة بثمن بخس وهو دائم لكم كما كان .

فنظر الشفاليه عند ذلك نظرة الى بيبي كأنه يقول له: أريد ان اختلي بك ففهم بيبي قصده وأشار الى بنوات وكورتي بالخروج فامتثلا .

ولما اختليا قال له الشفاليه :

– يظهر انك لا تزال صديقي فأخبرني بكل ما جرى منذ ذلك اليوم الهائل حيث ...

فقاطعه بيبي قائلاً : انك جننت كما قال لك بنوات .

– أكان ذلك من عهد طويل ؟

– منذ ثلاثة أعوام .

– ثلاثة أعوام . والجمهورية ماذا حدث بها .

– لا تزال قائمة .

– وروبسبيير ؟

– مات مع جميع أنصاره فمضى عهد المقصلة .

– وهذا الاحدب والمزارع أيعلمان شيئاً من أمري .

– اطمئن فانهما لا يعلمان شيئاً .

فوضع الشفاليه يده على جبينه وسال الدمع من خلال أصابعه فقال : اني كنت كثير الذنوب فعاقبني الله .

– ألعلك تبت الآن ؟

– توبة لا تنقض .

— اذن اصغي الي فاننا جئنا بك الى هنا بغية شفائك وقد شفيت بأذن الله ولكن لنا قصد آخر .

— ما هو هذا القصد ؟

— أتذكر تنوان النورية التي يدعونها المرأة الداهية .

فذعر الشفاليه لذكر اسمها وقال : ان هذه الشقية هي التي سرقت الصندوق وفيه ثروة إبنتي ثم تنهد تنهداً طويلاً وقال : ولكن الاموات لا يحتاجون الى مال .

— اذن أندع هذه السارقة المحتالة تتمتع بهذه الثروة وانت أحق بها .

— اي حاجة بقيت لي الى المال وبعد فمن يعلم اين هي تنوان وماذا أصابها ؟

— أنا أعلم وقد اقسمت يميناً محرجة على ان استرد هذا المال منها .

— ما الفائدة من ذلك وابنتي قد ماتت ؟

— أليس لك وريث آخر ألم يكن لابنتك اخت ؟

— نعم نعم كان لها أخت من امها كريتشن ولكنها قتلت أيضاً دون شك .

— كلا فانها لا تزال في قيد الحياة .

— اذا كان ذلك فسأكفر عن ذنوبي بأرجـــاع المال الى هذه الفتاة .

— ولكن ما حيلتك في استرجاعه .

— لا أعلم بعد غير اني ارجو ان يساعدني أحد .

– ربما قدرت انا ايضاً على مساعدتك .
– كيف ذلك .
– انك محتاج الآن الى الراحة فادخل الى غرفتك واجتهد ان تنام قليلاً وعندما تصحو نعود الى التحدث بتنوان .

فامتثل وكان التأثر قد أنهك قواه فنام ولكنه لم يطل رقاده فلما صحا وجد بيبي عند سريره فقال له : لقد نمت واسترحت ولست الآن بمجنون فأخبرني بما تعلمه عن تنوان .

فقص عليه بيبي جميع ما عرفه القراء من امر تنوان النورية وكيف انها أودعت المال عند ملك النور وانه يرد المال في الحال متى ثبت له أن وصية الاميرة هيلانة مزورة .

فقال له الشفاليه : ان تزويرها لا شك فيه .
– انت واثق مما تقول .
– كيف لا أكون واثقاً وانا الذى زورتها في ايام الضلالة حين كنت عازماً على سرقة هذا المال والزواج بتنوان .

اني اعلم ما تقوله غير ان كلامك اذا كان يقنع ملك النور فهو قد لا يقنع رجال مجلسه .

فغضب الشفاليه وقال : ما عليهم الا ان يجمعوني بهذه الافعى وانا أكرهها على الاقرار .
– ألديك رسالة بخط الاميرة الحقيقي ؟
– كلا .
– وتنوان ؟
– لا بد ان يكون لديها ولكنني لا اعلم اين .

فنادى عند ذلك بيبي الاحدب وقال له : لم يبق لنا بك حاجة هنا فيجب ان تذهب الى باريس فتعطي مونيتو ملك النور هذه الرسالة التي سأكتبها .

ثم جلس عند مائدة عليها أدوات الكتابة وكتب الى مونيتو ما يأتي :

« المجنون شفي أتم الشفاء وقد عادت اليه ذاكرته فأحضر حالاً واذا كان رجال مجلس شوراك قد حضروا فأحضروا جميعكم فان والد اورور يثبت لكم ان وصية الاميرة هيلانة مزورة » .

صديقك بيبي

فأخذ الاحدب الرسالة وبعد ساعة كان سائراً في طريق باريس .

ومضى النهار والشفاليه على أتم عقله وقد كان معتقداً ان ابنته اورور ماتت ولكنه كان يريد ان يعيش للعناية بأختها حنة فلم يشأ بيبي ان يخبره بأمر ابنته حذراً من ان يقتله السرور .

وقد نام تلك الليلة نوماً هادئاً وفي اليوم التالي قال لبيبي : أريد ان تصحبني فنتنزه في الغابات ؟ فوافقه بيبي على ما اراد وخرج الاثنان فلم يبرحا القصر الى الغابة حتى شعر الشفاليه بالتعب فقال : لو كانت عصاي معي اتوكأت عليها ولما شعرت بهذا التعب .

فقال له بيبي : انتظرني هنا الى ان اعود الى القصر وآتيك بها ثم تركه وانصرف عائداً الى القصر وبقي الشفاليه جالساً

على حجر ينتظره .
وفي خلال ذلك ظهر شبح كان يسير سيراً بطيئاً وهو قادم الى جهة الشفاليه فكان الشفاليه يتفرس به وهو بعيد عنه حتى اذا اقترب منه قال الشفاليه مندهشاً ماذا ارى أهل الاموات قد بمشوا ؟
وكذلك الشيخ فان انذهاله كان اشد فقال له : اما انت الشفاليه دي مازير قال : كما انك انت الاب جيروم .
وكان الشيخ الاب جيروم نفسه وسنقص على القراء كيف انه تجاسر على الظهور في النهاية وهو لم يكن يجسر على المجيء الى قصر بليارديز الا في ظلام الليل .

٢٦
الأب جيروم

إن الأب جـــيروم رئيس الدير الذي عرفه القراء في الجزء الاول كان قد اختبأ في قصر البلياردير في أول عهد الثورة وكان في مأمن من الثائرين لحب أهل القرية له حتى أنهم كانوا يرجون أن يتمكنوا من تهريبه .

غير أن نقمـة الثائرين على النبلاء زادت وعمت حتى باتت أشد منها على رجال الدين فقبضوا عليه يوماً وأركبوه في مركبة غـاصة بالرهبان إلى أورليان والقوه في سجن كان فيه كثير من الرهبان والنبلاء .

وكان القتل في الرين أبطأ مما كان عليه في باريس بحيث كانوا لا يقتلون أكثر من أثنين أو ثلاثة في اليوم فجـاءه السجان حين دخوله وقال له : لا تخف فان دورك لا يحين قبل ستة أسابيع .

ولم يكن السجن قاصراً على النبلاء والرهبان بل كان فيه أيضاً بعض اللصوص والقتلة وبينهم ثلاثة قتلوا جابي الحكومـة

وسلبو ما كان لديه من المال فحاكموهم وحكموا عليهم بالاعدام ومن غرائب الاتفاق أن أحدهم كان يشبه الاب جيروم بقامته وشكله وهو من أهالي قرية كانت تابعة لدير الاب جيروم فلما علم انهم حكموا عليه بالاعدام ورأى الأب جيروم جثا أمامه وسأله أن يباركه .

فتأثر الأب جيروم لنكبته ولم يقتصر على مباركته بل فعل أكثر من ذلك فقد كان لهذا اللص امرأة وبنون وكان لا ينفك عن أن يوصى بهم الأب جيروم فقال له بماذا أستطيع أن أفيدهم وأنا ذاهب مثلك إلى الموت .

أما اللص فانه جعل يبكي ويلثم طرف ثوب الاب جيروم ويذكر امرأته وأولاده بما يقطع القلوب اشفاقاً .

فرثي الاب جيروم لنكبته وقال له : لقد خطر لي يابني خاطر أرجو أن يكون فيه الخير لك .

قال : ما هو .

إنك تشبهني بعض الشبة بشعرك الأبيض وقامتك وملامح وجهك فلم يفهم اللص ما أراد .

فقال له الاب جيروم : إنهم لا يقتلونني قبل ستة أسابيع كما أخبرني السجان ومن يعلم ما يحدث في خلال هذه المدة فقد تفتح أبواب هذا السجن وتنتهي الثورة بل قد يحدث رد فعل في فرنسا

-- ان هذا لابد منه وأنا أضمن لك أنك تنجو .

--إذا كان ذلك فانت هو الذي ينجو .

فنظر اليه اللص نظرة بلاهة دون أن يفهم شيئاً من مراده

فابتسم رئيس الدير وقال له : اعطني ثيابك يابني وخـذ ثيابي وغداً عندما يدعونك الى الاعدام أذهب بدلك وأمـوت عنك داعياً لك أن تعيش سعيداً مع امرأتك وبنيك على أن تتوب ولا تعود إلى المآثم .

فانطرح اللص على قدميه ثم دبت الحمية في رأسه فأبى ولكن الاب جيروم تغلب عليه فتبودلت الثياب بينهما ولبس كل منهما ثوب الآخر .

وفي فجر اليوم التالي جاءوا باللصوص الثلاثة وبينهم الأب جيروم وقد أخفى وجهه ما استطاع وساروا بهـم في مـركبة مقفلة إلى ساحة الاعدام .

وكان اللصان ثابتي الجنان لم يرهبهما الموت فجعلا ينشدان وهما سائران إلى الموت نشيد المرسليز ويصيحان لتحيى الجمهـورية وليحى الشعب وتحمس الشعب لحماسة هؤلاء اللصوص وتحمس الحاكم لحماسة الشعب فجاء باللصوص وبينهم الاب جيروم وقـال لهم إنكم مازلتم تقدمون على الموت وأنتم تدعون للجمهورية فـان الجمهورية تعفو عنكم ثم أمر بحل وثاقهم وأطلق سراحهم

وقد كانت دهشة الأب جيروم عظيمة لنجاته من الموت بهذا الاتفاق فذهب واختبأ في المدينه بضعة أشهـر أمـا ذلك اللص الذي حل الاب جيروم محله فقد أدركت الحكومة خطأها في اليوم التالي فعفت عنه كما عفت عن رفيقيه اللصين .

وعاد الاب جيروم بعد ذلك إلى قصر بلياردير وباح بامره للمزارع كـورتي فـاختبأ في غـابات أورليان المتسعة فكان لا

يخــرج إلا في الليل لالتماس الطعــام من القصــر ففي اليوم الذي بطلت فيه المقصلة ومضى عهــد روبسبيير أخبر كــورتي الاب جيروم بما اتفق وأنه لم يبق خوف عليه ودعاه إلى الاقامة معه في القصر ولكن الاب جيروم جمع أمــوال الدير فوضعهــا في صندوق ودفنه في الغابة التي كان مختبئاً فيها .

وكان جميع رهبان ذلك الدير تفرقوا فبعضهم قتلوا وبعضهم هربوا فتمكن الاب جيروم بواسطة كورتي من الانصال ببعض الهاربين فجاءوا اليه متنكرين وجعلوا ينقلون الاموال تباعاً إلى بيامونت فبقى الاب جيروم مختبئاً إلى أن تم نقل جميع الاموال أما الآن وقد نقلت جميعها فلم يعد في حاجة إلى الاختباء .

ولنعد الآن اليه وإلى الشفاليه فانهما حين اجتمعا قال له الاب جيروم أأنت باق على قيد الحياه ؟ .

— إني لا أزال حياً مثلك كما تراني ثم ركع أمامه وقــال له بصوت يضطرب : إني كنت ياأبي من كبار المجرمين ولكني تبت توبة صادقة

— إني أرجو أن تكون توبتك صــادقة كما تقول وأسأل لك عفو الله .

. وأدرك الشفاليه من لهجة الأب جيروم أنه لم يصدقه فقال له أرى أنك لا تزال مشككا بتوبتي ولكن ثق أن توبتي معادلة لآثامي فان الله قد عاقبني على هذه الآثام أشــد عقــاب ففتح في قلبي باب التوبة وأنا الآن أسألك باسم ابنتي الميتة أن تغفر لي وتصفح عن زلاتي .

– إني اغفر لك يا بني ولكنني لا أسامحـــك باسم ابنتك الميتة .

– لمـــاذا ؟

– لأن ابنتك لم تمت كما تتوهم وهي على قيد الحياة .

فصاح الشفاليه صيحة هائلة ونظر إلى الأب جيروم نظرة أرعبته وقال له : أتقول أن ابنتي على قيد الحياة ؟

– دون شك .

فصاح الشفاليه صيحة أشد من الأولى ثم صعق وسقط على الأرض وهو ينادي : أورور .

وعند ذلك عـاد بيبي من القصر بعصا الشفاليه فوجـــده صريعاً فقال للاب جيروم : رباه ماذا أصابه وماذا قلت له .

– أقلت له أنها على قيد الحياة – نعم .

فـاضطرب بيبي اضطراباً شـديداً وقـال له : انك قتلته ياسيدي وأنت تحسب أنك تحسن اليه وربما كان موته داعياً إلى دمار أورور وحنه .

فركع الاب جيروم ووضع يديه على جبينه وجعل يصلي اما بيبي فانه بذل جهده في سبيل ارجاع الشفاليه إلى هداه ولكن الشفاليه كان قد مات فقتله الفرح كما توقعه ملك النور .

***

ولنعد الآن إلى باريس قبل أن يصل اليها بنوات الأحـدب فنرى ما كان من نيشات وتنوان وملك النور وبوليت .

إن الخطة التي وضعها بيبي قبل سفره بالشفاليه نفذت بتمامها فان مونيتو كان يذهب في كل يوم تقريباً إلى منزل تنوان ويتظاهر بتفانيه في غرام البومة فتزيد البومة تظاهراً بالفضيلة وكانت تقول له حين يغازلها انك أرمل وأنا ابنة شريفة طاهرة فتزوج بي فيجيبها اني لا أرجع عن هذا القصد وسأتمه دون شك متى سافرنا إلى المانيا ثم يعلل عدم سفره بأن مدام تاليان تريد أن تشتري منه كثيراً من الجوهرات والمخابرة دائرة بينهما فتحول دون السفر .

أما بوليت فان وجوده في منزل تنوان مع نيشات أهاج فيها عوامل الخوف فان بوليت كان فتى جميلاً فخشيت أن تحبه نيشات فتفسد مشروعها .

ولذلك نادته يوماً وقالت له : أما مللت الاقامة في باريس يابوليت .

— لماذا تقولين لي هذا القول العل وجودي فيها يثقل عليك

— هو ذاك فان عندي الآن فتاة لي بها مأرب ولا يوافق بقاؤك عندي في هذه الظروف فخذ ما تحتاج اليه من المال وتنزه بضعة أسابيع خارج باريس .

— سأمتثل لأمرك ولا أحضر إلى منزلك ولا أحب إلي من رضاك ولكني لا أستطيع مبارحة باريس .

— لماذا ؟

وكان بوليت قد أدرك السبب في خوفها فقال لها ذلك لأني علقت بحب فتاة من العاملات ملكت شغافي فلا أستطيع فراقها

فتنفست تنوان الصعداء وقد ذهب خوفها فاعطيته مبلغاً من المال وأذنت له بالبقاء في باريس على ألا يحضر الى منزلها قبل أن تدعوه فامتثل بوليت بالظاهر ولكنه كان يزور نيشات كل ليلة فيدخل اليها متلصصاً من باب الحديقة .

وأما ملك النور فقد تظاهر أنه استرسل إلى غرامه فلم يعد يباحث تنوان بشيء مما أتى لأجله ولا يحدثها إلا بزواجه في المستقبل بنيشات والسفر جميعاً إلى المانيا لعقد ذلك الزواج .

وكان جميع ذلك داعياً تنوان إلى الاطمئنان غير أنها لم تكن مطمئنة وقد خلت بها ليلة نيشات فقالت لها مالي أراك قلقة مضطربة وأنت ترين أني قد صيرت مونيتو عبداً لي ؟

— هو ذاك ولكني لا أزال أخاف بيبي .

— ولكنه برح باريس كما أخبرك جواسيسك .

— إذا كان قد برحها فانه يستطيع العودة اليها .

وماذا تخافين من رجوعه فاننا نكون قد سافرنا الى ألمانيا

اصغي إلي يابنتي فاني أعرف مونيتو حق العرفان فهو لا يؤثر عليه بيبي إذا لقيه ولا يغير معتقده احتجاج اوررور واختها وزوجاهما فلا يؤثر عليه غير البراهين .

— ولكن لا يوجد براهين فمما تخافين ؟

— انك منخدعة فان الوصية مزورة ويكفي إيجاد سطر واحد من خط الأميرة هيلانة لاظهار تزويرها .

ولكن هذا الخط غير موجود .

— بل اني اعتقد انه يوجد كثير من الرسائل بخطها .

– أتظنين أن بيبي عثر عليها .

– كلا ولكنه يبحث عنها دون شك فأخاف أن يجدها فانه احذق رجل عرفته من رجال البوليس .

– وإذا كانت هذه الرسائل موجودة كما تقولين فأين يجدها

– اني سابوح لك بسري لوثوقي من ذكائـك واخـلاصك فاعلمي ان الاميرة هيلانة اقامت مده طويلة في قصر قريب من الدير وكنت انا والكونتيس دي‌مازير مقيمين معها واني اذكر ان الكونتيس كانت شديدة الاهتمام بامر فقد كانت تقول انه لابد من وجود صندوق صغير يتضمن المراسلات التي تبودلت بين الأميرة وسلفتها الكونتيس دي مـاريز وكانت هـذه الامـيرة تكتب باللغة الفرنسية كامهر كتابها ولها ولع بما تكتبه ولابد ان تكون احتفظت بتلك الرسائل .

اما انا فاني لم اهتم في ذلك العهد بهذه الرسائل ولا باهـتمام الكونتيس بايجادها ولكنني كنت ولا ازال واثقة من وجودها واعتقادي الآن انها مخبأة في مكان خفي في ذلك القصر .

فقالت لها نيشات : وهل هذا القصر موجود الآن ؟

– انه لا يزال على ما كان عليه .

– ومن يمتلكه .

– ان الحكومة ضبطته في عهد الثورة وباعته لصراف الماني قتل بعد شرائه بشهرين ثم انتقل القصر من مالك الى مالك وهو الان معروض للبيع بالمزاد .

– اذن يجب ان نشتريه فنبحث فيه عن الرسائل ونحرقهـا

متي وجدناها .

– لقد خطر لي ذلك ولكن تحول دون قصدي مشكلة .

– ما هي ؟

– ان هذا القصر يبلغ ثمنه نصف مليون على الاقل .

– اتعدين هذا من المشاكل على غناك

– اني وافرة الغنى ولكن جميع مالي مودوع عند مونتينو وهو لا يدفع لي غير الايراد .

– اذن انت محتاجة الى شيء من الرأسمال ؟

– هو ذاك .

– لا تخشي فساكره مونيتو على ان يدفع لك ما تحتاجين اليه

– بل انه سيشتري القصر باسمك وسوف ترين .

فعانقتها تنوان وقالت لها : لا اشك انك ملاك .

فضحكت نيشات وقالت لها : بل انا شيطان رجيم والآن اسمحي لي بالانصراف للرقاد وغداً يكون ما تريدين .

ثم افترقتا فدخلت نيشات الى غرفتها حيث كان ينتظرها بوليت حسب العادة فلما لقيها قال لها : لقد سئمت الانتظار فاني انتظرك منذ ساعتين .

قالت ليس الذنب ذنبي فان تنوان اعاقتني .

– لماذا مع ان النوري قد انصرف منذ ساعة .

– هو ذلك ولكن كنا نتحدث .

– بماذا ؟ – بامور كثيرة .

وقد ظهر من نيشات انها لا تريد الزيادة في الايضاح فنظر

اليها بوليت نظرة الفاحص وقال لها: انك تكذبين وانك تريدين اخفاء الحقيقة عني فقولي لي الحقيقة او اذهب في الحال.

— ولكن ماذا تريد ان اقول لك ؟

— اريد ان اعلم بماذا كنتما تتحدثان .

— اذن فاعلم ان تنوان تريد مغادرة المنزل والاقامة في قصر في شارع الدير

— لماذا ؟

— لان هذا القصر الجديد كانت تقيم فيه الاميرة ميلانة وثمن هذا القصر نصف مليون فمهدت الى ان التمس لها مـــن ملك النور هذا المبلغ .

فاكتفى بوليت بماعلمه وجعل يحادثها بامور مختلفة .

وفي صباح اليوم التالي قرع بوليت باب مونيتو وهو لا يزال نائماً فدخل اليه وقال له : الديك كثير من المال ؟

— اني احصل على المال متى شئت .

— كيف ذلك اتكتب الى المانيا ؟

—كلا بل اقطع زراً من ازرار ثوبي .

— العل هذه الازرار من الذهب ؟

— كلا بل هي من الماس وهي مستترة بالقماش ولكن لماذا تسألني اذا كان لدي كثيراً من المال ؟

— لان نيشات ستطلب منك غداً مبلغاً عظيما .

فضحك مونيتو وقال : اني لم ارى بعد اشد طمعاً من هذه الفتاة قال ولكنها لا تطلب المال هذه المرة لها بل لتنوان .

— اني اعطيتها منذ خمسة ايام مائة الف فرنك .

ـ والان هي محتاجة الى نصف مليون لشراء قصر في شارع الدير كانت تقيم فيه الاميرة هيلانة . افهمت الآن ؟

ـ كلا لم افهم شيئاً .

ـ ولكنك تعلم انه لو كان لدينا رسالة من خط الاميرة لقابلنا به خط الوصية واتضح التزوير

ـ نعم ولكن اين هذه الرسالة ؟

ـ ان نيشات لم تقل لي شيئاً عنها وربما كانت غير عالمة بأمرها ولكن ربما كانت تنوان تحذر منها فلم تخبرها وعندي انها لا تريد شراء هذا القصر الا لاعتقادها بوجود رسائل مخبوءة فيه من خط الاميرة ولخوفها من أن يعثر بيبي بهذه الرسائل .

ـ وما الذي يحملك على هذه الظنون ؟

ـ اني ذهبت اليوم الى هذا القصر الذي تريد ان تشتريه فوجدته معروضاً حقيقة للبيع ولكن منزلها الذي تقيم فيه الآن خير منه والفرق بينهما بعيد فلماذا تريد استبداله اذا لم يكن لهاذا الغرض ام سواه ؟

ـ بل يجب ان تدفع .

ـ اني لم افهم قصدك .

ـ كيف ذلك ألا يهمنا نحن ايضاً الحصول على هذه الاوراق

ـ دون شك .

ـ فاذا اشترت تنوان القصر تجد الاوراق وتحرقها .

ـ كلا بل نحن نجدها .

— كيف ذلك .

— العلك نسيت اني عشيق نيشات ؟

— كلا ولكن نصف مليون فرنك مبلغاً جسيما .

— اراك لم تستجمع هداك اليوم بعد اذ لست اراك على ما عهدته فيك من توقد الذهن فاعلم انه لابد لك من احد امرين وهو اما ان ترد المال لاصحابه او تبقيه لتنوان .

— هذا اكيد .

— فاذا ابقيت المال لتنوان فأي خسارة من ان يستبدل المال بارض صالحة واذا ارجعته الى الكونتس اورور واختها فهما لا ترفضان هذا القصر .

— لقد اصبت كل الاصابة فان ذلك لم يخطر في بالي .

وعند ذلك طرق الباب ففتح بوليت وكان الداخل بنوات وهو يلهث من التعب فاعطى مونيتو الرسالة وقال له : اني لم آكل ولم انم بعد منذ خروجي من القرية .

ففتح مونيتو رسالة بيبي وعلم منها ان الشفاليه دي مازير قد عاد اليه صوابه فقال: يسرني ان يتم شفاؤه كاتوقعت ولكن الرجلين اللذين انتظرهما لم يحضرا بعد ولا بد لي من انتظارهما ثلاثة او اربعة ايام ثم التفت الى بوليت وقال له : وفوق ذلك فان لنا ما نعمله هنا .

فقال الاحدب : ولكني ارى ان ما يطلبه بيبي في غاية الخطورة فأجابه مونيتو: وانا واثق من ذلك غير اني لا استطيع السفر قبل حضور الرجلين اذ لايسعني ان اجزم بالامر وحدي.

— الاحدب : اذن اعود الى القرية واحضر بالشفاليه وبيبي

— عد الى القرية ولكن لا تدعوهما الى الحضور فان الشفاليه قد يعود اليه الجنون اذا عاد الى باريس .

— ولكن متى تحضر .

— قريباً ثم اخذ القلم وكتب الى بيبي ما يأتي :

(اسألك الصبر قليلا فان الرجلين لم يحضرا بعد وحين حضورهما اسرع الى موافاتكم فاطمئن فاننا لا نضيع الوقت عبثاً انا وبوليت)

مونيتو .

واعطاه الرسالة وقال له : عد بها الى بيبي .

فقال له الاحدب ولكن التعب انهك قواي ولا بد لي من الرقاد .

— والطعام ايضاً ؟

— كلا فان النوم يغلب الجوع ثم انطرح بثيابه على سرير مونيتو ونام .

وفي المساء سافر بالرسالة ولكنه لم يتوسط الطريق ويقف في موقف مركبات البريد حتى ذهل ذهولا عظيما اذ رأى مركبة الاب جيروم وبيبي واقفة فدخل اليهما وقال لبيبي: اين الشفاليه

— لقد مات رحمه الله .

واطرق الاب جيروم رأسه الى الارض اطراق الاسف وقال : انا الذي قتلته .

فزعر بنوات لهذا النبأ المفجع لاعتقاده ان تزوير الوصية

لا يثبت الا باقرار من الشفاليه ودفع الرسالة لبيبي .

فلما اطلع عليها قال: اني اعتمد كل الاعتماد على بوليت فهو الذي يستطيع الآن بمساعدة نيشات على ايجاد البراهين على تزوير الوصية وعند ذلك واصلو السير عائدين الى باريس وعاد معهم الاحدب .

* * *

بعد ذلك بثلاثة ايام كان بيبي في باريس وكان مونيتو قد وعد تنوان بان يدفع لها ثمن القصر .

وقد كان هذا القصر قديم البناء لا يدل على الابهة ولكنه كان محاطاً بارض متسعة غرست فيها الاشجار على اختلافها.

ففي اليوم الذي عين بيعه بالمزاد كان بيبي وبوليت يسيران في شارع الدير وقال بيبي لرفيقه انه لو كان عندي نصف مليون فرنك لكنت انا الذي اشتري هذا القصر — لماذا .

— لابحث فيه عن الرسائل بنفسي .

ـ العلك تخشى ان تجدها تنوان فتمزقها ؟

— هو ذاك .

— اطمئن فاني ساهر عليها .

— انك تراقبها في الليل ؟

ـ وفي النهار ايضاً .

ـ كيف ذلك ؟

فابتسم بوليت وقال : اني لا ازورها لا في الليل ولا في

النهار ولكني اكون في القصر .

ـ اني لم افهم ما تريد .

ـ ان بنوات الاحدب اخبرك مراراً كيف انني تعرفت به وبالاختين في الخمارة ؟

ـ اذكر ذلك .

ـ اذن تذكر صاحب تلك الخمارة الذي جاء بالاختين الى اخت امرأته الغسالة .

ـ اذكر كل ذلك ولكني لم اعلم ما تريد .

ـ اريد ان كوكليس صاحب الخمارة الذي يحب الاختين اصدق حب هو بواب القصر الذي ستشتريه .

ـ احق ما تقول ؟

ـ نعم وقد تغيرت تغيراً عظيما حتى انه لم يعرفني فقلت له اني سكرتير رجل واسع الثروة وسأجيء به لزيارة هذا القصر فاذا اعجبه اشتراه .

ـ اذن اكون انا ذلك الرجل الغني .

ـ دون شك .

فابتسم بيبي وواصل السير حتى وصلا الى ذلك القصر فوجدا كوكليس جالساً عند بابه فقال له بوليت لقد اتيت بالرجل الذي اخبرتك عنه .

فحيا كوكليس بيبي ولم يعرفه مع انه كان قد رآه مرة عند الغسالة في باريس .

فسأل بوليت كوكليس قائلا : أأنت وحدك ؟

– نعم يا سيدي فان امرأتي ذهبت مع اختها حين اتت لزيارتها وهي ستعود قريباً .

فقال له بيبي : اتزورها دائماً اختها ؟

فعجب كوكليس لسؤاله وقال نعم .

– لا تعجب لسؤالي عن اخت امرأتك فاننا نعرفها حق المعرفة فزاد انذهال كوكليس وقال : اني حين رأيتك جعلت امعن فيك النظر لوثوقي اني رأيتك مرة ولكني لا اعلم اين .

فضحك بوليت ذلك الضحك القديم الذي كان يضحكه حين كان شريداً لصاً سكيراً بحيث عادت اليه هيأته القديمه فعرفه كوكليس وقال له منذ هلا : الست بوليت ؟

– انا هو ايها الصديق ولو لم أضحك ذلك الضحك القديم لما عرفتني .

– لقد صدقت ولكن ماذا تريد مني الآن الملك قادم للانتقام مني ؟

فمد اليه بوليت يده وقال معاذ الله أن اريد لك شراً بل اتيت لمحادثتك .

فقال له بيبي : ان أخت امرأتك لا بد ان تكون قد تكلمت امامك عني .

– عنك انت ؟

– نعم فأني ادعى بيبي ؟

– أنت هو بيبي ؟

– نعم بعينه .

وعند ذلك اتت الغسالة وأختها وكانت قد سمعت اسم بيبي فجعلت تنظر اليه ولكن بيبي كان يتنكر حين يكون في باريس بحيث لم تعرفه الغسالة فقالت له : العلك تعرف بيبي يا سيدي .

ـ أنا هو ثم ابتسم وأزاح نظارتيه عن عينيه ونزع الشعر المستعار الذي كان يلبسه فعرفته الغسالة وسرت به سروراً عظيما وحكت لزوج اختها ما صنعه بيبي وبوليت في سبيل الاختين حتى اذا اتمت حديثها قال بيبي لكوكليس : اننا الآن محتاجون اليك يا كوكليس فقل لي ألا تزال تحب الاختين كما كنت تحبها من قبل قال نعم غير أنهما لاتحتاجان الينا الآن فانهما متزوجتان سعيدتان .

ـ ولكنهما لا تزالان محتاجين اليك .

ـ بماذا ؟

ـ ان ثروتهما قد سرقت في زمن الثورة ولكن اتعلم اين هي هذه الثروة ؟

ـ كيف اعلم .

ـ انها مخبؤة في هذا القصر وعند ذلك اخبره بايجاز ان هذا القصر كانت تسكنه عائلة اورور وحنة .

ـ اذن أن المال مخبؤ فيه .

ـ نعم .

ـ ولكن سيباع ؟

ـ أني اعرف ذلك بل اعرف الذي سيشتريه .

ـ العلك انت ؟

ـ كلا فاني لست من الاغنياء ولكن الذي سيشتري القصر هو سارق الثروة نفسه ويجب أن أراقبه في كل حين افهمت الآن قال : كلا .

ـ مع ان الامر بسيط فان لك اخاً .

ـ انك مخطىء فليس لي أخ .

ـ بل أنت المخطىء فان لك اخا جاء من الريف الى باريس ويود ان يعين خادم غرفة في احد القصور .

ـ وهذا الاخ ؟

ـ هو انا وسأقيم في ضيافتك الى ان اجد منزلا اخدم فيه قال لقد فهمت الآن .

إذن فاعلم الآن اني اشتغل في الحدائق والمطابخ وكل حاجات المنازل عند الاقتضاء وسأبقى في ضيافتك وربما استخدمت في هذا القصر ايضاً .

فتداخلت الغسالة في الامر وقالت لصهرها :ان بيبي رجل فاضل وهو يحب الاختين حباً صادقا فأجبه الى سؤاله .

فقال لها بيبي عند ذلك : وانت لا يجب ان تحضري بعد الآن الى هذا القصر .

فعجبت الغسالة وقالت له : لماذا ؟

ـ ألا تذكرين البومه التي كانت بخدمتك ؟

ـ كيف لا اذكر هـــذه الشقية وقد حاولت ارسال زوجي الى الاعدام .

ـ اتعلمين ماذا جرى لها : انها اصبحت الآن مـــن كبار

السيدات وهي صديقة المرأة التي ستشتري هذا القصر ولذلك يجب ان لا تراك هنا فاذا رأتك اساءت الظن بنا جميعاً وحملت صديقتها على طردنا .

وعند ذلك ودعهم بيبي على ان يعود في المساء فيبقي بضيافة كوكليس وذهب مع بوليت فقال له بوليت : انك تخاطر مخاطرة عظيمة باقامتك في هذا المنزل الاتخاف ان تعرفك تنوان

— اعرفتني في حديقة تيفولي حينما عرفتني بها فتعرفني الان

ثم ذهب الاثنان الى قهوة كان وعدهما ملك النور على الاجتماع فيها

٢٧

تنوان ونيشات

وفي اليوم التالي وهو يوم بيع القصر بالمزاد نهضت تنوان من رقادها وهي قلقة مضطربة فاجتمعت مع نيشات وقالت لها : اني موجسة خوفاً من بيبي واخشى ان يكون خطر له نفس خاطري .

قالت اي خاطر تعنين ؟

قالت اخشى انه يحاول شراء القصر .

فضحكت نيشات وقالت : اولا ان بيبي لديه دراهم .

– والآخرون ؟

والآخرون مثله فان الكونت دي مازير يعيش في فينا مما يتكرم عليه به الامبراطور والجنرال داغوبير ليس له غير راتبة وهو لا يكاد يكفيه .

– اتظنين ان من يشتري القصر يدفع قيمته على الفور ؟

– اذن متى يدفع ؟

– انه يدفع في البدء عشرين الف فرنك رسم النفقات وبعد

اربعة اشهر يدفع الثمن كله وهذه المدة تكفيه للتفتيش والعثور على الرسائل ثم أخبرك انه يجب الحذر من مونيتو فانه مهما بلغ من غرامه بك وتدلهه بهواك فانه في موقف الاعمال ينسى كل غرام .

– اتظنين ذلك يا اماه .

– بل اؤكده فقد راقبته مرات كثيرة وهو يجالسنا ويفرط في الشراب حتى نحسبه نشواناً يكاد يسقط لسكره ولكني كنت ارى في خلال نظراته بريقاً سريعاً يشف عن التهكم .

– اني لم ار شيئاً من ذلك .

– اما انا فقد رأيت وقد ساورني من ذلك الحين شك هائل.

– وبماذا تشككين ؟

– بان مونيتو يهزأ بنا ونحن نحسب اننا نهزأ به وعندي انه متفق بالسر مع بيبي ولذلك اخشى أني إذا بالغت بالزيادة في ثمن القصر حين بيعه بالمزاد ان يشك مونيتو بقصدي .

– ولكن لابد من شرائه فماذا تصنعين ؟

فلم تجبها تنوان بشيء ولكنها طلبت ان تعدلها مركبتها فركبت بها وسارت وحدها الى المحكمة التي تجري فيها المزايدة فلقيت مونيتو يسير ذهاباً واياباً قرب بابها فساعدها على النزول من المركبة وقال لها : ارى انك مخطئة في شراء هذا القصر فقد رأيته وهو يكاد يتداعى لتقادم عهده .

– ولكني اصلحه .

– اظن انه يوجد من يزاحمك على شرائه وعندي انك

تحسنين صنماً اذا هدمته وبنيت سواه في وسط حديقته المتسعة

– ربما عملت برأيك ثم دخلت وإياه الى قاعة المحكمة فأجالت نظرها في الحضور فلم تجد بيبي .

وعندذلك بدأ المزاد فرسا على تنوان بقيمة أربعمائة وعشرين الف فرنك .

وقد سرت تنوان سروراً عظيماً لايوصف فركبت مركبتها وعادت مسرعة الى نيشات فقالت لها : لقد أخطأت بخوفي من بيبي فاني لم أجد له أثراً .

– متى نقيم في هذا القصر الجديد ؟

– منذ غد .

– ولكنه خال من الاثاث .

– إننا نستطيع فرشه في يوم .

– ولكن ألا تخشين أن تولدي الشك فى نفس مونيتو ؟

– إني اذا وجدت الرسائل وأحرقتها لا أبالي به فانه اذا كان له كل الثقة من اني سرقت المال لا يرده الى أصحابه إلا بالبرهان الحسي .

– أرى ان مونيتو لم يقابل بيبي في فينا .

– هذا ممكن .

– ثم أن بيبي محكوم عليه فهو لا يجسر على العودة الى باريس

فوافقتها تنوان على قولها فانها بعد ان اشترت القصر ولم تجد من يزاحمها فيه زالت شكوكها وأرادت ان تتفقد القصر فذهبت اليه وصحبت معها هذه المرة نيشات .

فلما وصلت اليه استقبلها كوكليس البواب وبيبي متنكراً وامرأة كوكليس فقالت لهم : أتعلمون اني اشتريت هذا القصر؟

فانحنى كوكليس بملء الاحترام وقال : نعم يا سيدتي .

اذا شئتم ان ابقيكم في خدمتي فاعلموا انه يجب عليكم ان تطيعوني طاعة لا حد لها .

اننا نرجو ان تكوني راضيـــة عنا فلا ندخر وسعاً في سبيل رضاك .

فنظرت تنوان الى بيبي وكان واقفاً بجانب كوكليس وهو متنكراً أتم التنكر فقالت له : ماذا تدعى ؟

– بنيامين .

– ماذا تعمل هنا ؟

– اني في ضيافة أخي الى ان أجد محلا أرزق منه فاني أصلح لخدمة البيوت .

– إني أتخذك لخدمتي .

فانحنى بيبي شاكراً ومشى امامها وأمام نيشات وأخذ يفتح لهما أبواب غرف القصر فكانت نيشات تفحص هذه الغرف فحصاً مدققاً وتقول لتنوان : اني لا أجد فيه غرفاً سرية .

– لا بد ان يوجد فيه محلات خفية سنجدها بعد البحث .

وما زالتا تسيران من غرفة الى غرفة حتى انتهتا الى غرفة متسعة فقالت لها تنوان : هذه هي الغرفة التي كانت تقيم فيها الاميرة هيلانة .

– إذن ستكون غرفتي اذا أذنت .

— ليكن .

فقالت نيشات في نفسها : انها غرفة صالحة لاقامتي ولكن كيف يدخل إلي بوليت ، ثم انصرفت الى التفكير بعشيقها ولم تعد تكترث لحديث تنوان .

وبعد ساعة خرجتا الى المركبة فشيعهما بيبي الى الباب وهو يقول في نفسه : انها لم تعرفني فسأقيم في منزلها اقامة الذئب بين الغنم .

* * *

بعد ذلك بثمانية أيام أقامت تنوان ونيشات في ذلك القصر الذي كانت تقيم فيه الاميرة هيلانة .

ولم يتغير شيء فان مونيتو كان يزورهما في كل ليلة ويتفنن في إظهار غرامه بنيشات وبوليت يزورها بعد انصرافه فيدخله كوكليس وأما بيبي فكان متنكراً باسم بنيامين وكان يخدم تنوان خدمات جليلة حتى باتت راضية عنه أتم الرضى .

فبعد ذلك بثمانية أيام كان ثلاثة مجتمعين في مقهى قرب قصر تنوان يتشاورون وهم مونيتو وبيبي وبوليت فقال بيبي : اننا الى الآن لم نصنع شيئاً .

فأجابه مونيتو : وأنا يسؤني ان نضيع الوقت عبثاً فاني مضطر ان أعود الى فينا .

فقال بوليت : ان تنوان تبحث كل يوم ولكنها لم تجد شيئاً الى الآن حتى بت أعتقد انه لا يوجد رسائل .

فقال بيبي : أما انا فاني أعتقد بوجودها .

فقال مونيتو : ما يحملك على هذا الاعتقاد ؟

— ذلك اني بصفتي خادماً في منزل تنوان يحق لي ان استرق الاسرار واسمع من خلال الابواب وقد سمعت حديثاً بين تنوان ونيشات أيد معتقدي وهو ان تنوان كانت تقول لنيشات اني عشت دهراً طويلاً في هذا القصر مع الاميره وكنت مشككة بوجود مراسلاتها فيه أما الآن فقد بت واثقة من وجودها ولا بد من ايجادها واحراقها .

فقالت لها نيشات : ولكننا نبحث عنها منذ ثمانية ايام ولا نجدها قالت : ولكن يجب ان نجدها .

فضحكت نيشات وقالت : ولكننا اذا لم نجدهـا نحن لا يجدها سوانا فأي خوف منها ؟

— هو ذاك ولكني أريد ان أكون مطمئنة البال .

فقاطعه مونيتو قائلاً : ان كل ما قلتـه الى الآن لا يبرهن على شيء .

— مهلاً فلم أتم حديثي بعد فاني استنتجت من محادثة تنوان ونيشات ان الاميرة هيلانة كانت هائمـة بزوجها الكونت دي مازير وكانت تراسله كل اسبوع فلمـا علمت بولادة كريتشن وخيانته لها استرجعت منه كل الرسائل التي كتبتها اليه وحاولت في البدء احراقها ولكنها رجعت عن ذلك القصد وجعلت تقرأها رسالة رسالة مرات كثيرة ثم وضعتها في صندوق ولكن تنوان لا تعلم اين وضعت الاميرة ذلك الصندوق وانما أبقت تلك الرسائل

لانها كانت معجبة بأنشائها .

فقال له مونيتو : ان كل ما قلته ممكن الحدوث ولكن أين نجد هذه الرسائل ؟

ـ ان تنوان تعتقد انها مدفونة تحت شجرة من اشجار البستان .

فضحك مونيتو وقال : اذا كان ذلك فان وجودها محال فاني ما رأيت أعظم اتساعاً من هـذا البستان ولا اكثر منه اشجاراً فكيف يخطر لك ان امرأتين تستطيعان حفر جميع ذلك البستان والتفتيش عن الرسائل فيه .

ـ ليس هما اللتان تفتشان بل نحن .

ـ كيف ذلك ؟

ـ لدي رأي لا فائدة من ابداله الآن ولكن هذه الرسائل اذا كانت موجودة حقيقة فنحن الذين نجدها ولا أحتاج في ذلك إلا الى بوليت .

ـ افعل ما تشاء فثقتي بك عظيمة .

فشكره بيبي وقال له : ربما أتيتك غداً بأمور جديدة ، ثم تركه وانصرف مع بوليت .

فقال له وهم على الطريق : إني سأغير تعليماتك .

ـ كيف ذلك ؟

ـ انك الى الآن لم تطلب شيئاً الى نيشات .

ـ كلا .

ـ وانك تجد الامور الطبيعية في اقامتها مع تنوان في هذا

القصر الجديد .

— دون شك .

— ألم تقل لك كلمة عن الرسائل ؟

— كيف أقول لها وانت قد منعتني ؟

— اذن يجب الآن ان تجري على العكس فان لك سلطة على نيشات تستطيع بها الوثوق من كتمانها لسرك .

— ذلك لا ريب فيه .

— ويجب في هذه الليلة ان تخبرك بسر تنوان .

— انها ستخبرني بكل ما أريد معرفته ولكني لم اعلم الفائدة من ذلك ونحن واقفون على هذا السر .

الفائدة منـه انها حين تخبرك بسر الرسائل قل لها انك تعلم اين هي موجودة ؟

اني مخبرك بما لم اخبر به مونيتو فقـد خيل لي اني عرفت المكان الذي دفنت فيـه الاميرة هذه الاوراق بما اكتسبته من الخبرة في اشتغالي بأعمال البوليس فاني دخلت امس الى غرفة الاميرة هيلانة بينما كانت تنوان ونيشات على المائدة فقلت في نفسي : انه اذا كان الصندوق مدفوناً حقيقة في الحديقة فسأعلم موضعه من وقوفي في النافذة المشرفة عليها فان من أراد ان يخبىء شيئاً على هذه الصورة يرى للفور المحل الموافق لاخفاء وديعته حين أطلاله من النافذة ويندر ان تختلف الانظار في مثل هـذه الشؤون وليست هي المرة الاولى التي اتفق لرجال البوليس هذا الاتفـاق تمعن في تأويل هذه الاعجوبة كما تشاء ولكني أرجو

ان يكون ظني صادقاً .

فقال له بلهجة المشكك : اذن قد وجدت موضع الرسائل .

– هذا ما لاح لي وسوف ترى ، والآن فاعلم اني داخل الى القصر من بابه الكبير فسر انت في الطريق العادي وادخل الى البستان .

أاراك فيه ؟

– دون شك وسأرشدك الى الموضع الذي أعتقد ان الرسائل مدفونة فيه .

وعند ذلك افترقا فدخل بيبي الى القصر وبعد ربع ساعة فتح كوكليس الباب لبوليت وأدخله الى البستان فدله على صف من الاشجار فقال له : سر في هذه الطريق فان بيبي ينتظرك في آخره .

فامتثل بوليت ونظر الى القصر فرأى الظلمات محدقة به ما خلا نافذة كان النور لا يزال مضيئاً فيها فقال في نفسه : ان نيشات تنتظرني .

وكان بيبي ينتظره فلما وصل اليه قال له : خفف الوطىء ما استطعت وسار به الى شجرة باسقة فوقف عندها فقال له مشيراً الى القصر : أنظر ألا ترى نوراً في هذه الغرفة ؟

– نعم وهي غرفة نيشات .

– وهي الغرفة التي كانت تقيم فيها الاميرة هيلانة فاذا نظرت من تلك النافذة التي ينبعث منها النور فانك ترى هذه الشجرة التي نحن تحتها قبل كل الاشجار وعندي ان الاميرة اذا

كانت قد دفنت الرسائل تحت شجرة فهي قد دفنتها دون شك تحت هذه الشجرة التي كانت اول ما يستقر عليه نظرها وهي جالسه عند نافذتها وقد تردد في فكري هذا الخاطر .

– اذا كان هذا معتقدك فلا أسهل من ان آتي بآ لة فأنبش فيها الارض ولا نكون في حاجة الى نيشات .

– بل بالعكس .

– انك هذه الليلة محاط بالالغاز فاني لا أفهم شيئاً مما تقول.

– اصغ الي اننا نبحث عن الرسائل أتعلم لماذا ؟

– لنظهر لونيتو من مقابلة الخطين ان الوصية مزورة .

– وتنوان لماذا تبحث عن هذه الرسائل ؟

– لأحراقها ونفي كل برهان.

– وانا أريد الأمرين اي ان اجد الرسائل وان تحرقها تنوان

– ولكن ذلك محال فان تنوان اذا أحرقتها لم يبق لدينا برهان فابتسم ببي وقال : أفترض ان الذي يجد الرسائل هو غير تنوان .

– من ؟

– نيشات .

– وبعد ذلك ؟

– وبعد ذلك تقول نيشات في نفسها : ان تنوان طماعة نهاية وعدتني كثيراً من الوعود لاحتياجها لي فلماذا لا أحتفظ برسالتين او ثلاث من هذه الرسائل اتخذها سلاحاً ضدها حين الاقتضاء .

– لقد فهمت قصدك وبقي لي ان اسألك ايضاح امرخفي علي

– أليس الغرض من ابراز هذه الرسائل لمونيتو ان نثبت له تزوير الوصية .

– دون شك .

– ومتى أطلع عليها ورأى البرهان ألا يرد المال وينتهي كل شيء .

– انك مخطيء... ان المرأة الهائلة التي قضت حياتها بالذنوب والمآثم تستحق عقاباً هائلا يشبه ذنوبها وآثامها الفظيعة .

– اذا كان ذلك فلنقتلها .

– كلا لسنا نحن الذين نعاقبها بل قبيـــلة النور التي يتولى مونيتو زعامتها .

– كيف يكون عقابها ؟

– لا أعلم غير ان مونيتو أكد لي انه سيكون عقاباً هائلا وانه سيكون في المانيا في تلك الجبال التي يقيم فيها النور .

– ولكن كيف يذهب بها الى المانيا ؟

– انها إذا كانت مرتابة به أقل ريب فهي لا تسافر ؛ لذلك يجب ان تحرق الرسائل بيدها كي لا يبقى لديها شيء من الشك .

– لقد فهمت الآن كل قصدك انما بقي أمر لا أوافقك عليه وهو وجود الاوراق تحت هذه الشجرة .

– وانا واثق كل الثقة .

– سوف نرى والآن ماذا تريد ان اصنع ؟

– أصعد الى نيشات واجعلها ان تعترف لك بأسرار تنوان

- سأفعل ولكن أيجب ان ادلها على موضع الرسائل كما قلت

- كلا .

- لم أفهم ما تريد وهوذا قد عدنا الى الالغاز .

فابتسم بيبي وقال: سأوضح لك هذه الالغاز فهلم معي وعند ذلك تأبط ذراعه وسار وإياه بين الاشجار وقد دقت ساعات القصر مؤذنة بانتصاف الليل .

- ولنعد الآن الى تنوان ونيشات فانهما بعد ان ذهب مونيتو جلستا تتحدثان فقالت لها نيشات : إذن لقد اتفقنا على السفر الى المانيا مع مونيتو بعد وجود الرسائل واحراقها .

ثم تنهدت فقالت لها تنوان : لماذا تتنهدين ؟

- أحق انك تريدين ترويجي بهذا القرد الكريه ؟

- ان هذا القرد الكريه يا ابنتي لا يقدر ان يحصي ثروته وستكونين معه كالاميرات .

- ولكن قبحه لا يحتمل .

- لا أنكر ذلك غير انك تعقدين شروطك قبل الزواج ليعين لك مهراً او تستولين على الجوهرات التي يهديك إياها ثم تنتظرين الى ان اتم اعمالي .

- كيف ذلك ؟

- ذلك ان الذي دفعني على ان أودع عنده أموالي لم يكن غير الخوف فقد خشيت في ذلك العهد ان تعود الملكية وان تعود معها سلطة النبلاء فيسترجعون مني الثروة التي اختلستها ، اما الآن فلم أعد أخاف شيئاً .

– على ماذا عولت ؟
– على ان أطالب مونيتو بأموالي .
– أتظنين انه يردها لك ؟
– نعم .
– واذا ردها ؟
– ندعـــه في المانيا ونعود الى باريس اذ لا سلطة فيها له فتكون لي أموالي ولك مجوهراتك .
– ربما كنت مصيبة وعسى ان تتم مساعينا على ما يرام .

ثم تركتها ودخلت غرفتهـا مفكرة بأنها منذ خمسة عشر يوماً لم تكن تتردد لحظة في الزواج بمونيتو لانها لم تكن تحب بوليت .

ولبثت ساهرة في غرفتها وهي تنتظر بوليت على أحر من الجمر فانها لم تكن قد أحبت سواه ولم يعرف قلبها الحب قبل ان تراه فصادف الهوى منها قلباً خالياً فتمكن .

وما زالت على ذلك حتى فتح الباب ودخل بوليت فصاحت صيحـــة فرح وأسرعت الى مقابلته ولكنها توقفت في وسط الطريق اذ رأت الغضب بادياً بين عيني بوليت فقالت له : ماذا أصابك وما هذا الغضب ؟

ولم يكن بوليت على شيء من الغضب ولكنه كان يتكلف الهياج لغاية خطها له بيبي فقال لها بلهجـة المتهكم : أتسألينني أيضاً ماذا أصابني ؟

فاضطربت نيشات وقالت : نعم ايها الحبيب .

فأجابها بلهجة جفاء. لا فائدة من سؤالي عما تعلمينه اكثر مني

– كيف تقول لي هذا ؟ ثم أقبلت اليه تريد معانقته ولكنه صدها فتراجعت عنه منذعرة وهي تقول : رباه ! إنه لا يحبني .

– إني لا أحب المرأة التي تخدعني .

– وكيف أخدعك ؟

– ولا أحب المرأة التي تدعي حبي وتتكتم عني فلا كتمان مع الحب واني أحب أن أعرف كل شيء .

فحسبت نيشات ان بوليت واقف على سر تنوان فقالت له: اني إذا لم أخبرك فما ذلك إلا لخوفي .

– ومما تخافين ؟

– لا أعلم ، ألست سيدي والحاكم على قلبي .

– اذا كنت كما تقولين فأنا أريد ان تخبريني بكل شيء .

فأطرقت برأسها وقالت : سأطيع، ثم تنهدت وقالت : ان تنوان لا تزال تنوي السفر الى المانيا .

– مع النوري ؟

– ومعي أنا أيضاً فانها تريد ان تزوجني به كما تقول وان أختلس ما يهمني من مال ومجوهرات ثم أعود الى باريس فأكون مطلقة السراح أفعل فيها ما أشاء .

فهز بوليت كتفه وقال : اذا كانت تنوان تريد ذلك فيجب الامتثال ثم تكلف هيئة الاحتقار وعدم المبالاة فذعرت نيشات وقالت : أبهذه اللهجة تكلمني ؟

– اني أكلمك كما تستحقين .

– اذن انت لا تحبني .
– بل أحتقرك فاني خدعت بأخلاصك حتى رأيت كتمانك .
– ولكن ماذا كتمت عنك وماذا تريد أن تعلم ؟
– لماذا اشترت تنوان هذا القصر ؟
– أتنظر إلي هذه النظرات الجافة اذا قلت لك ؟
– كلا .
– وتحبني كما أحبك ؟
– ربما .

فهجمت عليه وعانقته ثم جلست بقربه وأخبرته بغاية تنوان من شراء القصر وهو يعلم منها أكثر ما تعلم فلما أتمت حديثها قال لها : إذن فتنوان تريد إيجاد الرسائل ألعلها علمت أين هي ؟

– إنها بحثت بحثاً دقيقاً في كل مكان من القصر فلم تجدها وهي تظن انها الآن مخبأة في البستان .

فتظاهر بوليت بالاندهال وقال : ما تصنع بها إذا وجدتها ؟

– تحرقها .
– وانت ما تصنعين بها اذا وجدتها ؟
– أعطيها إياها فتحرقها .
– إنك بلهاء دون شك وسأبرهن لك على ذلك . ان تنوان تقول لك انها تحبك كأبنتها وانها ستجملك وريثتها ؟
– دون شك .
– أصدقت أقوالها ؟
– لماذا لا أصدقها وأية غاية لها من أن تعدني هذه الوعود .

— لانها محتاجة اليك في اغواء مونيتو ولكنها متى أدركت قصدها وأحرقت الاوراق تعطيك قبضة من الذهب وتصرفك من حيث أتيت .

فاتقدت عينا نيشات ببارق من الغضب وقالت : انها اذا جسرت على فعل شيء من ذلك أغمدت خنجري في صدرها .

— ولكن يوجد طريقة أفضل من القتل وهي أن أجد أنا وانت هذه الرسائل .

— كيف نجدها ؟

— سأخبرك ولكن لنفترض اننا وجدناها فكم يبلغ عددها .

— تنوان نفسها لا تعلم .

— انها دون شك أكثر من رسالة فلنفترض انها عشرة رسائل فاذا عثرنا عليها أخذت انا رسالة وانت رسالة ثم أعدنا الباقي الى الصندوق .

— وبعدذلك أذهب بالصندوق المدفونة فيه الرسائل الى تنوان

— كلا بل ترجعيه الى الموضع الذي كان مدفوناً فيه ويمكنك أن تساعدين تنوان في اليوم التالي على تفتيشها بحيث ترشدينها الى الموضع المدفونة فيه الرسائل دون ان تعلم انك كنت عارفة به من قبل فاذا أخلت تنوان بما تعهدت به لك كانت الرسالة التي معك شر منذر لها .

— دون شك فاني أنذرها بأطلاع مونيتو على الرسالة وأنت ماذا تصنع برسالتك ؟

— اني أحفظها أيضاً حتى اذا خطر لتنوان ان تسلبك

رسالتك قامت رسالتي مقامها والحذر محمود في كل حال .

– كل ما تقوله حسن ولكن يجب إيجاد الصندوق .

– لدي طريقة أرجو ان تكون صالحة فاني أعرف امرأة تعرف المخبآت من الورق وقد اشتهرت شهرة واسعة لانها لم تخطىء مرة الى الآن وسأذهب اليها غداً ويقيني انها سترشدني الى موضع الصندوق .

وكان بوليت يتكلم بلهجة تدل على صدق يقينه فلم تشكك نيشات بشيء من أقواله فماهدته على الكتمان . ثم انصرف عنها فنامت وهي تحلم بملايين مونيتو وحب بوليت .

أما تنوان فانها عادت الى التفتيش منذ الصباح الى المساء فلم تعثر بشيء وجاء مونيتو في المساء حسب عادته فقضى معها جانباً من الليل ثم انصرف فدخلت تنوان الى مضجعها وعادت نيشات الى غرفتها تنتظر قدوم بوليت ولما جاء بادرته بالسؤال قائلة : ماذا صنعت ؟

– ان العرافة أرشدتني الى مكان الصندوق فهي تقول انه مدفون في حديقة القصر .

– ان الحديقة متسعة .

– ولكنها أرشدتني الى الموضع بالتدقيق فهلمي بنا للبحث معاً .

ثم خرج من الغرفة وتبعته الى الحديقة وكان كوكليس قد ترك بين الاشجار آلة النبش فأخذها بوليت ومشى مع نيشات الى الشجرة الكبيرة فقال لها : ان الصندوق مدفون تحت هذه

الشجرة وسوف ترين .

ثم جعـــل ينبش الارض ويقول في نفسه : ان ثقتي ببيبي عظيمة ولكنها ليست دون حد وقبل ان يتم مناجاة نفسه صاح صيحة انتصار ارتعشت لها نيشات فانه شعر ان تلك الآلة التي يحفر بها أصابت جسماً صلباً فلم يشك انه الصندوق .

***

وعند ذلك اطمأن بوليت وواصل الحفر فلم يحفر قليلاً حتى أخرج الصندوق .

وقـد كان سرور نيشات عظيماً فانها حين رأت الصندوق قالت : لقد باتت تنوان لنا اما بوليت فانه قال لها : هلمي بنا الآن الى غرفتك لنفتح هذا الصندوق ثم صعدا كلاهما الى الغرفة فنظر بوليت على نور المصباح في ذلك الصندوق فلم يجد له قفلاً ولم يهتد الى طريقة فتحه .

فقالت له نيشات: اكسره. قال: ذلك محال لسببين احدهما انه من الفولاذ الصلب والثاني انه يجب إرجاعه الى الحفرة التي كان فيها وان لا يمس فلا يخطر لتنوان انه فتح .

ثم أخذ منديله فبله بالماء ومسح به ذلك الصندوق فظهر له اسم صانعه المكتوب عليه وعلم انه الماني فقال : انه مصنوع في المانيا ولا يفتح إلا بطريقة سرية خاصـة ولكني أعرف صانع أقفال يعرف جميع هذه الطرق .

— إذن على ماذا عزمت ؟

– على ان اذهب اليه غداً بالصندوق فيفتحه فآخذ منه رسالتين ثم أقفله كما كان وأرده الى الحفرة .

– ولكننا اذا لم نرشد تدوان الى موضعه فلا يمكن ان تهتدي اليه .

فضحك بوليت وقال : لا تهتمي بأمرها فأنا أتولاه .

ثم أخذ الصندوق وودعها وانصرف عائداً الى البستان فلقي بيبي وقال له : هل أحضرت الصندوق معك ؟

فقال له بوليت : كيف ذلك أعرفت اني وجدته ؟

– اني كنت على قيد خطوتين منك حين كنت تنبش ولكنك لم تستطع فتحه .

– كيف عرفت هذا أيضاً ؟

– اني تبعتك الى غرفة نيشات ونظرت ما كنتما تصنعان من ثقب الباب .

– أتستطيع انت فتحه ؟

– كلا ولكن مونيتو يعرف هذه الطريقة الالمانية كما أظن فهلم بنا اليه الآن . وبعد ربع ساعة كانا عند مونيتو فأخبراه بجميع ما اتفق وأعطياه الصندوق فتمعن فيه هنيهة ثم ابتسم وقال اني أعرف طريقة فتحه ثم أخذ سكيناً وجعل يقرع به على احدى حافات الصندوق قرعاً متصلاً متناسباً فظهر لولب فأداره ففتح الصندوق .

وقد وجدوا فيه كثيراً من الرسائل وكل رسالة ضمن غلاف مكتوب عليه هـذا العنوان « الى الكونت دي مازير » ففتح

بيبي أكثرها وهي ثلاثون رسالة فكان الخط واحداً في جميعها وهي مؤرخة منذ عشرين عاماً .

أما مونيتو فانه أحضر الوصية التي أعطته إياها تنوان وقابل بين خطها وخط الاميرة فوجد التزوير ظاهراً لا ريب فيه فقال له بيبي وقد أشرق وجهه بنور البشر : أوثقت الآن ؟

– كل الوثوق وسيشاركني مجلس شوراي بهذه الثقة .

– إذن لنأخذ ثلاث رسائل فتعطى واحدة منها نيشات اذ لا يجب ان تشك بشيء من أمرنا .

فأخذ مونيتو ثلاث رسائل وأعاد الباقي الى الصندوق وأقفله كما كان ثم قال لبيبي: اني مستعد الآن لأرجاع المال الى أصحابه فأخبر بذلك اذا شئت الكونتس اورور وأختها .

– اني سأكتب لهم .

– كلا اذ يوجد أمور لا يجب ان تكتب ثم يجب ان تعلم اننا لم ننته بعد من تنوان .

– ماذا تعني ؟

– ان هذه المرأة من قبيلتنا وقد دنست شرفنا بجريمتها فيجب علينا ان نعاقبها ولكن يجب ان نبالغ بالكتمان فاذا حدث لها أقل ريب بنا هربت وأفلتت من عقابنا .

– لقد أصبت وسنخبر الاختين بذلك .

– إذن تسافر ؟

– كلا بل أرسل بنوات الاحدب .

– كما تشاء ولكني لم أعد محتاجاً اليك في باريس واؤثر ان

أقابلك في فينا في الشهر القادم وفوق ذلك فانك مهما بلغت في التنكر فاني أخشى ان تعرفك تنوان .

وفي اليوم التالي ذهب بوليت الى نيشات في الساعة المعتادة فقالت له : أفتحت الصندوق ؟

— نعم ووجدت فيه الرسائل فأتيتك بواحدة وحفظت لي واحدة وأرجعت الصندوق وفيه بقية الرسائل الى مكانه .

— ولكن كيف أرشد تنوان الى موضعه ؟

— افترضي انك حلمت حلماً وانك رأيت في الحلم موضع الصندوق وانت تعرفين اعتقاد تنوان بالاحلام والارواح .

— لقدأصبت وهو خير فكر فهلم نتفق على تأليف هذا الحلم فألف بوليت حلماً وافقته عليه وافترقا .

٢٨

نيشات بائعة الأزهار

وفي اليوم التالى صحت تنوان من رقادهـــا وهي مفكرة مهمومة فدخلت اليها نيشات وقالت لها، ما بالك ياأماه منغصة العيش وقد ظفرت بما ترغبين واشتريت القصر ؟

— ما الفائدة اذا كنت لا اجد فيه الرسائل ؟

فابتسمت نيشات وقالت، اتعتقدين يا اماه بالاحلام ؟

— ماذا تريدين ؟

— اريد اتعتقدين ان الاحلام قد تصدق .

— ان ذلك قد يتفق احيانا فماذا حلمت ؟

— اني وجدت صندوقاً فيه كثير من الرسائل وربما كان ذلك من قبيل الهجس فقد تكلمنا كثيرا عن هذه الرسائل حتى تمثلت لي في الحلم مع اشباح .

— رأيت اشباحاً ؟

— نعم اني رأيت خيال امرأة وعندما صحوت كنت منشرحة الصدر .

فارتعشت تنوان وقالت ، قصي على هذا الحلم .

قالت ، حلمت اني اتنزه في الحديقة وكان الظــلام حالكا والبرق يخطف الابصار وكنت اسمع قصف الرعود من مكان بعيد ثم رأيت شيئا ابيض ظهر لي فخفت وحاولت الفرار غير ان هذا الشكل الابيض تحرك وجعل يدنو مني فحاولت ان استغيث فاختنق صوتي . وكان هذا الشكل الابيض كلما دنا مني يزيــد وضوحا حتى تمثل لي امرأة متشحة بوشاح ابيض فلما دنت مني اشارت الي بيدها فشعرت بقوة تجذبني اليها ثم مشت امامي ببطيء في الحديقة .

وكان اعتقاد تنوان بالاحلام والارواح شديدا فقالت لها ، اتبعتها ؟

قالت ، نعم كنت اتبعها بالرغم مني فــكانت تسير سير المتردد كانها تبحث عن شيء حتى وصلت الى هذه الشجر الباسقة انظري يا اماه انها اول ما يقع عليه النظر من النافذة .

قالت ، وبعد ذلك ؟

قالت ، اشارت الى بيدها اشارة مفادها انها وجدت الذي تبحث عنه وهو تحت ارض الشجرة ثم اغمي عليها وتوارت فجأة عن انظاري فلم اعلم اذا كانت توارت في السحاب ام هبطت الى جوف الارض فخطر لى حين صحوت انها الاميرة هيلانة خرجت من ضريحها كي تدلني على موضوع الرسائل .

فهزت تنوان رأسها وقالت ، كلا لا يمكن ان تكون الاميرة الم يكن لهذا الخيال الذي رأيته وجه ؟

— نعم وهو وجه كثير الجمال وله عينيان براقتان .

— كيف كان لون عينيها اهو اسود ام ازرق ؟

— اسود .

— وشعرها ؟

— اسود ايضا وهو مرسل على كتفيها .

— لقد كنت واثقة انها هي بعينها ؟

— اهي الاميرة هيلانة ؟

— كلا بل هي الكونتس دي مازير التي ماتت قتيلة وانا كنت السبب في قتلها .

— اذا كان ذلك فكيف تساعدك على أيجاد الرسائل العلها تحبك ؟

كلا ولكنها تكره اورور وحنة كرها عجيبا فهي قد خرجت من جوف قبرها لتساعدني على الانتقام .

— ربما كان ذلك ولكني لم اتم حلمي بعد .

— ماذا رأيت غير هذا ؟

— رأيت بعد احتجاب الخيال آلة للحفر لم ادري كيف وجدتها ثم لا ادري كيف اني دفعت بجاذب لا يوصف الى الحفر تحت الشجرة فوجدت صندوقا صغيراً فبذلت جهدي في سبيل فتحه فلم اتمكن .

فقطمت تنوان جبينها وقالت ، وبعد ذلك ؟

— صحوت .

وكانت تنوان شديدة الاعتماد على الاحلام فلما اتمت نيشات

حلمها وكانت ترويه بملء البساطة اصفر وجه تنوان وقالت لها هلمي بنا الى الحديقة .

قالت ، اتعتقدين ان حلمي صادق ؟

قالت ، ربما ثم تقدمتها الى الحديقة ونيشات تتبعها فلقيت في مرورها بيبي فقالت له ، هات آلة للحفر واتبعني .

فامتثل وساروا جميعهم حتى وصلوا الى الشجرة فقالت تنوان لنيشات ، اواثقة ان هذه هي الشجرة نفسها ؟ قالت كل الوثوق فامرت بيبي عند ذلك ان يحفر حفرة تحتها ولم يطل حفره حتى صاحت تنوان صيحة دهش فانها سمعت وقع الالة على مادة معدنية وبعد هنيهة اخرج بيبي الصندوق فتظاهرت نيشات بالانذهال العظيم وقالت ، ما هذه العجائب العلي بت من السحرة ؟

اما تنوان فانها لم تحفل بقولها بل اخذت الصندوق وسارت به عدوا الى غرفتها .

ونيشات تتبعها حتى وصلتا اليها فاقفلت تنوان الباب من الداخل وفحصت الصندوق حتى ظهر انه لاقفل له فصاحت نيشات قائلة ، الم اقل لك اني الم استطع فتحه ارايت اعجب من هذا الحلم ؟

قالت ، ان لهذا الصندوق سراً ولكني اعرف طريقة فتحه فاذهبي وأتني بمطرقة .

فمضت نيشات وهي تقول في نفسها ، ما كنت احسب ان هذه البلهاء مؤمنة الى هذا الحد بالاحلام فقد وثقت بكل ما قلته دون احتراس ولكنها عندما عادت ورأت تنوان مصفرة الوجه

وعلائم الغضب بادية بين عينيها ذعرت ذعراً شديداً وقالت لها ماذا اصابك ؟

قالت ، لقد فتحوا الصندوق قبلنا .

قالت ، كيف يكون ذلك وهو معك منذ وجدناه ؟

فلم تجبها تدوان وانما علمت ان الصندوق قـــد فتح من قبل لما رأته عليه من اثار مطرقة مونيتو فاخذت المطرقة التي جاءتها بها نيشات وضربت بها على الصندوق ضربات متوالية متناسبة كما فعل مونيتو فخرج اللولب وعند ذلك ادارته ففتح الصندوق ورأت فيه الرسائل ففحصتها فحصا دقيقا وامعنت النظر في تواريخها وتواريخ طوابع البوستة التي عليها ثم القتها بسرعة في المستوقد فقالت لها نيشات ، هوذا قد اطمأن بالك فما تخشين بعد الان ؟

قالت كلا فانهم وجدوا الصندوق قبلنا ــــ وقد كان فيه من الرسائل اكثر مما يوجد فيه الآن فلا بد ان تكون يد بيبي قد عملت فيه .

فتنفست نيشات الصعداء لانها لم تتهمها .

* * *

وفي اليوم نفسه اجتمع مونيتو وبيبي وبوليت آخر اجتماع فان بيبي كان عازما على السفر في صباح الغد الى المانيا فقال لهما مونيتو : لا اعلم اذا كان عقاب المحكوم عليه بالاعدام يجري عندكم كما يجري عندنا ، ولكن اسمعوا ، لقبيلتنا طريقة فانه حين

يشهد الشهود على مجرم ويحكم عليه القاضي بالاعدام يصبح امر المحكوم عليه مناطاً بالجلاد وحده دون القاضي ودون من اثبت الجريمــــة .

فقال له بيبي : ماذا تعني بذلك ؟

– اعني انك انت وبوليت اثبتما جريمة تنوان فلم يعد لكما علاقة بها في شيء .

– اذا كان ذلك فانت ايضا لا علاقة لك بها فانك القاضي لا الجلاد .

– هو ذاك ولكن يجب ان تبقي في عهدتي الى ان اسلمها الى جلاد قبيلتنا وهو في المانيا فلا بد لي اذن من الذهاب بتنوان اليها

– اتذهب بها دون ان تكون عالمة بصدور الحكم عليها ؟

– دون شك .

– اذن تسافر في الصباح غداً الى فينا فاين تريد ان نلتقي ومتى ؟

– بعد خمسة عشر يوما في فندق التيجان .

وعند ذلك افترقوا فذهب مونيتو في شأنه وسار بيبي بعدان ودع مونيتو مع بوليت فقــال له : اني لا اودعك الآن لاني سأراك ايضاً في المساء حين حضورك الى شارع الدير .

– اتعود الى القصر فتبيت فيه الليلة ؟

– دون شك اذ لا يجب ان ادع اقل مجال للشك كي لا تقف تنوان في موقف الحذر

– اسافر بذوات الاحداب ؟

– كلا سيسافر معي صباح غد فنفترق في ستراسبورج بحيث يذهب هو الى داغوبير فيخبره بما جرى وانا اذهب الى حنة في فينا فاخبرها .

ثم افترق الاثنان على ان يلتقيا في المساء وفيما كان بيبي سائرا وحده سمع رجلا ينادية فالتفت فرأى بنوات فتأبط ذراعه وسار واياه في الشارع العام يتحدثان وعند ذلك مرت مركبة كبيرة كانت تسير مسرعة وكادت تدهس الرجلين بحيث اضطر الى الانفصال والعدو كل منهما في جهة كي تمر المركبة فلم ينتبه احد منهما لصيحة دهش خرجت من صدر تنوان التي كانت في تلك المركبة .

وقد كانت في ذلك الحين عائدة من منزل عشيقها المحامي فانها كانت لا تزال تتظاهر بالفضيلة امام مونيتو وتأبى زيارته اما سبب دهشتها فهي انها رأت بنوات الاحدب يسير مع خادمها اي بيبي فقالت في نفسها ان هذا الاحدب جاسوس اورور ولا شك ان خادمي بنيامين جاسوس بيبي والا فكيف اتفق وجودهما ولذلك تولدت المخاوف في نفسها ودخلت الى قصرها قلقة مضطربة فلم تخبر نيشات بشيء .

وبعد وصولها جاءها كوكليس البواب فلفق لها قصة مفادها انه ورث مع اخيه بنيامين ارثا كبيرا في الريف وانه لا بد لاخيه بنيامين من السفر للاستيلاء على هذا الارث اما هو فانه يبقي في الخدمة الى ان تجد سواه .

فارتعشت تنوان اذ ذكرت ان كوكليس هو الذي قدم لها

بنيامين وقالت له : اين هو اخوك الان ؟

– انه برح القصر ولا اعلم الى اين ذهب .

– اذن ارسله الي حين يعود كي اعطيه نفقات السفر واعرب له عن اسفي لخروجه من خدمتي فاني كنت راضية عنه كل الرضى .

فانحي كوكليس شاكراً وانصرف فابتسمت تنوان ابتسام الابالسة وقالت في نفسها ، لم يبقي لدي شك الان ان بنيامين جاسوس بيبي اذا لم يكن بيبي نفسه فان من خدم البوليس السري خدمتة يعرف ان يتنكر ولكنه لم يعرف بعد من هي تنوان وعند ذلك نادت نيشات فاجلستها بجانبها وقالت لها : لقد خدعنا قالت : من هو الذي خدعنا .

– ذلك الخادم الذي دخل حديثاً في خدمتي وهو بنيمين فانه جاسوس بيبي دون شك بل قد يكون بيبي نفسه متنكراً فاطرقت نيشات مفكرة وقالت : لقد خطرلي حين استخدمت هذا الرجل انك اخطأت في استخدامه فان هيئته تدل على البلاهة ولكنه يستحيل بعض الاحيان فتبرق عيناه بريقاً يدل على توقد الذهن .

– اتظنين انه بيبي ؟ ربما .

– كيف نستطيع تحقيق ذلك ؟

– سأبدأ بمراقبته منذ الان وغدا اخبرك بما يكون .

– ان غداً يفوت الاوان فانه سيسافر ، ولكن انظري من النافذة انه عاد وهو يتحدث مع البواب وسيأتي الى تواً فقد

طلبت ان اراه فاختبيء حالا وراء هذه الستارة وراقبيه بينما انا اكلمه وبعد هنيهة دخل بيبي فتكلفت تنوان السكينة ونظرت اليه فقالت له : اذن لقد عولت يابنيامين على اعتزال خدمتي ؟ فاطرق بعينيه الى الارض وقال : لو لا هذا الارث يا سيدتي لما فارقت منزلك الى الابد فقد كنت فيه من اسعد الخدم .

— اني لا استطيع اكراهك على البقاء ولكن يسؤني . اعتزالك فقد كنت راضية عن اخلاصك .

فشكرها بيبي وحاول الانصراف ولكنها استوقفته وقامت الى خزانة واخرجت منها عشرين جنيها فقالت له : خذ هذا المال واستعن به الى ان تتكمن من قبض الارث .

وكان بيبي قد ادرك قصدها حين قامت الى الخزانة فابتسم ابتسامة تهكم وبرقت عيناه باشمة الانتقام فذهبت اثار البلاهة عنه حتى اذا عادت تنوان واعطته المال عاد الى التباله فقبل المال شاكراً فقالت له متى عزمت على السفر قال : غداً في الساعة العاشرة ، قالت اذن دعني اراك قبل سفرك .

فانحنى بيبي وانصرف وعند ذلك خرجت نيشات من وراء الستارة وهي مصفرة الوجه فنظرت تنوان من النافذة فرأت بيبي قد وصل اليها فقالت لها : تكلمي فانه قد ابتعد العلك رأيت شيئاً يحمل على الريبة ؟

— رأيت انه قد خدعنا كما قلت .

قالت ولكن ليس هذا الرجل الذي خدعنا دون شك فانه من اشد الناس بلاهة .

– كلا يا اماه اتعرفين من هو هذا الرجل ؟
– ألا تزالين تعتقدين انه جاسوس بيبي ؟
– اعتقد انه بيبي نفسه ؟
فاضطربت تنوان اضطراباً عظيماً وقالت لها بصوت يتهدج كيف عرفت انه بيبي .
– عرفته من عينيه فانك حين ذهبت الى الخزانة ولم تعودي ترينه ابتسم ابتسامة تهكم برقت عيناه فعرفته من نظراته الهائلة
– ولكن بيبي اصلع الرأس .
– انه لبس شعراً مستعاراً .
فتهجم وجه تنوان وقالت : اذا كان ذلك فقد قضى عليه لا محال والآن فاصغي الي فان دور الحيلة والسياسة قد فات اوانه مع هذا الرجل وجاء دور القوة فلا بد من قتله .
– ولكن كيف ؟
فابتسمت تنوان ابتسامة هائلة وقالت : في اي غرفة يقيم من غرف القصر ؟
– في الغرفة السابعة .
– هلمي بنا اليها ثم ذهبت المرأتان الى غرفة بيبي وفحصتها تنوان فوجدت فيها شمعداناً فيه بقية من شمعة فانتزعتها من الشمعدان وقالت لنيشات : لنعد الآن الى غرفتي .
ولكني لم افهم شيئاً فماذا صنعت ؟
– ستعلمين هناك فتبعتها نيشات الىغرفتها دون ان تفوه بحرف وهناك قالت لها تنوان : اننا امرأتان لا نستطيع قتل

رجل الا اذا كان نائماً لا يستفيق اذا دخلنا الى غرفته ولذلك عولت على ان انومه نوماً لا يستفيق بعده .

— كيف ذلك ؟

— المخدرات تختلف فمنها يؤكل ومنها يشرب ومنها يشم وتأثيره في اختلاف حالاته واحدة وكنت عولت على ان اضع مخدراً في موقد غرفته ولكني وجدت انه لا يشعل النار في الموقد وانه لا ينام من غير نور فأخذت بقية الشمعة من شمعدانه وسأضع مكانها شمعة مخدرة فاذا اثارها لا يمضي به بضع دقائق حتى يتخدر وينام فاصبري هنيهه فسأحضر الشمعة

ثم خرجت من غرفتها وعادت بعد هنيهة بشمعة لا تزال مبتلة فقالت لها : انـه يحتاج الى اثارتهـا لخـلع ملابسه واعداد معدات سفره فهو يحتاج الى نورها مدة ربع ساعة على الاقل ولكن خمس دقائق كافية لتأثير هذا المخدر فيه فـان دخلت رائحتها الى رئتيه يسقط صريعاً لاحراك به .

— العله يموت ؟

— كلا بل يتخدر .

— اني اؤثر موته اليس لديك مخدر يكون سماً قاتلا ؟

— كلا وفوق ذلك فاني لا اثق بالسموم .

— اذن بماذا تثقين ؟

— بهذا الخنجر فاني اغمده في قلبه .

— وماذا تصنعين بالجثة بعد قتله ؟

فابتسمت تنوان وقالت : يوجد قبو بالقرب من غرفته .

اتريدين ان اريك اياه ؟

– دون شك .

– اذن اذهبي الان بهذه الشمعة الى غرفة بيبي فضعيها في الشمعدان وعودي الي فامتثلت نيشات وبعد حين عادت فقالت لها تنوان : تعال معي اريك الضريح الذي اعددته لهذا الرجل ثم وضعت يدها بيدها وسارتا .

٢٩

تنوان تهدد

عندما كانت تنوان وصيفة بسيطة اقامت في هذا القصر مع الاميرة هيلانة ثم اقامت فيه ايضاً مع الكونتس دي مازير بحيث عرفت جميع خفاياه وهذا القصر يتصل عهده بهنري الرابع وقد كان لاسرة برتستانتية عريقة بالنسب اضطهدها الكردينال راشيليو .

ثم اضطهدها من بعد لويس الرابع عشر وكان رئيس هذه الاسرة يدعي البارون دي مازير فحكم ريشيليو عليه بالاعدام وارادوا القبض عليه فحاصره في قصره ودافع دفاعاً حسناً فاغتصبوا الابواب وبحثوا عنه في ذلك القصر فلم يجدوه فطوقوه بالحراس ولكنهم لم يظفروا بالبارون ولم يعلموا كيف كان اختفاؤه وبعد ذلك بخمسين عاماً حين طرد البروتستانت من فرنسا بحثو عن ابن هذا البارون فلم يجدوه ولكن الاشاعة كانت متناقلة على انه لم يبرح باريس فلما مات لويس الرابع عشر ظهر البارون واقسم لجميع عارفيه انه لم يبرح باريس بل انه لم يبرح قصره

منذ عشرين عاماً وكان كل ليلة ينام في سريره فيه .

فلما حكت تنوان هذه الحكاية لنيشات قالت لها اذن يوجد محل خفي في هذا القصر ؟

— هو ذاك وسوف ترين .

ثم ذهبت بها الى قاعة متسعة كان معلقاً فيها صورة كبيرة تمثل صاحب القصر القديم وقد احتفظت بها الاميرة هيلانة لانها كانت من عجائب الصناعة ولم يكن يمكن انتزاعها الا بعد تمزيقها فقالت تنوان لنيشات : انظري هذا الرسم ثم ضغطت باصبعها على لولب خفي في اسفل الصورة ففتحت في الحال كما يفتح الباب وظهر وراءها ممر سري .

فدخلت تنوان وتبعتها نيشات في هذا الممر فانتهتا منه الى غرفة لا نوافذ فيها فقالت لها : هنا كان يختبيء البارون دي مازير وابنه بعده .

فقالت لها نيشات : كل ذلك حسن ياماه ولكنك لم تفطني الى امر .

— ما هو ؟

— هو ان البواب قدم لك بيبي فلا بد ان يكون متفقاً واياه

— ذلك لاريب فيه .

— اذن اذا قتلنا بيبي واخفينا اثره في هذه الغرفة فكيف نعلل اختفاءه .

— لانذكر شيئاً عنه .

ولكن البواب ؟

— انه لا يعلم شيئاً من اسرار بيبي فاذا لم يجده في اليوم التالي ظن انه سافر في الليل وانه اضطر الى السفر دون ان يودعه وفي هذه الليلة يحضر مونيتو فتظاهري انك مصابة بصداع كي ينصرف باكراً .

— وبعد ذلك ؟

— ننتظر الى ان ينام كل من في القصر ويعود بيبي .

ثم افترقا وفي المساء جاء مونيتو فكان بيبي يخدم على المائدة حسب العادة وكانت تنوان ونيشات تراقبانه بملء الانتباه اما مونيتو فلم يكن يحتفل الا بنيشات .

وقد تظاهرت نيشات بالصداع كما أوصتها تنوان فانصرف مونيتو باكراً كما توقعت تنوان وبعد انصرافه أخذت نيشات إلى التنزه معها في الحديقة وقالت لها : لقد كان خطر لي ان مونيتو متفق مع بيبي ولكني راقبته مراقبة شديدة فأيقنت إنه لا يعرفه وإنه هائم بك .

— إذن ستكونين مطمئنة بعد موت بيبي !

— نعم ولكني لا أزال واثقة إن الصندوق قد فتحوه قبلنا.

— من تظنين إنه فتحه ؟

— بيبي وعندي إنه لا بد أن يكون لديه بضع رسائل فمتى قتلته جردته منها .

فارتعشت نيشات وقالت في نفسها : إنها ستحول ريبتها الي متى رأت انه لا يوجد رسائل مع بيبي وعند ذلك جعلت تفتكر ببوليت .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة وبوليت يحضر عادة عند انتصاف الليل .

أما غرض تنوان من الذهاب إلى الحديقة فهو أن ترى ضياء الشمعة وانطفائها في غرفة بيبي ولكن نيشات كانت مضطربة القلب لخوفها أن يحضر بوليت قبل القضاء على بيبي .

وعند ذلك ارتعشت تنوان وقالت لها أنظري إلى ضياء مشمعة وقد كان بيبي دخل إلى غرفته وأضاء الشمعة المخدرة دون أن يحسب حساباً وجعل يقول إن تنوان لم تعرفني ولكن أمري كاد ينفضح الليلة فأن شعري المستعار أوشك أن يسقط ولا بد من التعجيل بالسفر .

ثم جعل يعد معدات السفر ويضع ملابسه في صندوقه فلما فرغ من ذلك ذهب إلى سريره وحاول إطفاء الشمعه فاضطرب إضطرباً شديداً ولم يستطيع إطفاءها فدنا منها ولكنه لم يبلغ اليها فانه شعر إن قواه قد انحطت فسقط جانباً على ركبتيه ثم انقلب على المائدة الصغيرة التي كانت عليها الشمعة قد انطفأت وذهب شعور بيبي فبات كالاموات .

أما تنوان فانها حين رأت إن الشمعة قد انطفأت سرت سروراً لايوصف وأسرعت مع نيشات إلى غرفة بيبي ففتحت بابها ودخلت اليها والخنجر مشهر بيدها .

وكان أول ما فعلته إنها أسرعت إلى النوافذ ففتحتها كي تذهب رائحة الشمعة ثم اقتبست نوراً فنظرت نيشات إلى بيبي وهو ملقى على الارض وقالت لها : أتشكين بعد الآن ؟

— بماذا ؟

— بانه بيبي بعينه .

ثم انقضت عليه ونزعت شعره المستعار فظهر صلع بيبي وأيقنت تنوان إنه هو فرفعت خنجرها وهمت أن تطعنه به فاسرعت نيشات وقبضت على يدها ، فذعرت تنوان وقالت لها : ماذا تصنعين أتحاولين الآن إنقاذه ؟

فابتسمت نيشات ابتسام الابالسة وقالت : كلا فاني أبغضه أكثر مما تبغضينه لانه حال دون اعدام أورور.

— إذن أغمد خنجري في قلبه ؟

— كلا — لماذا ؟

— لانه لا يجب قتله هنا .

فهاج غضب تنوان حتى إنها لم تدرك قصد نيشات وقالت لها : لماذا لا يجب قتله هنا ·

— لاننا بعد قتله يجب أن ندفنه في تلك الغرفة السرية .

— هو ذاك .

— وكيف ننقله اليها ؟

— أحمله أنا وأنت ؟

— دون شك ولكن دماء تقطر على الطريق فتلطخ الرواق والسلم .

— لقد أصبت فلم يخطر لى هذا الخاطر .

— ولكن ألأنت واثقة إنه لا يستفيق .

— لا يستفيق ولو أحرقناه بالنار .

– إذن لنحمله الى الغرفة .

– كلا بل يجب أن نفتش جيوبه عسانا نجد معه شيئاً من رسائل الاميرة .

فارتعشت وقالت في نفسها : إن الرسالة ينبغي أن تكون مع بوليت ،

ثم قالت لها : ألا تزالين تظنين إن الصندوق قد فتح قبل أن تفتحيه ؟

– بل أنا واثقة .

– ولكنه إذا كان هو الذي فتح الصندوق واخذ الرسائل فهو قد وضعها في غير جيوبه دون شك .

– ربما ولكن لا بد من التفتيش .!

ثم قلبت بيبي وبحثت في جيوبه فلم تجد شيئاً فامعنت في التفيش فوجدت بين قميصه وصدره غلافاً فيه كثير من الاوراق فاخذته بيد ترتجف وفتحته فسقط منه رسالتان فنظرت فيهما تنوان فعرفت إن الخط خط الاميرة هيلانة فكان سرورها لا يوصف أما نيشات فقد حارت في أمرها إذ لم تعلم كيف وصلت الرسالتان إلى بيبي وأضطربت إضطراباً شديداً حتى إنها نسيت موقفها فقالت بلهجة تشف عن غضبها : إن بوليت كان شريك بيبي ، إن بوليت خانني .

فلما سمعت تنوان ما قالته نيشات اصفر وجهها ، شددت على قبضة خنجرها حتى كادت تسحقها ثم رفست برجلها جسم بيبي ومشت إلى نيشات فخافت منها خوفاً شديداً حين رأت تنوان مشهرة عليها

الخنجر وعيناها تتقدان فقالت لها : إني تكلمت عن بوليت .
– ألم تقولي إن بوليت كان شريكه .
– نعم .
فانجلت لتنوان ان غوامض كثيرة في هذه اللحظة علمت بتوقد ذهنها جميع مامر وذكرت تلك الطريقة الغريبة التي وجدت فيها الصندوق وذلك الحلم الذي لفقته لها نيشات فدنت من تلك الفتاة وقد أخذ الرعب منها كل مأخذ فقالت لها إذا صحت أو استغثت بكلمة قتلتك في الحال ، إني أريد أن أعرف كل شيء ولا أمهلك غير دقيقتين .
فركعت نيشات عند قدميها وقالت لها : أسالك العفو والرحمة
– إني أعفو عنك وأسامحك إذا قلت الحقيقة .
فاعترفت لها نيشات عند ذلك بكل شيء كما اتفق .
فلما أتمت حديثها قالت لها تنوان إذن إن بوليت يأتي الى القصر في كل ليلة .
فاطرقت برأسها وقالت : نعم .
– وأنت تحبينه ؟ – نعم .
فضحكت عند ذلك تنوان ضحكا عالياً وقالت : أيتها التعيسة ألا تعلمين من هو بوليت ؟ إنه هو الذي أنقذ أورور من الاعدام ألا تذكرين ذلك الغلام الشريد الذي كان يرود حول دكان الغسالة التي كنت عندها ؟
فذكرت نيشات عند ذلك كل شيء وان بوليت هو الذي صاح أمام المشنقة أن أورور حبلى كي ينقذها من الاعدام فايقنت

إنه لا يحبها بل إنه يحب أورور وعلمت إنه أستخدمها آلة لنيل أغراضه وأغراض بيبي، فركعت ايضاً أمام تنوان وقالت لها : سامحيني يا أماه وسوف ترين كيف أنتقم من هذا الرجل .

– ألا تحبينه ؟

– إني أكرهه بقدر ما كنت أحبه .

فقالت لها ببرود : إني أسامحك إذا كنت تعترفين بكل شيء .

– إن بوليت قد هزأ بي وبك يا أماه .

– كيف ؟

– إنه هو الذي وجد الصندوق .

– بموافقتك : اليس كذلك ؟

– نعم ، فاني لم أكن أكتم عنه شيئاً .

– حسناً ! وبعد ذلك ؟

– إنه حين علم الغاية التي من أجلها إشتريت القصر قال لي : لدي وسيلة لايجاد الصندوق ، وهي إني أعرف إمرأة عرافة تنوم بعض الناس عندها وتعلم منهم مكان المخبآت .

وفي اليوم التالي جاء بي وقال لي : إن الصندوق تحت هذه الشجرة .

وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وجميع من في القصر نيام فاخرجنا الصندوق وكان في نيتي أن أعطيك إياه ولكنه اعترضني وقال لي : إذا فعلت ذلك عرفت تنوان بحبنا .

وقد حاولنا فتح الصندوق فلم نستطيع فذهب به في اليوم التالي إلى صانع أقفال وقد أقسم لي إنه سيعود به بعد فتحه .

فقالت تنوان ويح لهذا الشقي فقد عرفت الآن كل شيء .

— وفي اليوم التالي عاد بالصندوق وقد أقسم لي إنه فتحه وإن كسره مستحيل .

— أتقسمين لي إن ما تقولينه هو الحقيقة ؟

— أقسم لك بأغلظ الايمان .

— إحذري أن تخدعيني فاني أقتلك دون إشفاق .

فضحكت نيشات وقالت : إني لا أخافك ولا أخونك .

— إذن لنبدأ بيبي . — وأنا أتعهد ببوليت .

فاخذت تنوان الرسالتين اللتين وجدتهما مع بيبي وأخذت نيشات الشمعة المخدرة فوضعتها في جيبها فقالت لها تنوان : ماذا تصنعين ؟

— إني أعد معدات الانتقام .

— لقد فهمت ما تريدين فاحملي الآن بيبي من رجليه وأنا أحمله من كتفه .

ثم حملتاه وسارتا به إلى الغرفة السرية فدخلتا به اليها والقتاه على الارض ثم جردت تنوان خنجرها وقالت: سوف ترين كيف يكون القتل وعند ذلك أغمدت خنجرها في صدر بيبي وقالت هوذا عدو قتلناه وفي هذا الضريح متسع للآخر .

فقالت : دون شك وأنا ساهتم بهذا الآخر .

ثم خرجتا من تلك الغرفة وأقفلتاها فنظرت نيشات في الساعة فرأت إن الليل لم ينتصف بعد فقالت : لا يزال لدي ربع ساعة .

وعند ذلك اخذت مصباحها الذي كانت قد وضعته على الارض وسارت به دون ان تنظر الى تنوان التي كانت تنظر اليها نظرات تدل ان حب نيشات قد انتزع من قلبها واستبدل بكره لا يوصف .

* *

وكان جميع من في القصر قد ناموا ما خلا بولينا الخادمة تلك الفتاة التي باتت حليفة مونيتو بعدان اشترى ارادتها بماله فكانت نيشات تخشى ان تحول هذه الفتاة دون انتقامها من بوليت.

ولذلك اتفقت مع تنوان على طريقة ابعادها وعادت الى غرفتها فوجدت بولينا لا تزال تنتظرها فقالت لها : اذهبي فافتحي باب الحديقة لبوليت .

— نعم ولكننا سنذهب معاً .

ثم أخذت الشمعة المخدرة من جيبها فوضعتها في الشمعدان ثم اطفأت المصباح وقالت لبولينا بلهجة سرية : اتبعيني .

فتبعتها بولينا فأمسكت نيشات بيدها وسارت بها في الظلام وهي لا تعلم أين تسير حتى وصلت الى غرفة تنوان ففتحت بابها ودخلت مع بولينا اليها .

فنظرت اليها تنوان نظرة هائلة وقالت : أبلغ من جرأتك انك تدخلين العشاق الى منزلي .

فصاحت بولينا صيحة دهش ولم تجب .

أما تنوان فانها جردت خنجرها وقالت لها : انظري الى

هذا الخنجر .

فركعت بولينا وقد ملأ الذعر قلبها : اسألك العفو .

— اذا بقيت هنـــا هادئة ساكنة لا أسيء اليك في شيء وفوق ذلك فانك امتثلت لأوامر ابنتي المحبوبـــة مني وانا أوصيتك بخدمتها .

فنظرت بولينا نظرة انذهال الى تنوان ونيشات فقالت لها نيشات لا تنذهلي فان امي كريمة الاخلاق لا تبخل علي بعاشق، ثم تركتها وانصرفت .

قالت بولينا في نفسها : اني لا افهم شيئاً من هذه الالغاز سوى ان تنوان لم تشكك بعد بعلاقتي مع مونيتو وسننظر في كل ذلك غداً أما الآن فيجب استعمال الحكمة .

اما تنوان فانها اشارت لها بيدها الى باب غرفة داخل غرفتها وقالت لها : أدخلي الآن ونامي في هذه الغرفة .

فدخلت بولينا ممتثلة وعولت على ان لا تنام ولكن النعاس تغلب عليها فنامت .

فبقيت تنوان في غرفتها تنتظر نيشات وهي تقول في نفسها لقد أردت لك الخير ايتها الحية الرقطاء فجعلتك ابنتي ووديعتي فخنتيني لاني أشركتك معي وائتمنتك على سري لاعتقادي انك لا تحفلين بالغرام ولا تخونين المحسنة اليك لدى اول كلمـة حب يقولها لك هذا الفتى الذي طالما أحسنت اليه فاطمأني الآن فسأفرغ لك حين تفرغ حاجتي منك اما الآن فاقضي وطري من بوليت وأحمل مونيتو على قضاء ما أريـد وبعد ذلك يبدأ

بيني وبينك الحساب وبينما كانت تعد المشروعات الجهنمية كانت نيشات نازلة الى الحديقة .

وكانت متشحة بوشاح كبير يقيها البرد فلما وصلت الى باب الحديقة اقامت وراءه تنتظر قدوم بوليت .

وعند انتصاف الليل سمعت وقع خطوات ثم سمعت طرق الباب فايقنت ان الطارق بوليت ففتحت الباب فدخل بوليت ولكنه عندما رأى نيشات انكر وجودها فان العادة ان تفتح له بولينا فوضعت نيشات اصبعها على فمها اشارة الى طلب الصمت ثم عانقته بحنو حسب عادتها .

اما بوليت فكان يتوقع ان يرى بيبي فجعل ينظر الى ما حواليه فابتسمت نيشات وقالت له : انك لم تكن تتوقع ان تراني

— هو ذاك : فكيف فتحت انت لي الباب .

— ذاك انه يوجد انباء جديدة ان اريد اخبرك بها ثم اشارت الى نور كان ينبعث من غرفة تنوان وقالت له : انظر ، فارتعد بوليت وقال : كيف ذلك الم تنم تنوان بعد !

— كلا فانها مريضة وقد أصابها عسر الهضم لافراطها في الطعام .

— إذن يجب أن أنصرف .

— كلا بل يجب أن تبقى فانها لا تستطيع النهوض من فراشها وفوق ذلك فان بولينا عندها وهي تنذرنا دون شك إذا حاولت المجيء فتعال معي .

— ثم أخذت بيده وسارت به فتبعها دون تحسب حتى إذا

وصلت إلى أسفل السلم قالت له : إنك تعرف الطريق اليس كذلك .

– دون شك .

– إذن إصعد إلى غرفتي فان الشمعة منورة وانتظرني فيها حتى أعود .

– إلى أين أنت ذاهبة ؟

– إلى تنوان بحجة السؤال عنها فاقيم عندها هنيهة وأعود اليك وأدخل من غرفة بولينا إلى غرفتي فقد أتفقت معها على ان اخبرها باشارة متى حضرت .

وقد كان الذي قالته له طبيعياً معقولا بحيث لم يتولدفي قلب بوليت شيء من الريب فافترق عنها وذهب توأ الى غرفتها وقد علل بوليت غياب بيبي إنه يساهر تنوان فقال في نفسه : إن لم يجد من الحكمة أن يعرض نفسه لمقابلتي قبل أن تنام تنوان وسأراه بعد انصرافي من عند نيشات .

ثم دخل إلى غرفتها والشمعة المخدرة تضيء فوق الموقد فلم يقم فيها خمس دقائق حتى خر صريعاً على الارض ونام بتأثير المخدر كما نام بيبي .

أما نيشات فانها ذهبت إلى تنوان فاستقبلتها تنوان بابتسام وقالت لها : ماذا حدث ؟

– قضي الامر .

– كيف ذلك ؟

– وقع الطير في الشرك فان بوليت الان في غرفتي يتنشق

رائحة الشمعة ، فأين هي بولينا ؟

– في هذه الغرفة التي هي داخل غرفتي .

ففتحت نيشات باب الغرفة وعادت الى تنوان وقالت لها أنها نائمة .

– وهي إنهـا مستيقظة فانها لا تستطيع الخروج من الغرفة فاقفلي بابها بالمفتاح .

فاقفلت نيشات باب الغرفة وعادت الى تنوان فقالت لها : لقد خطر لي خاطر يا اماه

– ما هو ؟

– إن جدران الغرفة السرية كثيفة اليس كذلك ؟

– إنها تشبة جدران القلاع .

– فلو افترضنا ان بيبي لم يمت وإنه صحا من رقاده .

– لا سبيل إلى هذا الافتراض فانه قد مات .

– ولكن لنفرض إنه لم يمت فلو صحا واستغاث أيسمع صوت استغاثته أحد ؟

– كلا لأن جدران الغرفة كثيفة جداً .

– إذن فكري في غاية الصلاح .

– ما هو فكرك ؟

– إني أبغض بوليت الان بقدر ما كنت أحبه .

– وبعد ذلك ؟

– إنه إذا قتل وهو نائم كما قتلت بيبى لا أكون قد أدركت ذرة من انتقامي ولذلك أريد أن أدفنه حياً في هذا الضريح

مع جثة بيبي .

– أحق ما تقولين .

– نعم فانه متى صحا من رقاده ولم يجد أمامه غير جثة بيبي وحاول النجاة فلم يستطيع يموت بعد نزع شديد اليم وهذا خير عقاب للخائنين أمثاله . ثم إن لي بذلك مأرب وهو إنه متى استفاق تذكر إنه كان في غرفتي وعلم إني أنا الذي أنتقمت منه فيموت من اليأس والرعب والجوع .

فنظرت اليها تنوان نظرة اعجاب وقالت : أنك تعرفين أن تبغضي .

– لماذا أنقذ أورور ؟

– حسناً وسأوافقك على ما أردت .

– أتظنين إنه نام الان .

– دون شك اذا كانت النافذة مقفلة .

– إني تركتها مقفلة .

– إذن هلمي بنا اليه .

وقد اصابت تنوان فان المخدر كان قد بلغ مبلغه من بوليت في ذلك الحين .

وبعد ربع ساعة فتح باب الغرفة السرية بل الضريح فوضع فيه بوليت وهو نائم لا يعي قرب بيبي وهو غارق في دمائه ثم أقفل الباب .

* * *

لم يدر أحد من الخدم في اليوم التالي بسر هذه الجناية حتى إن بولينا نفسها لم تعلم شيئاً فأنها كانت مسجونة في غرفة تنوان

وقد دخلت اليها تنوان في الصباح وقالت لها. إنك كنت في خدمتي وخدعتني فحق لي أن أعاقبك غير إني أوثر أن أعفو عنك بشرط واحد وهو أن تكوني كتومة ولا تبحثي عن السبب الذي أمرتك من أجله أن تنامي في هذه الغرفة فاذا ما أخللت بشيء من هذا الشروط قتلتك دون اشفاق .

ثم إني أريد أن تبقي في هذه الغرفة يومين أو ثلاثة فاذا سال عنك الخدم أقول لهم إنك مريضة .

وبينما كانت تنوان تحادث بولينا بهذه الاقوال كانت بولينا تقول في نفسها لا شك إن تنوان تحاول الانتقام ولكني لا أعلم ممن تريد الانتقام فهل من بيبي أم من مونيتو إني لا استطيع معرفة الحقيقه إلا إذا خرجت من محبسي ، وكيف لي بالخروج منه وهي تقفل باب الغرفة .

أما تنوان فانها بعد أن أنذرتها هذا الانذار أقفلت عليها باب الغرفـة وأوصت نيشات بمراقبتهـا ثم ذهبت بمركبتهـا إلى المحامي د .

فدهش المحامي حين رآها قادمة اليه قبل موعد زيارتها المألوفة أما هي فانها ابتدرته بالسؤال قائلة : أتحب السفر ؟

– دون شك إذا كنت رفيقتي فيه .

– إني أريد النهاية فاضع إلي ما أريد .

– تكلمي أيتها الحبيبة .

— ماذا تصنع في باريس الآن إنك لا تصنع شيئاً مذكوراً فان أصحابك قد ماتوا ودورك السياسي قد انقضى ولا بد من عودة الملكية فلا يطيب المقام في فرنسا لا مثالنا .

فتنهد المحامي وقال : هو الحق ما تقولين فماذا تريدين بهذه الاقوال .

— أريد أن أتزوج بك ونتجول سائحين ثــلاثة أو أربعة أعوام فان ثروتي عظيمة كما تعلم ورجائي وطيد أن أستولي عليها

فارتعد المحامي من السرور وقال : متى نسافر ؟

— يستحيل علي أن أعين اليوم فقد أسافر غداً أو بعد غد .

— ومتى تعلمين ؟

— قبل أن تركب مركبة السفر بخمس دقائق .

— أوضحي هذه الالغاز فاني لم أفهمها .

— إن سفري موقوف على حادثة لا أدري إذا كانت تنقضي اليوم او غداً ولذلك يجب أن تكون متأهباً على الدوام .

— كيف ذلك ؟

— تستأجر مركبة سفر فتنقل اليها كل ما تحتاج اليه وتنتظرني بها عند انتصاف الليل قرب منزلي .

— إذن نسافر الليلة ؟

— كلا ولا أعلم ولكنك تنتظرني إلى الساعة الثانية .

— وإذا لم تحضري ؟

— ترجع إلى منزلك وتأمر السائق أن يكون متأهباً غداً .

— وغداً ؟

– تفعل ما تفعله الليلة .

– لقد فهمت فانك تريدين أن أنتظرك كل ليلة في هذا الموعد

– هو ذاك ولكني أرجو أن لا يطول انتظارك وأن نسافر الليلة أو الليلة القادمة ثم ودعته وانصرفت فقال المحامي في نفسه لقد كنت واثقاً إن الامر معهـــا سينتهي بالزواج فسأتزوج بها وسنرى بعد ذلك ما يكون .

– أما تنوان فانها رجعت إلى منزلها فخلت بنيشات وقالت لها : لقد وضعت خطة أرجو نجاحها ولكني أخشى أن يكون بيبي واعد مونيتو على اللقاء فاذا لم يره تولدت في نفسه الشكوك

فابتسمت نيشات وقـــالت إن حب بوليت قد زال من قلبي الان فثقي إني سأصنع بمونيتو كل ما تريدين .

قالت إذن فاعلمي خطتي : إني حين أودعت اموالي عند مونيتو كنت خائفة من عودة الملك والنبلاء ثم لم اعد أخاف الان شيئاً بعد قتل بيبي فان أورور وحنة لا تبلغان مني امراً اذا لم يكن لديهما مساعد ولذلك اريد ان استرجع اموالي من مونيتو .

– المال كله ؟

– دون شك .

– ولكنك ألم تودعيها خزانه القبيلة على شرط ان لا تأخذي منها غير ريعها فماذا تصنعين ؟

– ان ذلك منوط بك وليس بي فان هذا الرجل هائم بك ويجب ان تضلي صوابه ساعة .

– ذلك ممكن .

وتحمليه على التوقيع على ما نريد .

– وهذا ممكن ايضاً ولكن اموال القبيلة ليست في يد مونيتو بل يشاركه اثنان في ادارتها .

– هذا اكيد .

– ألا تخافين اذن ان يوقع مونيتو على تسليم المال ثم يكتب سراً الى رفيقيه ان لا يدفعاه .

فهزت تنوان رأسها وقالت : ارى انك لم تفهمي بعد كل شيء فان مونيتو يريد ان يسافر بنا الى المانيا ليتزوج بك فيها

– هذا الذي ارجوه واطمع فيه .

– اذن نبيعه هنا ما تريدين ان تبيعيه اياه في المانيا .

– لقد فهمت الان فان الامر لا يتعلق بثروتك الخاصة بل بماله وبالمهر الذي صيعينه لي .

– هو ذاك .

– ثم نقتسم هذا المهر ؟

– دون شك .

– ولكنه قد يوقع على ما نريده فكيف نقبض المال ؟

– ان له مصرفا خاصا كبيرا في فينا يضع فيه امواله الكثيرة فليوقع بتوقيعه وعلي البقية .

– ولكنه قد يوقع في ساعة غرام ثم ينقض في اليوم التالى ما كتب .

– ذلك اذا بقي في قيد الحياة .

فذعرت نيشات وقالت : اعولت على قتله ؟

فضحكت تنوان ضحكة هائلة وقالت : على اثر التوقيع وفي المساء اقبل مونيتو حسب عادته وهو يقول في نفسه : لقد قضت علي اشغالي بالعودة الى فينا فلا بد ان احمل تنوان هذه الليلة على أن تسير معي .

***

وجلس الثلاثة تنوان ونيشات ومونيتو : على المائدة فكانت تنوان ساكنة وعليها ظواهر الانشغال ونيشات ضاحكة لاعبة تحاول أن تسكر مونيتو ومونيتو ينظر اليها نظرات الهائمين ويشرب .

وبعد هنيهة قال مونيتو لتنوان : أتعلمين إننا مسافرون غداً ؟ فأجابته تنوان : من قال لك إننا نسافر ؟

— أنا أقول

— اذن لم يبق لك شغل هنا ؟

— نعم فقد أنهيت اليوم جميع أشغالي في باريس

— وقد حضرت الليلة لتوديعنا ؟

— بل حضرت لاخباركا كي نسافر كلنا معاً

— ولكني أنا لا أسافر

— لماذا ؟

— لأني مسرورة في باريس فاحب البقاء فيها

فقالت نيشات : ربما كانت تنوان مصيبة

فاضطرب مونيتو وقال : إذن كنتما تهزان بي ؟

فقالت له تنوان : إني لا أهزأ بأحد فاذا كنت لا أسافر فلا أمنع نيشات عن السفر معك .

فقالت لها نيشات : إني أكون ناكرة الجميل ياماءاذا سافرت معه وتخليت عنك ثم نظرت نظرة يأس إلى مونيتو فقال مونيتو في نفسه : إن تنوان تريد أن تمثل دوراً فلنرى ما تريد ثم تظاهر بالاسف الشديد وركع أمام نيشات فجعل يقبل يديها وعليه علائم اليأس .

فضحكت نيشات ضحكا عالياً وأنهضته أما تنوان فانها خرجت من القاعة وتركته وإياها فلما رأت نيشات إنها باتت وحدها مع مونيتو استحالت حالتها من الزهور إلى الانقباض فنظرت اليه نظرة الملتمس وقالت له : اسألك العفو .

فضمها مونيتو إلى صدره دون أن تبدي مقاومة وقال لها بلهف : كيف تريدين أن أسامحك ؟

– نعم فاني لست مطلقة القياد ماذا تعنين بذلك .

– إني عبدة تنوان .

ثم نظرت يمنة ويسرة نظرة الخائف وقالت له أتعلم انها أنذرتني بالقتل إذا لم أطعها طاعة لا حد لها ؟

– ماذا تريد منك وكيف تخشينها وأنا أتولى حمايتك .

– إنك لا تستطيع حمايتي هنا إذ لا قوة لك في باريس خلافاً لها فانها شديدة القوة ويطيعها المحامي د .

– ربما كانت لها هذه القوة في باريس أما في فينا فالسلطة لي

– ولكنها لا تريد أن تسافر اليها .

– لا أبالي بها بشرط أن تسافري أنت معي .

– فبكت نيشات وقالت : لا أحب إلي من السفر معك غير إني إذا خطوت خطوة وبغير إرادتها أغمدت خنجرها في صدري فتظاهر مونيتو بالخوف عليها وقال لها : ولكن ماذا تريد منك تنوان ؟

– تريد المستحيل وهي لا تريده مني بل منك .

– أوضحي قولك أيتها الحبيبة فاني أضحي كل شيء من أجل حبك .

– إنها تطلب طلباً لا تقدر على تحقيقه .

– إنها حين قدومك إلى باريس ذعرت ذعراً شديداً وهي لا يشغلها الا أمر ثروتها وخوفها من أن تجردها منها .

– هذا أكيد .

– وقد اتخذتني في خدمتهـا وعهـدت إلي أن أمثل دوراً شائناً لا أزال أمثله معك منذ خمسة عشر يوماً .

ثم أطرقت بعينيها استحياء فتنهد مونيتو وقال : إذن أنت لا تحبينني ؟

– إني لم أكن أحبك من قبل ولكني رأيت من كرم أخلاقك ما حملني على حبك ولو كنت مطلقة السراح لسافرت معك حين تشاء ولكني واأسفاه مقيدة بارادة هذه المرأة .

– وماذا تريد مني هذه المرأة في سبيل إطلاق سراحك ؟

– تريد مالها وأن ترد اليها ملايينها .

— ولكن هذا محال .
— إني أعرف ذلك واأسفاه وقد قلته لك .
— وأنا أقول لك إنه يستحيل علي أن أرد لها أموالها لأنها مودعة في خزانة القبيلة بشروط لا يمكن نقضها غير أن لي ثروة خاصة وهي طائلة كما تعلمين فأنا أعطي تنوان منها ما تشاء بشرط أن تتخلى عنك .
— أنت تصنع ذلك من أجلي !
فأجابها بملء البساطة : دون شك بل أفعل أكثر من هذا .
وعند ذلك فتح الباب ودخلت تنوان فكانت مصفرة الوجه قليلاً ولكن علائم السكينة والعزم الوطيد كانت بادية عليها فدنت من مونيتنو وقالت : إني كنت خادمة في بدء عهدي ومن عادة الخدم أن يسمعوا من خلال الابواب .
فتظاهرت نيشات بالرعب الشديد وقالت : رباه إنها سمعتني أما تنوان فانها نظرت اليها نظرة ملؤها الاحتقار وقالت لمونيتنو إن هذه الفتاه قد خانتني وأنا سأكلمك الآن بجلاء فاعلم إني سواء سرقت المال الذي أودعته عندك وسواء كان مالي أريد استرجاعه
— انك لن تناليه .
— وأنت لا تنال نيشات .
— سوف نرى .
اني اذا شئت سجنت هذه الفتاه التي تهواها بكلمة أقولها بل أنت نفسك لا تستطيع مغادرة باريس اذا كنت لا اريد .
فضحك مونيتو وقال : كيف تمنعيني عن السفر اذا أردته

– الملك نسيت أنك محكوم عليك بالاعدام منذ شهرين ثم نجوت وعدت الى باريس بجـواز منظم فاصغ الي الآن انك تعلم دون شك ان لي صديقاً قادراً في باريس .

– نعم وهو المحامي د

– وهذا المحامي عالم بكل شيء فاذا لم توقع على ما اطلب اليك التوقيع عليه يقبض عليك حين خروجك من هنا .

فظهرت على مونيتو علائم الخوف وقال : على ماذا تريدين أن أوقع ؟

– حوالة على مصرفك في فينا .

– كم قيمتها ؟

– أربعة ملايين .

– واذا وقعت هذه الحوالة ؟

– تصبح مطلق السراح وتسافر معك نيشات .

– اذن هـاتي معدات الكتابة فان نيشات تساوي اكثر من أربعة ملايين .

فقامت تنوان وذهبت الى غرفـة مجـاورة فقال مونيتو في نفسه : ان الامر جلي ظاهر فانها بعد أن أوقع الحـوالة تسقيني كأساً من الخمر المسموم فاذا أبيت الشراب فقد يقتلني رجالهـا ولذلك يجب الاحتياط .

وعند ذلك قـام الى النافذة فاخـرج من جيبه علبة صغيرة وأخذ منها حبتين كحبوب الدواء فابتلعها وعاد الى نيشات دون أن ترى ما فعل ثم جاءت تنوان بادوات الكتابة فكتب لهـا

الحوالة كما أرادت وأعطاها اياها فطوتها ووضعتها في جيبها وقد أشرق وجهها بنور البشر ثم قـالت له : انك تستطيع الآن أن تسافر متى شئت ولا أعترض نيشات في السفر معك .

فابتسم وقال : اني اذن لسعيد .

— ولكن ذلك لا يمنـع أن نتم العشـاء ثم غمـزت نيشات فقامت الى المائدة وقام معها مونيتو فجعل يأ كل ونيشات تصب له الخمر وتشرب واياه .

وكانت تنوان قـد مـرت وراء مونيتو فقـالت نيشات في نفسها : انها ستطعنه بالخنجر ولكن تنوان لم تفعل شيئاً من ذلك فجعلت نيشات تقول في نفسها : ماذا عساها تنتظر ؟

أمـا مونيتو فانه كان يلاحظ خلسة كل ذلك منهما فـوضع يده فجأة على جيبه وقال لتنوان : ماذا سقيتني ؟

— من الخمر الذي تشرب منه كل ليلة .

— وما هذا الدوار الذي أشعر به ؟

— انك أفرطت في الشراب

افتحوا النوافذ فاني محتاج الى الهواء .

ثم حاول أن ينهض ولكنه لم يستطيع بل سقط على الأرض وأطبق عينيه .

فقالت تنوان : لقد نام

فقالت لها نيشات : اذا كان ذلك فماذا تنتظرين ؟

— لا شيء .

— كيف ذلك فان الحوالة معك .

- هو ذاك .

- ولماذا لا تضربينه فتقتلينه ؟

- أية فائدة من ذلك ؟

- أتريدين أن تبقيه حياً ؟

كلا فانه مات لأن الخمر كان مسموماً وقد شربت منه أنت أيضاً لأنك خنتني فانتقمت منك .

فجمد الدم في عروق نيشات من الرعب وحاولت أن تنهض فتستغيث غير أن قوة سرية منعتها عن القيام وخنق صوتها فقالت لها رحماك اني في مقتبل الشباب فاشفقي علي .

فضحكت تنوان ضحك الساخر وقالت : ان من يخونني لا يستحق الرحمة .

وبينما نيشات تعارك الموت بقوة اليأس وضعت تنوان وشاحها على كتفها وقالت : والآن لنهرب فان المحامي ينتظرني ولم يبق ما أعمله في باريس فان أموالي هناك .

ثم خرجت من القاعة خروج الظافر تاركة فيها جثتان لا حراك بهما .

٣٠
انتصار تنوان

ولنعد الآن الى بولينا فان تنوان كفت عن مراقبتها بعد قدوم مونيتو اذ كانت تتفقدها من حين الى حين.

وكانت بولينا لاتزال سجينة في الغرفة ففتحت النافذة المطلة على الحديقة على رجاء ان ترى كوكليس البواب فقد تأملت كثيراً في الحالة مدة أسرها فاستنتجت ان تنوان ونيشات متفقتان على بيبي ومونيتو وبوليت وقالت في نفسها : إنهم لم يأسروني إلا لخوفهم مني واذا كانوا يخافونني فلحذرهم ان يكون لي إتصال بببيبي ومونيتو وانا الآن في اسوأ حال فاذا عرفت ان لي إتصالاً بمونيتو طردتني وإذا أصيب مونيتو بمكروه لايدفع لي ماوعدني بدفعه فخير لي أن أنقـذ مونيتو او انذره على الاقل بما يتهدده من الاخطار .

وكانت قـد رأت بيبي يحادث كوكليس مراراً ويختلي به خلوات سرية فاستنتجت وجود اتفاق بينهما وفتحت النافـذة على رجاء ان ترى كوكليس .

وقد كان باب غرفتها مقفلاً من الخارج فلا سبيل الى الخروج منه وأقل حركة تبديها تنبه تنوان والفرار من النافذة محـــال لشدة علوها .

ولما لم ترى كوكليس خطر لها ان تصل ملآت السرير بعضها ببعض وتستعين بها على النزول من النافذة .

وفيما هي تتأهب لذلك سمعت وقع أقدام في غرفة تنوان فامتنعت عما شرعت به وأقبلت الى البـاب تنظر ما يكون من أمرها .

وكان نصف هذا الباب من الخشب ونصفه الآخر من الزجاج فرأت تنوان داخلة الى غرفتها وهي تضطرب اضطراباً شديداً وعيناها تتقدان وقد اتشحت بوشاحها ولبست قبعتها مما يدل على انها عازمة على الخروج من القصر .

ثم رأتها فتحت خزانتها وجعلت تأخذ من هذه نقوداً ومن تلك اوراقاً مالية ومن غيرها مجوهرات فتضعها في جيوبها بسرعة واضطراب مما شككت انها تريد السفر .

ثم سمعتها تحدث نفسها بلهجـة المنتقم الفائز فتقول : اي نيشات اني تبنيتك فخنتني وأردت لك الخـير فجازيتني بالشر وتآمرت علي مع بوليت وبيبي ولقد لقيت ما جنته يداك فلا تخونين أحداً بعد الآن .

فارتعدت بولينا وذكرت خنجر تنوان فأيقنت انها قتلت نيشات وقالت في نفسها : ويح لي اني أنا قـد خنتها أيضاً فاذا فطنت لي يكون جزائي جزاء من قتلتهم .

ولكن تنوان لم تكن تفكر ببولينا في تلك الساعة فانها كانت تبغي الاسراع بالفرار قبل افتضاح أمرها .

فلما رأت بولينا انها انصرفت تنفست الصعداء وذهبت الى النافذة تراقب خروجها من الحديقـة فلم يكن غير بضع دقائق حتى رأتها تسير في الحديقة سير المضطرب ولكنها لم تذهب الى الباب الاكبر الذي يحرسه كوكليس كما توهمت بولينا بل ذهبت الى باب الحديقة .

فصبرت بولينا حتى سمعت صوت اقفال الباب فأيقنت انها قد انصرفت ولم تعد تفكر الا بالخروج من غرفتها والنظر في ما جرى لمونيتو ونيشات .

وكان نصف باب الغرفة من الزجاج كما قدمناه فأخذت منشفة وطوقت بها يدهـا وضربت بها الزجاج فانكسر ووثبت الى غرفـة تنوان ثم خرجت منها وجعلت تسير سير الخائف وهي تصغي من حين الى حين .

ولكنها لم تسمع حساً ولم تر أحداً فان الليل كان قد انتصف وجميع الخدم نيام حتى وصلت الى القاعة التي كانت فيها تنوان مع مونيتو ونيشات فرأت بابها مقفلاً والنور مضاء فيها فنظرت من ثقب الباب فلم تر احـداً فخافت ان تفتح الباب وهربت مسرعة الى الحديقة .

وعند ذلك خطر لها ان ترى كوكليس فذهبت اليه ووجدته ساهراً في غرفته ينتظر خروج مونيتو فقالت له : اين بنيامين ؟

ذعر كوكليس لما رآه من اصفرارها وقال لها: انه سافر.

– أأنت واثق ؟
– كلا ولكني لم أره منذ مساء امس .
– ومونيتو ؟
– انه يتعشى .
– مع من ؟
– مع السيدة تنوان .

لا صحة لما تقول فانها خرجت من القصر . ثم قصت عليه بالتفصيل جميع ما اتفق لها وما رأته ولما فرغت من حديثها رعب رعبها وقال لها : ماذا جرى لهم فيما تظنين ؟

– أظن انها قتلتهم .

فخرج كوكليس من غرفته مذعراً وقال لها : اتبعيني وسوف نرى ما كان .

ثم سار الاثنان الى تلك القاعة التي كان فيها مونيتو ففتح كوكليس بابها ودخل اليها مع بولينا فرأيا نيشات ممدة على الارض والزبد يخرج من فمها ووجدا مونيتو وقد عاد اليه رشده راكعاً امام الفتاة وهو يحاول فتح فمها ولا يستطيع .

فرفع عينيه ورأى كوكليس وبولينا فقال لهما : لقد أتيتما في حين الحاجة اليكما فهلما الى مساعدتي .

قال له كوكليس : ماذا يجب ان نصنع ؟

– يجب ان نفتح فم هذه الفتاة ونصب فيه هذا السائل الذي وضعته في هذا الكأس ، احمل الكأس وانا افتح الفم .

فامتثل كوكليس وجعل مونيتو يعالج فم نيشات حتى

تمكن من فتحه وأسرع كوكليس الى صب الشراب في فمها وهو ضد السم الذي شربته فقال مونيتو : اننا كدنا نخسر كل شيء فان تنوان سقتنا سماً هائلاً .

– أشربت السم انت ايضاً وكيف نجوت منه ؟

– اني توقعت انها ستسقينـا سماً فشربت ضده من قبل ولكني تظاهرت بالموت لاني كنت خالياً من السلاح وخشيت ان تقتلني بخنجرها .

بولينا : ولكن اين بنيامين وبوليت ؟

كوكليس : ان بنيامين قد سافر .

بولينا : انه لم يسافر وكذلك بوليت .

مونيتو : اننا متى انقذنا نيشات تخبرنا عن الحقيقـة فهي واقفة عليها دون شك .

أما نيشات فان صوابها قد بدأ يعود اليها فان مونيتو كان قد أنقذها ولكنه لم يشأ ان يظهر لها ذلك كي ينال بغيتـه من اقرارها فحملها الى سرير مع كوكليس ولم يمض هنيهة حتى سكن هياج اعصابها .

***

وكان مونيتو يدعك جسمها حتى عـــاد اليها كل رشدها فنظرت اليه نظرة امتنان وقالت : ويح لهذه الحية الرقطاء فانها أحيل من في الوجود .

نظر اليها مونيتو نظرة المشفق وقال : ان زمن تمثيل أدوار

الغرام قد مضى الآن فاني رجل شيخ لم يعد لي متسع للغرام في قلبي وانما كنت أتظاهر بغرامك لمأرب أريد نيله وقد نلته الآن.

وكانت نيشات لا تزال تتألم غير ان كلام مونيتو انساها آلامها فانها كانت تعتقد انها ملكت قلب هذا الرجل الغني وانها ستبلغ من أمواله ما تريد فكبر عليها هذا الانقلاب وانساها موقفها فقالت له منذرة : انك هزأت بي وسوف ترى ما يكون بيني وبينك .

فقال لها مونيتو : انك لولا فضلي لكنت من الاموات ولا تزال حياتك في قبضة يدي .

فتغلب حب الحياة عليها وقالت له : ماذا تريد مني ؟

— انك خدعت تنوان وهي أرادت قتلك .

— ولكني سأنتقم منها شر انتقام .

— هذا اذا ابقيتك في قيد الحياة فاذا شئت البقاء قولي الحقيقة

— ماذا تريد ان تعلم ؟

— كان يوجد رجل هنا يدعى بنيامين وقد اختفي فماذا جرى له ؟

— ان تنوان قتلته .

— أحق ما تقولين ؟

— أقسم لك اني صادقة .

— ولكن كيف قتلته . أبالسم ؟

— كلا بل بالخنجر. ثم قصت عليه حكاية الشمعة فقال مونيتو اذا أردت ان اصدقك فقد وجب ان تخبريني ماذا صنعتم بالجثة؟

فافتكرت نيشات ببوليت وقالت : لا أعلم .

— انك تكذبين .

— أقسم بالله ... ان ... تنوان .

فالتفت مونيتو الى كوكليس وبولينا وقال لهما : اننا نضيع الوقت عبثاً معها فانها لا تريـد ان تقول الحقيقة فلنبحث نحن وليفعل السم بأحشائها ما يشاء .

ثم خطا خطوة الى الباب فنادته نيشات قائلة: أتدعني أموت؟

وقف مونيتو وقال لها : اذا قلت الحقيقة تحيين .

وكانت نيشات تكره بوليت كرهاً عظيماً وهي تعـلم انه لا يزال حياً في الغرفة السرية فاذا أرشدت مونيتو الى تلك الغرفة أنقذه ولكنها اذا لم ترشده قتلها السم فتغلب حفظ حياتها على انتقامها فقالت له : اصبر لا تذهب .

أخذ مونيتو حبتين من العلبة التي كانت معه وحلها في كأس ماء وقال لها : اني امهلك دقيقتين للتفكير فاذا لم تقولي الحقيقة بعدها القيت هذا الكأس من النافذة فتموتين أفظع موت .

خافت نيشات خوفاً شديداً وقالت : اذن اذهب الى القاعة الكبرى تجد فيها صورة كبيرة .

— قد رأيتها مراراً .

— ضع يدك على اطارها من الجهة اليمنى وانزل بها حتى تعثر بلولب فتديره الصورة وتظهر لك الغرفـة السرية الموجود فيها بيبي .

فهم مونيتو ان يذهب ولكنها أوقفته بأشارة وقالت له :

اسمع ايضاً فان هذه الغرفة لا تحتوي على جثة بيبي فقط بل ان بوليت موجود فيها ايضاً غير انه لم يمت بعد واذا كنت تقول له اني انا الذي حبسته فيها يقتلني لا محالة فــلا أنجو من الموت على الحالين .

– اني لا أذكر له شيئاً من هذا فاطمئني ثم اندفع الى الباب فأرقفته نيشات وقالت : لقد قلت لك كل شيء فأسقني هـذا الدواء أتدعني أموت وتمضي ؟

– لا أسقيك من الدواء حتى أثق من صدق ما قلته لي .

ثم أخذ الكأس وسار وتبعه كوكليس وبولينا حتى وصل الى تلك القاعة فبحث عن لولب الصورة بيد ترتجف اشفاقاً على بيبي حتى اذا عثر به وأداره انفتح باب الغرفة السرية ولكنها كانت خاوية خالية فلم يجدوا فيها غير لطخ الدماء على الارض .

وقد جعل كل منهم ينظر الى الآخر حائراً مبهوتاً ثم تولد في نفوسهم رجاء وهو انه اذا صدقت أقوال نيشات فقد يكون بوليت هرب من الغرفة وأخذ معه بيبي وفي ذلك رجاء آخر يدل على ان بيبي لم يمت لان بوليت لا فائـدة له من إنقاذ جثة لا روح فيها .

وعند ذلك جعل مونيتو ينقب في تلك الغرفة عن منفذ غير منفذ الغرفة فأخذ يقرع كل موضع من جدرانها الاربعة .

وبينما هو على ذلك أصابت يده جسماً صلباً وفتح باب على أثر القرع انكشف عن سلم تنزل درجاته في جوف الارض .

فأمر كوكليس ان يحمل المصباح وينزل أمامه في ذلك السلم

فامتثل ونزل معه .

وكان السلم طويلاً فشعر مونيتو بهواء رطب حتى اذا بلغ الى آخر السلم شعر ان الارض رطبة موحلة ورأى ميزاباً متسماً من ميازيب الجاري وكان كوكليس قد سار معه اما بولينا فبقيت في أعلى السلم لخوفها من النزول فانحنى مونيتو وفحص الارض وقال لكوكليس : تعال وانظر .

— ماذا ؟

— ألا ترى آثار أقدام على الارض ؟

— هو ذاك وأظنها آثار خطوات .

وبعد ان سارا منها بضع خطوات صاح مونيتو صيحة فرح وقال : ان بيبي لم يمت .

— كيف عرفت ذلك .

— ألم تر هناك اثار قدمين ؟

— نعم .

— أنظر ايضاً نقط الدم على الارض فان جميع ذلك يدل على ان بيبي جريح وانه لم يمت ولكنه يمشي بعناء كما يدل وقع خطواته .

وعند ذلك وقف مونيتو فقال له كوكليس : ماذا عزمت ان تصنع .

— عزمت على ان نرجع من حيث أتينا .

— الا نواصل البحث عنها .

ـ كلا فان لهذه المجاري التي نسير فيها كثيراً من المنافـذ فسيكون بحثنا فيهـا محالاً فكن مطمئناً ان بيبي وبوليت لا يعدمان وسيلة للنجاة وأما انا فاني مضطر ان اعود الى المانيا فان تنوان سبقتني اليها . ثم ابتسم ابتسامة دلت على ما خبأه ملك النور لهذه النورية .

٣١

مقتل بيبي

ولنعد الآن الى بوليت فان تنوان حبسته في هذه الغرفة السرية كي يموت فيها جوعاً وهي دون شك لا تعلم ان لها منفذ غير منفذ الصورة .

أما غيبوبة بوليت فقد دامت ثلاث ساعات غير ان غيبوبته كانت على شكل غريب فان هذا المخدر الذي سرى الى جسمه من رائحة الشمعة يخدر الجسم بجملته ويفقد جميع الحواس ما خلا حاسة السمع وعلى ذلك فقد سمع كل ما قيل امامه .

وقد سمع كل ما تحدثت به تنوان ونيشات عنه وعن بيبي ولكنه لم يكن يدري اذا كانوا قد وضعوه في تابوت او دفنوه حياً فكان يقول في نفسه : اني سأستفيق بعد بضع ساعات فتنفتح عيناي واعلم اين انا . فصبر مكرهاً الى ان حان وقت استفاقته فشعر بحرارة قد دبت الى جسمه ثم بذل جهداً عظيماً وتمكن من تحريك يده فوقعت على مادة رطبة فلم يدر اذا كان ذلك دم او ماء .

ثم انقلب على جنبه وكان نائماً على ظهره ومد يـــده أيضاً

فأصابت جسم انسان ، وعنـد ذلك انتهى تأثير المخدر تمامـاً فتمكن من الوقوف وفتح عينيه فلم يستطع ان يرى شيئـاً لكثافة الظلام .

وكان في جيبه علبة كبيرة من الكبريت الشمعي ولكل عود من عيدانها فتيلة ضخمة اذا أنير اضاء كما تضاء الشمعة وهو من مخترعات ذلك العهد فلم يلبث ان أنارها حتى صاح صيحة اليأس فانه رأى بيبي غارقاً بدمائه .

وأسرع الى وضع يـده على قلبه فشعر انه ينبض وأيقن انه لم يمت .

وعند ذلك وضع الشمعة على الارض ومزق قميصه فضمد بها جرحه منعاً لنزف الدم وبعد حين تنهد ثم فتح عينيه ونظر الى بوليت وقال له بصوت خافت : أهذا انت ؟

– انك لم تمت والحمدلله ولكن أين نحن ؟

– سوف أخبرك .

وكان بيبي قـد تخدر كما تخدر بوليت اي انه فقد حواسه ما خلا حاسة السمع .

ويذكر القراء ان تنوان حكت لنيشات تاريخ هذه الغرفة السرية حين كان بيبي صريعاً من المخدر في غرفته ففهم كل حديثها وأيقن ان تنوان قد انتصرت عليه .

وقد علم كيف تفتح هذه الغرفة ولكنه بعد ان طعنته تنوان بالخنجر امتزج الاغماء بالتخدير فلم يعد يسمع شيئاً .

ولكنه علم أين هو فقال لبوليت: اننا في غرفة اذا فتح بابها

أشرف على قاعة تنوان الكبرى ولكني لا أعلم اذا كان هـذا الجرح قاض علي فهل انت جريح ؟

– كلا فقد قضي علي ان اموت جوعاً قرب جثتك .

– أتعلم ان تنوان داهية دهماء .

– انها الى الآن فائزة علينا ولكن الحكم لا يكون قبـل النهاية أما نيشات فانها لا تموت الا من يدي .

– واكن يجب من أجل ذلك ان نخرج من هنا ثم بذل جهداً عظيماً حتى تمكن من الوقوف .

قال له بوليت : كن مطمئناً فسنخرج كلانا من هـذا القبر الذي أعدته لنا تنوان . فاستند بيبي الى الجدار وقال له: لا بد ان يكون لهذه الغرفة منفذاً آخر لقد كانت ملجأ للمنفيين .

– وانا أرى ما تراه .

إبحث جيداً على الجدران الى ان تعثر بجسم صلب .

– سابحث واكن لنتفق الآن على ما يجب ان نصنعه .

– تكلم .

– اني بعد فتح الباب أخرج منه قبلك وخنجري بيدي وانت تتبعني فأقتل كل من ألقاه في طريقي .

– لا أعلم اذا كنت استطيع المشي .

– إذن أفتح النافذة وأنادي كوكليس فيأتي لنجدتنا .

– حسناً فأبحث الآن عن اللولب .

وجعل بوليت يبحث نحو ساعة حتى قال أخيراً لبيبي : اني وجدت مسماراً . قال : أضغط عليه .

فضغط بوليت وعند ذلك فتح باب ولكنه لم تظهـر وراءه قاعة القصر الكبرى بل ظهر سلم فقال : هلم ندخل من هذا الباب

— ولكنه الباب الذي سنخرج منه ؟

— ولماذا لا نبحث عن لولب الباب الذي دخلنا منه ؟

— لا فـائدة من ذلك فانتنوان ونيشات تعتقدان أني ميت

— هذا لا ريب فيه .

وأنت محكوم عليك بالموت جوعاً فهما لا تفتحان هذه الغرفة لا فتقادنا إلا بعد ثلاثة أو أربعة أيام .

— هذا أكيد أيضاً فان نيشات تعلم أن خنجري لا يفارقني

— فلنفترض أننا استطعنا الخـروج من هنا دون أن يعلم بنا أحد واجتمعنا بمونيتو فان تنوان لا تحذر منا لاعتقادها إننا من الأموات وفي ذلك أرجحية لنا لا تخفى عليك .

— لقد أصبت ولكن من يعلم الى أين يؤدي بنا هذا السلم .

— لا أعلم بالتدقيق ولكن لا بد أنه يؤدي إلى منفذ فلننزل منه وسوف نرى ما يكون .

وعند ذلك توكأ بيبي على كتف بوليت وخرجـا من الغرفة فلما نزلا قال بيبي : إني واثق من أن تنوان لا تعلم أن للغرفة هذا المنفذ .

— ربمـــا .

— إذن فلنقفل الباب قبل نزولنا .

— أية فائدة لنا من ذلك ؟

– لا فائدة لنا سوى انها تنذهل انذهالاً عظيما حين تتفقدنا ولا ترانا .

– ليكن ما تريد .

ثم أقفل بوليت الباب ونزلا بضع درجـات فشعر بيبي أنه لا يستطيع مواصلة السير فحمله بوليت ونزل به .

وكان الهواء يختلف كلما تقدما بحيث انتعش بيبي قليلاً فقال له بوليت : اتعلم إلى أين نحن سائرون ؟

– نعم فاننا نسير تحت القصر وسندخل في المجـاري ؟ وقد بات قادراً على المسير . ثم نزل عن كتفه وسار معه وهـو يتوكأ عليه وبعد أن مشيا قليلا قال بيبي : لنقف هنا .

لماذا ؟ – أليس خنجرك معك ؟

– دون شك .

– ارسم به رسما على هذا الحجر .

– لمـــاذا ؟

– لنهتدي إلى الطريق إذا أردنا الرجوع من حيث جئنا .

فامتثل بوليت فقـال له بيبي : إني حين كنت عـاملاً في البوليس في أيام الثورة كنت أنزل مراراً إلى المجاري فان النبلاء كانوا يختبئون فيها وكنت ألاحظ أننا كلما بلغنا إلى مثل هـذا المكان المتسع الذي نحن فيه الآن نجد فوقنا منافذ .

– كيف تكون مثل هذه المنافذ .

– ألم تلاحـظ أنت في الشوارع تلك الحجارة الكبـــيرة المستديرة المخروقة في وسطها .

– نعـــم .

– هذه هي أبواب المجاري فاذا رفعنا حجراً من هذه الحجارة خرجنا من الدهليز .

وفيما هما على ذلك سمعا ضجيجاً فوق رأسيهما فقال له بيبي : ألا تسمع ؟ إن هذا صوت المركبات تسير فوقنا وهو ما يدل على أننا في شارع وأن الباب قريب .

ثم واصلا السير حتى رأيا نور النهار ينبعث من منفذ فقـال بيبي هذا هو الباب وإن نور الشمس ينفذ من خرق الحجر وذلك دليل على قرب المنفذ .

– كيف نخرج ؟

– ننتظر أن يهجم الليل فنرجع الحجر ونخرج .

وأقام الأثنان ثلاث ساعات يتحدثان حتى توارت الشمس في الحجاب واحتجب النور فحـاول بوليت رفع الحجر ولكنه لم يستطع لأنه كان متيناًوليس لديهآلات لرفعه ولا يستطيع بيبي معاونته لجرحه فاضطرب في أمره وقال ماذا نصنع ؟

– نخرج .

– ولكن كيف ؟

– من حيث دخلنا .

أنعود إلى قصر تنوان .

– دون شك اليس هذا الذي خطر لنا حين كنا في الغرفـة

– هو ذاك .

— وفوق ذلك فقد خطر لي خاطر سأذكره لك في الطريق فلنعد الآن أدراجنا .

*

وجعل بيبي يحادث بوليت على الطريق فقال له : اننا حين نصل الى الغرفة السرية يكون مونيتو على المائدة مع تنوان ونيشات واظنه رأى كوكليس وكلاهما منشغل البال لغيابنا

قال : ولكنك ودعت مونيتو وهو لا يتوقع أن يراك

— نعم ولكني لم أودع كوكليس ولابد أن يكون ذكر لمونيتو اضطرابه لغيابي فلنسرع الخطى .

— لماذا !

—كي ندرك مونيتو قبل انصرافه فاذا كنا ثلاثة خيراً من أن نكون اثنين لا سيا واني جريح .

— لقد أعجبني هذا الخاطر اذ يمهد لي سبيل الاجتماع بنيشات

— غير اننا سنعرقل مساعي مونيتو ولكن لابأس اذ ليس لدينا طريقة غيرها وفوق ذلك فان مونيتو يريد أن يعذبها عذاباً اليا لأنها أهانت القبيلة ولا نعدم نحن وسيلة فظيعة لتعذيبها فقد حاولت قتلنا .

فهز بوليت الخنجر بيده وقال : انا اتكفل بنيشات .

وواصل الاثنان السير حتى انتهيا الى المكان الذي دخل اليه مونيتو و كوكليس فوقف بيبي مندهشاً وقال له : انظر ألا ترى أثر أقدام ؟

— ولكنها آثار أقدامنا .

— لا يمكن أن يكون ذلك اذ ليس للواحد منا اربعة اقدام اذن ما هذا ؟

انهم بحثوا عنا بعد ذهابنا واقتفوا آثرنا .

— من هم تنوان ونيشات .

— كلا فان هذه الاقدام أقدام رجال وربما كانت اقدام مونيتو و كوكليس .

فتوقف بوليت متردداً في المسير فقال له بيبي :جرد خنجرك وتقدم غير مكترث فما قدر يكون .

فامتثل بوليت وسار الاثنان حتى وصلا الى السلم فصعداه ولما بلغا الى آخره قال له بيبي : هو ذا الباب مفتوح وقد اقفلناه حين خروجنا من الغرفة أتشك بعد الآن ؟ .

ولم يكن باب السلم وحده مفتوحاً بل باب الصورة أيضاً فوقف الأثنان واصغيا فسمعا صوت مونيتو فقال بيبي : هلم بنا ندخل فلم يبق خوف علينا ونحن لا نظهر لهم الآن بمظاهر الخيالات فهم يعلمون اننا لم نمت .

وسارا حتى وصلا الى قاعة الطعام فدفع بيبي الباب ودخل يتبعه بوليت وكان مونيتو قد عاد منذ عشر دقائق مع كوكليس وجعل يتم معالجة نيشات فانها كانت لا تزال تتألم من تأثير السم وانما أراد شفاءها لاحتياجه اليها في معاقبة تنوان .

فلما دخل بيبي من باب القاعة صاح مونيتو و كوكليس وبولينا صيحة فرح خلافاً لنيشات فانها تراجعت وقد أخذ منها الذعر

كل مأخذ . وقالت ماذا أرى أبعث من في القبور ؟

أما بيبي فانة انذهل اذ لم ير تنوان وسأل مونيتو بالنظر لما حدث فقال له مونيتو : حـدث أن تنوان قـد سافرت بعد أن سقتنا السم أنا ونيشات أما أنا فلم يؤثر بي سمها خلافـاً لنيشات ولو لم ادركها لقضت نحبها .

فقال له بوليت : اشكرك لعنايتك بها ومتى تم شفائها فانا اتكفل بأمرها .

فرجف قلب نيشات لهذا الوعيد وقالت له رحماك اصفح عني فضحك بوليت وقال : سوف ترين أيتهـا الحسناء كيف أصفح عنك وعاد بيبي الى سؤال مونيتو فقـال له : الى اين سافرت تنوان ؟

— الى حيث كنت اريد أن تسافر .

— الى فينا ؟

— هو ذاك فان هذه المرأة كثيرة الدهاء ولكنها ليست أدهى منا فان سمها لا يقتلني وخنجرها لا يقتلك .

— ولكن ماذا ذهبت لتصنع في المانيا ؟

— ذهبت لتقبض أربعة ملايين .

فتراجع بيبي منذعراً وقال العلك تمزح ؟

— كلا

ثم نظر الى نيشات وقال : اني احببت هذه الفتاة وكان وجود تنوان معنا يتعبني فاشتريت راحتي بهذه القيمة .

— لا أفهم ما تقول .

– إنها طلبت إلي أن أرجع لها مالها .

– كيف ذلك هل أرجعت المال بعد أن رأيت البراهين؟

– كلا ولكني أعطيتها أربعة ملايين من مالي الخاص ثم ابتسم وقال : ولكن كن واثقاً أنها لا تقبض درهماً من هذا المال .

– كيف ذلك ؟

– ذلك اني متفق مع صرافي على توقيعين توقيع يعمل به ويدفع القيمة التي حولت بها وتوقيع لا يعمل به ولا يدفع وقد ختمت بالشكل الثاني .

فسر بيبي لذلك وقال : اذن فهي الآن في طريق المانيا .

– هو ذاك .

– وهي تعتقد أنك ميت .

– بل تعتقد أنها قتلتنا جميعاً .

– والآن ماذا عزمت أن تصنع ؟

– على السفر حين تتماثل نيشات وتصبح قادرة على الرحيل

– أتسافر معنا ؟

– نعم فاني محتاج اليها .

فعض بوليت شفتيه من غيظه وقال لمونيتو : أتحسب أني أغفر لنيشات جريمتها الهائلة ودفنها اياي حياً .

فأجابه بيبي قائلاً : انك تصنع ما تريده فاذا كنا محتاجين الى نيشات فقد وجب عليك الصبر الى حين الفراغ من حاجتنا.

ثم اضطرب وقد خطر له خاطر فجائي فقال لمونيتو : العلك لاتزال محتاجاً الى رسائل الأميرة ؟

– أما أنا فلا ولكن مجلس شوراي يجب أن يطلع عليها ويقابل بين خطها وخط الوصية كي يتضح له التزوير ويوافقني على ارجاع المال لأصحابه .

– ولكن الرسائل فقدت مني ؟

– كيف ذلك ؟

– ان تنوان أخذتها مني حين تخديري وأحرقتها .

فاشرق وجه نيشات بنور الرجاء واغتنمت هذه الفرصة فقالت لبيبي : أتكفيك رسالة واحدة ؟

– دون شك .

– اذن فاعلم ان لدي رسالة .

– هاتها .

– كلا فلا أعطيك اياها قبل أن نتفق على الشروط فانكم لو فتشتم في كل مكان لما عثرتم على هذه الرسالة .

– اذن نقتلك .

– وأنا لا أسلمكم الرسالة الا اذا عفوتم عني وأنقذتموني من القتل

فقال بوليت : كلا ان هذا لا يكون .

وقال بيبي : اني أعفو عنك .

وقال مونيتو : وأنا كذلك .

فنظرت الى بوليت نظرات ملؤها الذعر وقالت : ولكن من يضمن لي عفو بوليت .

وكان بوليت واقفاً في ذلك الحين موقف المتردد بين الانتقام

لنفسه وبين خدمة أورور الى أن تغلب عليه الميل الى خدمة أورور فانها لا يمكن أن تستعيد مالها الا بهذه الرسالة فالتفت الى نيشات وقال لها : حسناً قد عفوت عنك .

– اني أريد ضمانة على ما تقول .

– اذا كانت تكفيك ضمانتي فانا الضامن ·

– انها فوق الكفاية وسأعطيك الرسالة حين نسافر فقد ظهر لي أنك تريد أن تصحبني .

– نعم فاني محتاج اليك .

وفي اليوم التالي سافر في مركبة واحدة مونيتو وبيبي وبوليت ونيشات الى المانيا للبحث عن تنوان .

٣٢
تنوان والمحامي

كانت تنوان قد تقدمتهم بعدة ساعات واننا نقص ما جرى لها منذ خروجها من القصر فنقول :

انها اخذت كل ما كان لديها من المجوهرات والنقود والاوراق وتلك الحوالة على مصرف مونيتو واخذت ايضاً الشهادات الدالة على حسبها واسمها وخرجت من قصرها بسرعة الى لقاء عشيقها المحامي

اما المحامي فقد كان ينتظرها بفارغ الصبر وهو يقول في نفسه انها تريد ان تتزوجني فاضحي من اجل مالها هذه التضحية ولكنها بعد ذلك اليوم لا تكون الرئيسة بل اكون انا السيد المولى .

وفيما هويناجي نفسه بهذه الاماني اقبلت تنوان فصعدت الى المركبة بسرعة وامرت السائق ان يسير في طريق ستراسبورج فاندفعت المركبة ولم تفه تنوان بكلمة حتى باتت تلك المركبة خارج باريس فالتفتت الى المحامي وقالت له : اتعلم الى

اين نحن ذاهبان .

ـ لا ابالي بذلك مازلت معك .

ـ كفي ايها الصديق من احاديث الحاملات ولنبحث في اشغالنا .

ـ مري بما تشائين .

ـ اننا ذاهبان الى فينا ـ حسناً .

ـ وهناك نقبض حوالة قيمتها اربعة ملايين .

فارتعش المحامي وقال : احق ما تقولين ؟

قالت : نعم فسنقبض هذا المال ونعود الى فرنسا .

فتنهد تنهد الارتياح وقال : حسناًتصنعين فقد كنت اخشى ان تكوني عولتي على الاقامة في المانيا .

ـ لقد كان هــــذا اول ماجال في خـاطري وسوف تري اني كنت مصيبه .

ـ كيف ذلك ؟

ـ ذلك ان المانيا بلاد ساكنة هادئة فيها كثير من البزاري الفيحاء فقد خطر لي ان نبني قصراً فخماً عند بحيرة نعيش فيه مع الفلاحين وقد كان هذا الفكر صواباً وحكمة وان كلينا يعرف الآخر حق العرفان بحيث لم يعد حاجة الى التكتم بيننا

ـ هذا لاريب فيه .

ـ وقد كنت احسب انه اذا عادت الملكية الى فرنسا كان الخطر شديداً على ثروتي .

ـ دون شك ولكن اطمأني فان الملكية لا تعود .

— وانا اعتقداعتقادك الآن .

— وانا لا ازال قادراً على حمايتك ايتها الحبيبة .

— وانا معتمده عليك فدعني اتم حديثي فقد خطرلي في البدء وحين كنت اتوقع هـــذا الخطر ان اعيش معتزلة معك عيشة هنيئة هادئة ولكنك من اهل الحظ والخلاعة .

— لا انكر ذلك .

وانا مثلك ايضاً فاذا اقمت في المانيا ستة اشهرتولتني الكآبة والضجر ولذلك رجعت عن عزمي السابق .

— حسناً وبعد ذلك ؟

— نعود الى باريس .

— هذا ما اتمناه .

— غير اننا سنتزوج على الطريق فتغدو تنوان النورية امرأة المحامي د . الشهير اعظم رجال الجمهورية الفرنسية فلا اخشى اعدائي بعد زواجي بك وانتسابي اليك .

— دون شك ولكن .

— لكن ماذا .

— انتزوج حين ذهابنا او بعد عودتنا ؟

— بل حين ذهابنا فاسمع الان ما خطر لي اتعرف محافظ ستراسبورج .

— انه صنيعتي وانا وليته هذا المنصب .

— اني اعرف ذلك فهو لا يرفض لك طلباً .

— دون شك .

– اذن سنتزوج في ستراسبورج .
– ليكن ما تريدين .
– وانا الآن اقترح عليك شروطي .
– بل تلقين علي اوامرك .
– كما تشاء فاعلم اني كنت في عهد روبسبيير خيراً مما انا عليه الآن .
– كيف ذلك ؟
– ذلك ان رجال الحكومة كانوا يتمشون عندي ويتمنون رضائي وقد امتنع اكثرهم عن زيارتي الآن .
– سيعودون الى ما كانوا عليه بعد ان تصبحي امرأتي .
– هذا الذي اريده .
– وسيكون ما تريدين .
– اني لا اطيق ان ارى مدام تاليان تسحقني بجمالها وكبريائها واريد ان تزورني . وكان هذا المحامي في موقف معها لو سألته فيه عرش فرنسا ما امتنع عن وعدها به . فقال لها : ستزورك مدام تاليان .

وبعد ذلك بيومين وصلا الى ستراسبوج فعقد زواجهما فيها وباتت تنوان امرأة المحامي الشرعية فقالت في نفسها : لقد اتخذت الآن من يحميني فلا ابالي بداغوبير ولم اكن اخشى غير بيبي ولكنه قد مات .

وكان المحامي يقول في نفسه : اني متى قبضت المال لا اعدم وسيلة للتخلص من هذه الشمطاء .

وفي الليلة نفسها سافرا الى المانيا وبعد خمسة ايام وصلا الى فينا ووقفت بهما المركبة عند باب اعظم فندق فيها فقالت تنوان وعلائم الجزع بادية عليها ، لقد وصلنا متأخرين ساعتين .

— لماذا ؟

— لان المصرف الذي سنقبض منه مقفل ويجب ان ننتظر الى الغد .

— ما زالت الحوالة صحيحة فأي فرق بين ان نقبضها الليلة اوغداً ومما تخافين ؟

— اخاف ولا اخاف .

— لا افهم ما تقولين .

— اني اخاف امراً مجهولا لا سبيل الى ايضاحه لانه من احاديث القلب .

وقد كانت تنوان خلال السفر استحالت فجأة من الزهو الى انقباض ذلك لانها كانت كاكثر اهل جنسها كثيرة التشاؤم فانها حين كانت على بعد عشرين مرحلة من فينا وكانت مركبتها تسير في وسط غابة طــارت بومة قرب المركبة فاصفر وجهها وتشاءمت منها .

وبعد ذلك بقليل رأت غراباً كان على شجرة فطار قرب المركبة فتمكنت منها الهواجس وجعل قلبها يحــدثها بشر النكبات فلما وصلت الى فينا كانت مطضربة خائفة دون ان تعلم السبب من هذا الخوف بعد ان قتلت اعداءها واماتت مونيتو بالسم وكانت تعيد كل هذه البراهين في مخيلتها كي تأنس بها

ولكنها لم تكن تزيل ما تمكن في قلبها من المخاوف .

وبعد ان فرغت من طعام العشاء مع زوجها المحامي قالت له : ان فينا من اجمل العواصم فاذهب وتنزه فيها فاني سأنام فخرج المحامي مسروراً من هذا الفراق ودخلت تنوان الى مضجعها ولكنها على فرط تعبها لم يغمض لها جفن .

ومضت الساعات حتى اشرق الفجر دون ان يعود المحامي فاضطربت تنوان اضطراباً شديداً واستحالت هواجسها الى رعب فقالت في نفسها : ماذا جرى العلي لم اقتل بيبي وما بال المحامي لم يعد لا شك انه نكب بنكبة ألا يمكن ان يكون ذلك من صنع بيبي ؟

٣٣
تنوان زوجة المحامي

ولنعد الآن الى المحامي د. الذي لم تعرف تنوان سر غيابه ونقول :

انه حين خرج من الفندق للنزهـــة جعل يجول في الازقة والشوارع الى ان حانت ساعة التمثيل .

وكان احد الادلاء في الفندق قال له: ان أشهر ملعب في فينا ملعب كالس وانه سيمثلون فيه الليلة رواية مشهورة .

فذهب الى ذلك الملعب وكان غاصاً بالمتفرجـين وجلس في كرسيه المنمر وجعل يجيل نظره في تلك القاعة الفسيحة حتى استقر نظره على امرأة في لوج لم تر العيون أبدع منها .

وكانت هـذه المرأة في العشرين من عمرهـا سوداء الشعر والعينين فتنة للناظرين بجمالها النادر .

وكانت جميع النظارات في القاعة مصوبة اليها وهي جالسة في لوجها جلوس الفائز لا تكترث بأعجاب الناس بها فتنظر اليهم نظرات تشبه نظرات الاحتقار .

وكان جالساً معها رجل اسمر الوجه براق العينين فلم ينتبه المحامي اليه في البدء لان جمال الصبية قد أدهشه .

وقد دخل رجل حين دخول المحامي الى القاعة وجلس على كرسي بجواره وهو بملابس السفر كالمحامي وله من العمر نحـو خمسين عاماً وجعل ينظر خلسة الى المحامي ثم يبتسم ويقول في نفسه : أرى ان مهمتي ستكون أسهل مما كنت أتوقع .

ولما أسدل الستار لانتهاء فصل من فصول التمثيل انصرفت الحسناء الى محادثة الرجل الجالس معها بحيث لم يعد يرى المحامي غير ظهرها .

وعند ذلك لمس الرجل الجالس بجوار كتفه وقال له باللغـة الفرنسية : أرى يا سيدي انك من عشاق الجمال .

فسر المحامي لانه سمع حديثاً بلغته ولان هذا الرجل قد علم ما في نفسه ، فحياه بلطف وأدب .

فابتسم الرجل وقال له : يظهر يا سيدي ان كريتشن الحسناء قد فتنت لبك .

– أتدعى كريتشن ؟

– نعم .

– كريتشن ماذا ؟

– ليس لها غـــير هذا الاسم وهي ليست من أهل النسب ولكن لا يوجد نسيبة من أهل البلاط تجاسرت على مجاراتهـا في سلب العقول .

– من أي بلاد هي ؟

– ليس من يعلم حقيقة أصلها وقد أحبها ارشيدوق فاضطر الامبراطور الى نفيه لانه أراد ان يتزوجها والكونت ر. وهو من أعرق الاشراف نسباً انتحر في سبيل هواها وتبارز الماجور ب والكولونيل ج. تحت نوافذ منزلها فقتل الماجور على الفور ومات الكولونيل في اليوم التالي .

– ومن كان عشيقها ؟

– لم يكن أحد منهما فان هذه الحسناء تلهب نظراتها القلوب ولم يعرف لها عشيق الى الآن .

– وهذا الرجل المقيم في اللوج ؟

– هو البرنس جيزولي وهي راضيــة عنه منــذ شهر وهو يصحبها الى المسارح والمراقص .

– أتذهب ايضاً الى المراقص ؟

– تذهب دائماً ولكنها لا ترقص أبداً وهي لا تبتسم أبداً حتى لقد رويت عنها رواية فان بعضهم يقول انها فرنسية ولكن لم يسمعها أحد تتكلم بهذه اللغة وهي تتظاهر انها لا تفهم كلمة من اللغة الفرنسية ولا تتكلم إلا الالمانية .

– إذن لماذا أشيع عنها انها فرنسية .

– أجابه الرجل بصوت منخفض: اصغ جيداً لما أقول انهم سيرفعون الستار قريباً وتعود هي الى موقفها الاول بحيث تراها جيداً فانظر اليها تجد في عنقها عقداً من اللؤلؤ .

– لقد رأيته .

– ولكن انظر جيداً فسأعطيك نظارتي .

— ماذا تريد ان انظر .
— أريد ان تراقبها فاذا تحركت تحرك العقد .
— وبعد ذلك ؟
— ترى تحت العقد عقداً آخر ولكنه رفيع جداً يشبه الخيط
— وهذا العقد ؟
— انه أحمر ويقولون انه تذكار لمراقص الضحايا وان كريتشن هذه من فرنسا وقتل اهلها وخطيبها في زمن الثورة الفرنسية .
— ولكنك تقول ان لا عشاق لها ؟
— هذا ما يقوله الجميع .
— أليس لها غير اسم كريتشن ؟
— ربما ولكن ليس من يعرفه .
— ألعلها غنية ؟
— انها كثيرة الغنى ولكن ليس من يعلم مصدر ثروتها .
— اذن فهي تعد من الالغاز الدقيقة .
— بل هي لغز مدهش فانها تقيم في قصر فخم وتحضر المراقص فيرافقها كل ليلة رجل ويوصلها الى منزلها حتى اذا دخلت الى الباب انحنى بملء الاحترام وانصرف وهي غالباً تدعو كثيراً من الناس الى منزلها للعشاء عندها بعد العودة من المسارح .
— أحق ما تقول ؟
— نعم وان البرنس جيزولي يتولى الدعوة .
— ولكن هيئته تدل على الغيرة .

— وهو في الحقيقة غيور ولكن لا بد له من الامتثال لارادة كريتشن .

وفيما هو يقول ذلك قرع الجرس اشارة الى فتح الستارة فتحركت كريتشن ورأى المحامي العقد الاحمر في عنقها تحت عقد اللؤلؤ فقال في نفسه : ان هذا الرجل قد يكون مصيباً فيما قاله ثم قال له : أهي في فينا منذ عهد بعيد ؟

— منذ ستة عشر عاماً ولكنها سافرت منذ شهر ولم يعلم أحد الى أين ذهبت حتى البرنس نفسه .

وكان المحامي يحادث جاره وهو ينظر الى الحسناء فتنبه له جاره وقال وهو يبتسم : ألعلك بت من عشاقها ؟

— ربما .

— أتريد ان أسديك نصيحه ؟

— أقبلها بالشكر والامتنان .

— نصيحتي هي ان تبرح الملعب في الحال الى الفندق الذي انت فيه فتأخذ أمتعتك وترحل عن هذه العاصمة .

— لماذا ؟

— اني اسديك خير نصح واذا لم تقبله كنت من المخطئين.

غير ان المحامي لم يجبه فان كريتشن كانت قد التفتت الى جهته وجعلت تنظر اليه فشعر المحامي ان نظراتها قد كهربت جسمه واخترقت أعماق قلبه ثم رآها قد اتجهت الى البرنس وجعلت تكلمه بصوت منخفض فقال له جاره : اسرع يا سيدي بالرحيل كما قلت لك .

— ولكن لماذا ؟
— لانك اذا لم تسرع يفوت الاوان ولا تستطيع السفر .
— كيف ذلك ؟
— ذلك ان كريتشن تدعوك للعشاء عندها .
فاضطرب المحامي اضطراباً شديداً وقد رأى من نظرات كريتشن ما أيد كلام جاره فقال في نفسه : ماذا أرى ألعلي في عالم الخيال ؟

* * *

وبعد هنيهة رأى المحامي ان هــذا البرنس خرج من لوج كريتشن فقال جاره: انك اذا ذهبت اليها ترتكب خطأ عظيماً
— لماذا ؟
— لانك تهيم بها .
اما البرنس فانه وقف في باب القاعة وحيا المحامي تحية تفيد الرجاء بمقابلته حين انتهاء الفصل فرد المحامي تحيته بما يفيد انه فهم قصده .
اما جاره فقد قال له : لا شك عندي ان كريتشن تعرفك .
— ويظهر انك انت تعرفني ايضاً .
— اني وصلت الى الملعب في الساعـة التي وصلت انت فيها وعلمت من لهجتك في حديثك حين كنت تطلب شراء تذكرة الدخول انك فرنسي وهذا كل ما عرفته عنك .
— ولكن كيف عرفتني هذه المرأة ؟

– ذلك لانها لا يفوتها خبر من اخبار العاصمة .
– من يأتيها بهذه الاخبار ؟.
– البارون باهلن رئيس البوليس الاعظم فهو من خير اصدقائها وانت تعلم دون شك مهارة البوليس في هذه العاصمة .
– نعم فان شهرته عظيمة .
– بل ان لهذا البوليس عناية خاصة بالاجانب القادمين الى فينا فلا يأتي الغريب اليها حتى يعلم البوليس بعد عشر دقائق بجليه امره .
فقطب المحامي جبينه وقال في نفسه : انه اذا كان ذلك فهم يعلمون ايضاً اني تزوجت بتنوان .
وعند ذلك دخل رجل الى لوج كريتشن وقبل يدها والمحامي يراه فقال له جاره : هو ذا البارون باهلن الذي حدثتك عنه .
– اهو رئيس البوليس ؟
– نعم وان كرتشن تحدثه عنك انظر كيف ينظر اليك .
وكان المحامي قد جاء الى فينا ومعه جواز منظم فخطر له ان اسمه مشهور وانه كان في طليعة الدافعين الى قتل لويس السادس عشر وامرأته ماري انطوانيت ابنة ماري تيريز النمساوية وهو الآن في عاصمة بلاد النمسا الا يمكن ان يحاول النمساويون الانتقام منه ؟
وعند ذلك خطر له ان يعمل بنصيحة جاره ولكن ميله الى رؤيا كرتشن تغلب عليه فعول على البقاء .

وبعد هنيهة انتهى الفصل ونزل الستار فذهب لمقابلة البرنس فوجده ينتظره في الرواق فحياه البرنس باسمه فرد المحامي تحيته فقال : اني اعرفك يا سيدي منذ ربع ساعة فان كريتشن اجمل امرأة في بلادنا عهدت الي بمهمة اليك وانت فرنساوي يا سيدي أليس كذلك .

– دون شك .

– ان كريتشن لا تحقد على الفرنسيين حقد النمساويين عليهم لفرط شغفها بآدابهم وقد كلفتني ان ادعوك الى العشاء معها .

– ولكن كيف عرفتني هذه الحسناء .

– عرفت في البدء من هيئتك وملامحك انك فرنسي فارسلتني الى الكونت باهلن رئيس البوليس كي اسأله عنك فقال لي .

ان عاصمة النمسا تفتخر بوجود اعظم خطيب فيها وذكر لي اسمك فلما اخبرتها بامرك كلفتني ان ادعوك فهل ترفض طلبها

– معاذ الله .

– اذن تفضل واتبعني .

– ولكن التمثيل لم ينته بعد .

– لا بأس فسأقدمك لها .

ثم تأبط ذراعه وسار واياه الى لوجها فكان المحامي يمشي مشية المضطرب وقد ود لو تمكن من الفرار في تلك الساعة .

فلما فتح باب اللوج ودخل اليها مدت اليه يدها وقالت له بالالمانية .

اني اشكرك كثيراً لهذا الزيارة .

ثم اشارت اليه بالجلوس وقالت له : اني ذهبت الى باريس وسمعت خطبك الرنانة ولغتك البليغة فما رأيت افصح منك لساناً على كوني لا اعرف لغتكم .

وقد جعلت تحدثه باعذب الالفاظ كل مدة التمثيل فسحرته بلطفها وجمالها وصوتها العذب الحنون .

وكان قد خيل له فجاة انه سمع هذا الصوت وانه رأى ذلك الابتسام فجعل يصغى الى حديثها اللطيف وهو يفكر في الوقت نفسه اين رآها قبل هذه المرة فذكر انه كان يشتغل ذات ليلة مع روبسبيير وذلك منذ اربعة اعوام .

فدخلت عليهما صبية شقراء الشعر وشعرها مسترسل على كتفيها دون انتظام فجثت امام روبسبيير وسألته العفو عن ابيها واخويها المحكوم عليهم بالاعدام فرجت وتوسلت حتى انها قبلت يد روبسبيير فحن عليها ووعدها اخيراً فنهضت وهي تبتسم بعد البكاء وقد وثقت من الفوز فاوصلها روبسبيير الى الباب ثم عاد الى المحامي د . وقال له : هذه اول مرة اشفقت فيها على الاعيان .

فقال له المحامي : الملك عفوت عن ابيها واخويها .

قال نعم .

فهز المحامي رأسه وقال له : انك تبغي اذن خراب الجمهورية

وما زال به حتى اقنعه بوجوب اعدامهم فامضى روبسبير الامر بالاعدام واعدم الثلاثة في اليوم التالي .

وقد ذكر المحامي هذه الذكرى الهائلة بينما كانت كريتشن تحدثه وتبتسم له فجعل يقول في نفسه : هذه هي الفتاة بعينها التي كنت السبب في قتل ابيها واخويهـــا وعند ذلك قال لها باللغة الفرنسية : متى ذهبت يا سيدتي الى باريس ؟

فنظرت اليه باندهـــال عظيم حتى انه لم يشكك لحظة انها لا تعرف اللغة الفرنساوية ولم تفهم حديثه .

وكان الكونت باهلن رئيس البوليس يسمع الحديث فترجم لها ما قاله المحامي فاجابته قائلة :

اني ذهبت الى باريس في العام الماضي وهذه اول مرة ذهبت اليها .

فقال في نفسه : اذن ليست هي ولكن ما هذا العقد الاحمر الذي تلبسه ان هذا العقد لا يلبسه غير النبيلات التي نكبن بفقد اهلهن في الثورة ألا يمكن ان تكون هذه المرأة قد نصبت لي شركا قصد الانتقام ؟

ثم نظر اتفاقاً الى القاعة التي كان فيها فرأى جاره ينظر اليه نظرة اسف وعتاب كأنه يلومه لانه لم ينتصح لنصحه .

فلما انتهى التمثيل طلبت اليه كريتشن ان يقدم لها ذراعه فلم يجد بداً من الامتثال وسار بها الى حيث كانت مركبتها تنتظرها فصعدت واشارت اليه بالصعود .

اما المحامي فقد اوجس خيفة فـــتردد وحاول الفرار

ولكنها ابتسمت الطف ابتسام وقالت له :

اصعد يا سيدي .

فاضطرب قلبه وارتعش وصعد الى المركبة بجانبها فسارت بهما تنهب الارض .

فلما ابتعدت المركبة دنا ذلك الرجل المجهول ، الذي كان ينصح المحامي من الكونت باهلن رئيس البوليس وقال له : اظن اننا ظفرنا به .

– هو ذاك ولكن اين عثرت به .

– في ستراسبورج فاني حـــين دخلت الى باريس علمت انه سافر منها فلقيت عناء شديداً في ادراكه .

فتأبط الكونت ذراعه وقال له :

اصنعوا به ما تشاؤن ولكن احذروا ان يكون للبوليس النمساوي دخل في شأنه .

– لا تخف شيئاً ثم ابتسم ابتسامة هائلة لو رآها المحامي لذعر لها ذعراً شديداً ولكنه كان قد سقط في الفخ الذي نصبته له كريتشن الحسناء .

٣٤
توقيع مونيتو

كان القصر الذي تقيم فيه كريتشن من اجمل القصور وهو في اجمل شارع فلما دخل المحامي اليه مع كريتشن ذهبت به توا الى المائدة وقد وضع عليها افخر الطعام والشراب .

وقد عرف القراء هذا المحامي انه كان على توقد ذهنه وفصاحة بيانه شديد الميل الى الملاذ كثير التهتك فيها فانساه جمال الصبية وفاخر الشراب كل ماتولد في نفسة من الظنون والمخاوف وجعل يشرب فسكر من جمـــال تلك الحسناء وخمرها المعتق فلم تمض به ساعة حتى غاب رشده ولم يعد يعي على شيء .

ولما فتح عينه رأى ان الصباح قد طلع وانه نائم على سرير غير بعيد عن المائدة التي كانت الاواني لا تزال عليها .

فنهض ووضع يده على جبينه كمن يتذكر وجعل يلفظ اسم كريتشن بصوت منخفض وقد شعر انه بات من عشاقها .

ثم اعاد في ذاكرته ما جرى له في الليل وعلم انه سكر في

بمجلسها وضل صوابه فاسف اسفاً عظيما وقال : انهـــا لا تغفر لي هذه الزلة .

وقد خرج من القاعة الى الرواق وجعل يصغي فلم يسمع شيئاً فقال في نفسه : لا شك ان اهل المنزل يسهرون في الليل وينامون في النهار لكنه لم يلبث ان يتم هذا القول حتى رأى باباً قد فتح وخرجت منه خادمة حسناء فدنت منه وقالت : العلك يا سيدي صحوت من زمن بعيد ؟

– لماذا تسأليني هذا السؤال ؟

– لان سيدتي امرتني ان اراقب صحوك فأتيت مرات الى غرفة الطعام فكنت اراك لاتزال نائماً .

– وها انا قد صحوت .

– اذن فاعلم يا سيدي ان سيدتي تركت لك رسالة قبل سفرها .

– العلها سافرت ؟

– نعم فقد برحت فينا في الساعة الرابعة بعد انتصاف الليل في مركبة بريد .

فأخذ المحامي الرسالة منها ففضها بيد ترتجف وقرأ ما يأتي

ضيفي العزيز :

« اني اراك هنـا مضطرباً لان الشراب قد صرعك امس على المائدة ولكن اطمئن فليس ذلك ذنبك بل ذنب خمري المعتق الذي لا يقوى على احتماله الا من تعوده فانا لا اقتصر على مسامحتك بل اسألك ان تسامحني لاني لم احذرك من هذا الشراب

« انك كنت نائماً حين كنا على المائدة فما جسرت على ايقاظك لوداعك لاني سافرت ايها الصديق العزيز وهذا بيان السبب »

« انه ورد الي كتاب خطير امس في مدة غيابي فما فتحته الا بعد رقادك وفي هذا الكتاب دعوة لي بالاسراع بالذهاب الى بوهيميا فان لى فيها قصراً على شاطيء النهر وسط واد جميل يشبه الفردوس »

« فاذا اردت ولم يكن لديك من الاسباب ما يدعوك الى البقاء في فينا فتعال واقم عندي اسبوعاً »

« ان البرنس جيزولى مسافر الى تورين والكونت باهلن لا يستطيع مبارحة فينا بحيث اكون وحدي في القصر ويسرني ان يكون معي فيه ضيف مثلك »

« فاذا حدثك قلبك بتلبية دعوتي فاركب مركبة بريد الى براغ ومتى وصلت اليها فاذهب الى فندق الملكة وهو خير فنادق المدينة فاجتمع برئيسه واسمه كاوناز وقل له انك تريد الذهاب الى كريتشن يوصلك في بضع ساعات المخلصة لك »

كريتشن .

فكان المحامي يقرأ هذا الكتاب وقلبه يضطرب حتى اذا اتمه قال في نفسه : اذهب .. انني اذهب دون شك منذ الليلة .

ثم بحث في جيوبه فاخرج مائة فرنك ودفعها للخادمة اشاره الى رضاه ولكن لكل حلم يقظة فانه بينما كان يحلم بما سيلاقيه من السعادة بقرب كريتشن خطر له ما نغص علية هذه الاماني

وهو انه افتكر فجأة بتنوان التي تنتظره وهي لا تعلم دون شينا ماجرى له وقد خطر له لاول وهلة ان يدع تنوان ويترك فلك ويذهب الى كريتشن ولكنه افتكر بما ستقبضه تنوان من الملايين فتغلب حب المال على حب كريتشن وارتعش مسروراً حين ذكر الملايين فقال في نفسه : اني حين استولى على هذا المال لا اعدم وسيلة للتهرب من تنوان واللحاق بكريتشن .

وبعد ذلك بعشر دقائق كان سائراً في الطريق المؤدي الى الفندق الذي كانت فيه تنوان .

وكانت الساعة التاسعة من الصباح ولم تبرح تنوان الفندق فكانت في اشد حالات القلق والاضطراب .

فلما رأت المحامي داخلاً اليها صاحت صيحة فرح وقالت له إني خشيت أن لا أراك بعد افتراقنا فقد حسبت أنهم قتلوك .

وكان المحامي قد لفق حكاية وهو عائد فقاله لها : لقد حدث لي حادث غريب وأنا أيضاً أني لن أراك .

– ماذا جرى لك ؟

– لقد خرجت مساء أمس كما تعلمين فسرت كيف اتفق دون قصد وأنا أعجب بجمال هذه المدينة فمر بي ساعتان حتى تعبت من السير فدخلت إلى قهوة وطلبت شراباً فأحضروا لي بيره المانية فشربت منها ولا أدري إذا كنت أفرطت في الشراب أو كان الشراب مخدراً فنمت دون أن أشعر .

– العلهم سرقوك ؟

– كلا ولكني حين صحوت وجدت نفسي نائماً على مقعد في

حديقة عمومية وقد أتيت عناءاً شديداً حتى اهتديت إلى الطريق وعرفت كيف أعود.

– الخلاصة انك عدت سالماً بحمد الله وقد كاديضل صوابي .

– لماذا ؟

– لأنه خطر لي هواجس شديدة ربما سببها خوفي عليك

– وماذا خطر لك ؟

– إن الحوالة لا تدفع

فقطب المحامي جبينه وقال : لماذا لا يدفعونها لك ؟

– لا أعلم ولهذا أعد هذ الخاطر من قبيل الهواجس .

فكشف المحامي عن ساعته فنظر فيها وقال : أرى أن الوقت قد حان للذهاب إلى مصرف مونيتو .

– دون شك فهلم بنا .

ثم نادت تنوان أحد خدم الفندق فجاءها بمركبة فركبت فيها مع المحامي وسارت بها .

وكانت كلما اقتربت من مصرف مونيتو تزيد هواجسها فتقول : ماذا أصابني العلي مجنونة . ان حوالة مونيتو لا يمكن أن يتأخروا لحظة عن دفعها إلا إذا كان قد بعث من قبره ونقض الأمر وهذا محال .

وبعد قليل وصلت إلى المصرف فقابلت الصراف وعرضت عليه الحوالة فأخذ الصراف الحوالة وجعل يفحصها بامعان شديد ثم يقلبها بين يديه فنفذ صبر المحامي وقال له : أتظن اننا سنقيم عندك طول النهار ؟

فوضع الصراف الحوالة أمامه وقال : إني لا أدفعها .

أما تنوان فقـد وهت رجلاهـا حتى أوشكت أن تسقط فقالت له : ماذا تقوله ؟

وقال له المحامي : لماذا لا تدفعها العلها مزورة ؟

— كل

وقالت تنوان : اليس التوقيع توقيع مونيتو ؟

— دون شك

— إذن لماذا لا تدفعها ؟

فابتسم الصراف وقال : إني لا أدفع لأن مـونيتو مصطلح على توقيعين توقيع يوقع به على الحوالات التي يريد ان تدفـع فتدفع للفور مهما بلغ مقدارها والآخر يوقع به على الحوالات التي يكرهونه على التوقيع عليها وهذه لا تدفع أفهمت الآن

فصاحت تنوان صيحة قنوط وقالت : ويح هذا الشقي انه هزأ بي ثم سقطت واهية القوى بين ذراعي المحامي الذي كاد يجن من يأسه حتى خطر له في تلك الساعـة أن ينقض على عنقها وينزع منها تلك الروح الخبيثة .

***

ورجعت مع المحـامي إلى الفندق ولا تسل كيف كان مرجعهما فانها ارتكبت جناية لا فائدة منهـا إذ قتلت مـونيتو بعد أن أكرهته على التوقيع على حوالة لم تدفع فاغتمت غمـــا

شديداً وأغمي عليها حين وصولها إلى الفندق .

وكذلك المحامي فقد كان أسوأ منها حالاً فانه متزوج هذه النورية وكان زواجه قانونياً بحيث لا يستطيع فسخه .

ومما زاد في شقائه أن هذه المرأة التي ضحى شبابه من أجل مالها باتت الآن أشد منه فقراً .

وقد خطر له أن مونيتو لم يوقع هذا التوقيع الكاذب إلا وقد علم مآثم هذه المرأة فهو قد اتخذ دون شك قبل موته وسائل الاحتياط كي لايدفع مجلس شوراه المال لتنوان .

وعند ذلك لم يعد يخطر لهذا المحامي غير خاطر واحد وهو الفرار من تنوان .

وكان يوجد معه نحو مائة ليرة مما اعطته إياها تنوان حين مغادرته باريس وهو مبلغ يكفيه للرجوع إلى باريس

وفوق ذلك فان المحامي لم يخطر له في تلك الساعة ان يعود الى باريس بل خطر له الذهاب الى كريتشن .

وكانت تنوان قد اغمي عليها ثم استفاقت من اغمائها فاضطجعت في سريرها وهي خائرة القوى واهية العزيمة .

اما المحامي فانه اغتنم هذه الفرصة وخرج من الغرفة دون ان تشعر به لفرط اضطرابها فبلغ الرواق وخرج من الفندق خروج من يريد النزهة فذهب مسرعاً الى مركز عربات البريد

وبعد ساعة ، اي قبل ان تنتبه تنوان لغيابه كان قد برح فينا وسارت به المركبة في طريق براغ .

ثم انه حين كان يفكر بتنوان بعد فقرها ينذعر وتتمثل له

شيطاناً رجيما فيقابل بينها وبين كريتشن فيهيج غرامه بها ويتمني لو كان له اجنحة طائر فيصل اليها .

وقد كان جميل الوجه حلو اللسان كثير الحيلة في استرضاء الجنس اللطيف فجعل يعلل نفسه باغواء كريتشن ويمهد السبيل للاستيلاء على قلبها وهو واثق من الفوز .

واخذ يتوغل في السير ويفكر في غرامه الجديد فيمحوذلك الغرام من نفسه ذكرى تنوان وملايينها ولا يفكر الا بكريتشن الحسناء .

وقد كان استأجر مركبة البريد باسم غير اسمه فانتحل اسماً روسياً وانما فعل ذلك من قبيل الحذر كي لا تستطيع تنوان ادراكه اوالوقوف على اثره اذا خطر لها ان تبحث عنه.

وقد سافر يومين وليلة ولم يكن يقف الاللاستراحة والطعام حتى وصل في صباح اليوم الثالث الى براغ .

وهناك استدل على فندق الملكة فذهب اليه وقابل مديره فقال له المدير قبل ان يسأله : اني اضمن لك انك ذاهب الى قصر كارلسبورج يا سيدي .

فاحمر وجه المحامي وقال له : كيف عرفت ذلك .

— ان البرنسيس مرت من هنا ليلة امس .

— اية برنسيس ؟

— البرنسيس كريتشن .

— اهي اميرة ؟

— اذن من اين انت قادم وكيف لا تعرف ذلك ؟

— لا بأس وفي كل حال ارجوك ان توصلني اليها دون تأخير

انك تستطيع الاعتماد علي يا سيدي .

— الديك خيول .

فابتسم مدير الفندق وقال : يظهر جلياً يا سيدي انك لم تأت قبل هذه المرة الى كارلسبورج .

— لماذا ؟

— لانهم لا يذهبون الى كارلسبورج في المركبة بل بالنهر .

— هل الطريق بعيدة .

— اربع ساعات .

— اذن استطيع الوصول قبل الليل ؟

— دون شك .

فاستأجر المحامي غرفة في الفندق فاختلى فيها وتأنق اجمل تأنق وبعد ان فرغ من ذلك اعدله مدير الفندق غداء جيداً ثم تركه على المائدة وانصرف كي يعد له معدات السفر فلم تمض ساعة حتى كان المحامي في قارب فودعه مدير الفندق اجمل وداع

وكان في القارب نوتيان احدهما يدير الدفة والآخر يدير القلع فلم ينتبه المحامي اليهما فلما بعد القارب عن المدينة وظهرت جبال ابوهيميا للانظار التفت المحامي لاحد النوتيين وقال له : كم مرحلة بين براغ وكارلسبورج ؟

وكان قد سأل النوتي الذي يدير الدفة دون ان يرى وجهه فالتفت النوتي عند ذلك وقال له : ثماني مراحل يا سيدي .

غير ان المحامي لم يكديتبين وجهه حتى تراجع مذعراً وقال له : اهذا انت ؟

فنظر اليه النوتي منذهلا وقال له :

– العلك تعرفني ؟

فقال له : كيف لا اعرفك وانت الذى كنت بجوارى في تياتروا كارس في فينا .

وقد كان المحامي رأى وجه ذلك النوتي فايقن انه ذلك الرجل الذي اخبره بما عرفه القراء من التفاصيل عن كريتشن .

اما النوتي فانه اظهر الانذهال العظيم وقال له : اني لا افهم ما تقول فاني لم اذهب في حياتي الى فينا .

فكلمه المحامى عند ذلك بالفرنسية ولكن النوتي اجابه بقوله : اني لا افهم حرفاً من اللغة التي تكلمني بها .

فاجفل المحامي وقال في نفسه : يستحيل ان يكون بين اثنين حتى بين اخوين مثل هذا الشبه .

وقد بذل جهده في محادثته واستطلاع اخباره فلم يستطيع الوقوف على حقيقة امرة وعادت اليه ذكرى تلك الفتاة التي ركعت امام روبسبير طالبة العفو عن ابنها واخويها .

وكان القارب يسير مسرعاً في النهر مــــع تياره فكان كلما ابتعد عن المدينة براغ يرى المحامي ان البراري القاحلة قد تاثت عن الحقول الخصبة ثم يرى الغابات الموحشة منتشرة في جهرق الجبال العالية ويرى قطعان الماشية تسير بها الرعاة من حين الى حين وقد اختفت اثار المنازل فلا يرى غير الصحاري الجرداء .

وقد سار القارب زمناً طويلا حتى توارت الشمس وزلة الجبال واقبل الليل بظلامه الحالك .

كل ذلك والقارب لا يزال يسير مسرعاً فزادت هواجس المحامي وقال للنوتي .

— ما هذا السفر الطويل ومتى نصل .

فأجابه النوتي ببرود : صبراً يا سيدي فسنصل .

وبعد ساعة ظهرت للمحامي بقمة سوداء تلألأت فيها الانوار كالنجوم فقال النوتي :

—هوذا قصر كارلسبورج .

لم تمض دقائق حتى رسا القارب عند هذا القصر فاسرع الخدم وبايديهم المشاعل فادخلوا المحامي الى ردهة القصر المتسعة فقال له احدهم : ان البرنسيس لم تعد بعد ولكنها ستعود قريباً فانذهل المحامي وقال :

—اين هي البرنسيس ؟

— في الصيد .

—اهي وحدها ؟

— كلا بل يصبحها البرنس .

فقال المحامي في نفسه : ربما هذا البرنس اباها .

ثم تقدم الخادم المحامي الى القاعة متسعة فدخل اليها ولم يكن فيها غير نور ضعيف ينبعث من نيران الموقد ورأى صوراً كثيرة معلقة على الجدران وهي صور اجداد كريتشن دون شك وعند ذلك اوقد الخدم المصابيح في القاعة وانصرفوا

فجلس المحامي وجعل يجيل فيها نظراً حائرا .

وفيما هو على ذلك صاح صيحة رعب هائلة وجمـــد الدم في عروقه فانه رأى على احد جدران القاعة صورة كبيرة تمثل امرأة جاثية امام رجل .

وكان وراء هذا الرجل رجل آخر يبتسم ابتساماً هائلا .

اما هذه المرأة فكانت كريتشن واما الرجل الذي كانت جاثية امامه تتلمس منه فقد كان روبسبيير واما الرجل الذي كان وراءه يبتسم فقد عرفه المحامي انه هو نفسه .

وعند ذلك ايقن انه وقع في الشرك وحاول الفرار ولكن باب الغرفة فتح فجأة ودخل منه اثنان .

٣٥

المحامي

بينا كان المحامي يخترق عباب النهر بقاربه وهو لا يفكر الا بكريتشن غير مكترث بتنوان كانت تنوان وحدها في فيننا

وكانت قد استفاقت مما اصابها وتنبهت لما صارت اليه كما يستفيق النمر الجائع من رقاده .

وكان اول من افتكرت به بيبي فقالت في نفسها . ان هذا الرجل قد يكون باقياً في قيد الحياة غـــير ان الحرب لم تنته ولم اعتبر نفسي مغلوبة بعد .

وكان المحامي قد سافر غير ان تنوبان لم تكترث لغيابه هذه المرة فانها كانت تعرفه حق العرفان فهو لا يعاشرها ساعة مازالت فقيرة .

ولكنها مع ذلك لم تكن فقيرة الى الحد الذي توهمه المحامي فقد كان لديها من مجوهراتها ما تبلغ قيمته خمسة آلاف ليرا .

ومن تكون مثل تنوان فانها تستطيع بمثل هذا المبلغ ان تجمع ثروة عظيمة فافتكرت بما لديها من المجوهرات وقالت : في نفسها .

اني لا اموت جوعاً وسوف نرى اذا كانت ثروتي تذهب ضياعاً .

ففي الليلة نفسها التي سافر فيها المحامي برحت تنوان ذلك الفندق العظيم الذي كانت مقيمة فيه الى فندق حقير وانتظرت هجوم الليل كي تخرج منه بدون ان يراها احد .

وقد تركت لباسها القـــديم فتزينت بلباس النور المعروف ولبست اساور النحاس في يديها وعقداً من كرات الزجاج في عنقها وذهبت الى حديقة براتر .

وكان يوجد في هذه الحديقه كثير من النور بعضهم يرتزقون من الرقص وآخرون من الالعاب الرياضية .

ولم تكن تنوان قد نسيت عوائد النور ولا لغتهم بل كانت تعرف عادات كل قبيلة من قبائلهم واسباب الشقاق والتنافر بين تلك القبائل فان النور لم يكونوا كلهم اخواناً ولا سيما في المانيا وقد كان النور القادمين من بلاد التتر يكرهون النور المقيمين في المانيا منذ عهد بعيد وذلك لشدة التباين بين الفريقين فان القبيلة التي يحكمها مونيتو كثيرة الغنى قدمت الى المانيا منذ قرن فامتزجت باهالي فينا ورجالها في الحكومة وكان لهم شأن عظيم في التجارة والمالية .

وكان يوجد بينهم فقراء غير ان اغنياء هم كانوا يساعدونهم وفوق ذلك فقد كان لهم صندوق الاعانة التي تتسرب اليه الاموال من اغنيائهم وتحفظ فيه كاموال تنوان .

وكان النور التابعون لمونيتو يدعون ميشتي وهي في لغتهم

تفيد معنى السيادة .

اما قبيلة النور القادمة من التتر فقد كان قومها فقراء وكلهم يرتزقون من الالعاب والشعوذة كابتلاع السيوف واكل النار واستكشاف الطوالع وهم خاضعون لرئيس يلقبونه كوماك وهي تلقب بالسردار .

وكانوا قد طردوا من بلاد التتر فالتجأوا الى فينا فاكرمت قبيلة مونيتو وفادتهم وتولتهم بحمايتها .

غير ان الاحسان قد يولد الحقد وهذا ما اتفق لقبيلة السردار فانها باتت تكره قبيلة مونيتو كرهاً عظيما ثم تم حسدهم عليهم فباتوا يظهرون العداء لاخوانهم المحسنين اليهم حتى اضطرت قبيلة مونيتو الى التخلي عنهم .

وكانوا فقراء ولكنهم كانوا بواسل على جانب عظيم من الجرأة والاقدام وكلهم يخضعون لرئيسهم كوماك .

اما هذا الرئيس فقد كان يرتزق من الالعاب الرياضية وله سيادة على قومه تشبه سيادة مونيتو .

وأما تنوان فقد كانت تعرف تفاصيل العداء بين القبيلتين فلما رجع اليها هداها ورأت أن المحامي قد هرب منها وأن أموالها ذهبت ضياعاً أوحت لها قريحتها الجهنمية خاطراً فقالت في نفسها إني كنت منتسبة إلى قبيلة مونيتو فسأنتسب إلى قبيلة كوماك .

وقد كان لها بذلك مأرب هائل كما سترى فانها خرجت من الفندق بعد أن غيرت ملابسها ولبست ملابس النور وذهبت إلى

حديقة براتو التي يشتغل فيها كومـاك زعيم القبيلة فدنت منه تتوان وقالت له بلغة النور : دع عملك أيها الأخ وتعال إلي فاني أحب أن أحدثك .

فنظر اليها كوماك متعجباً وقال : ماذا تريدين مني ؟

– إني أريد أن أعرض عليك ثروة طائلة .

– من أنت ؟

– نورية مثلكم .

– ولكنك لست من قبيلتي .

– سأصير منها .

– أما أنت من قبيلة مونيتو ؟

– ربما ولكني أكره مونيتو .

فارتعش كوماك ثم تأبط ذراعها ومشى وإياها فقال لها : ماذا تريدين مني ؟

– إتبعني وسوف ترى .

ثم سارت وإياه إلى خمارة حقيرة وبعد أن طلبا زجاجة من الشراب قالت له : قل لي ألا تزال تكره مونيتو ؟

– إني أكرهه كرهاً لا يوصف .

– وأنا أيضاً .

– لماذا تكرهينه ؟

– لأنه خدعني وأريد أن أنتقم منه فهل تريد أن تكون شريكي في الانتقام ؟

فاتقدت عينا كوماك وقال لها : قصي علي حكايتك وسنرى

– إني كنت غنية جداً ولا أزال كذلك غير أن مونيتو يريد خرابي .

– وكيف ذلك ؟

فأخبرته تنوان أنها أودعت أموالها عند مونيتو وهي تبلغ كثيراً من الملايين ثم أراد أن يفهم من أين جاءت بهذه الأمـوال فلما أبت أن تخبره أبى أن يرد لها المال .

ثم ختمت كلامها بقولها إذا ساعدتني على استرجاع الوديعة كان لك نصفها فقال لها كوماك : إن مـونيتو شديد القوة كثير النفوذ في فينا .

– إنني أعلم من نفوذه ما تعلم .

– وأن قوته غير قاصرة على رجـال قبيلته بل إن رجـال البلاط من أنصاره حتى أن الامبراطور نفسه يريده فهو قادر على كل شيء وأنا غير قادر على شيء واأسفاه .

– فابتسمت تنوان وقالت : إذاً ساعـدتني بلغت بك من هذا الرجل ما أريد .

– كيف ذلك ؟

– ذلك سري لا أبوح به .

– إذن ماذا تريدين أن أصنع ؟

تأمـر أربعة رجـال أشداء من قبيلتك أن يخضعوا لي أتم الخضـوع .

– متى تريدينهم .

– في هذه الليلة .

— وماذا يصنعون ؟

إذا أردت أن تكون واحد منهم تعلم ما يصنعون .

سأكون واحد منهم فأين تريدين أن يكون الأجتماع ؟

— بعد ساعة في هذه الحارة .

قال إذن سنوافيك اليها وتركها وانصرف معجباً بكرمها فانها نفحته بدفعة على الحساب .

فلما صارت تنوان وحدها قالت في نفسها : إن مونيتو قد مات دون شك .

ولكن يجب أن يعلم كوماك بموته فان الذي أريده من هذا الزعيم أن يساعدني على اختطاف موبينا ابنة مونيتو فانها وحيدة أبيها وولية عهده وأن القبيلة تخضع لها في غياب أبيها .

***

كان منزل مونيتو على قيد خطوتين من شارع سانت اتيان وقريباً من بنك مونيتو وشركاه .

وكان لمونيتو عملان غير تولي زعامة القبيلة وهو بنك عظيم له فيه شركاء ومحل لتجارة الأحجار الكريمة وهو خاص به وحده وقد نقل هذا المحل إلى منزله الذي كان يقيم فيه مع إبنته موبينا وخادمة عجوز فكان يضع فيه صندوقاً ضخماً من الفولاذ يحتوي على مجوهراته التي تبلغ قيمتها كثيراً من الملايين .

ولهذ الصندوق قفل سري لا يهتدي اليه غير صاحبه بحيث كان مونيتو آمناً على كنزه المالي ولم يعد يخاف إلا على كنزه

الآخر وهو ابنته موبينا فقد كانت وحيدة وهو يحبها حباً لا يوصف فكانت إذا سافر تقيم مع تلك العجوز لا تفارقها لحظة فاذا قرع أحد القادمين الباب تفتح النافذة فتفحصه وتسأله أسئلة تشبه الاستنطاق قبل أن تفتح له الباب .

ففي تلك الليلة كانت موبينا جالسة مع العجوز واسمها دبورة وكانت الفتاة شديدة القلق على ابيها فقالت للعجوز لقد انشغل قلبي على ابي فانه لم يكتب لي منذ ثمانية ايام وانا قلقة جداً لغيابه .

— بل اني واثقة من عودته الليلة او غداً فانك تعلمين انه لا يكتب حين يكون على اهبة السفر .

وعند ذلك طرق الباب فارتعشت موبينا وقالت : هوذا ابي .

— لا يمكن ان يكون هو اذ لو كان هولما طرق الباب بل فتحه بمفتاحه ثم فتحت النافذة وآطلت منها كي ترى من الطارق فرأت شاباً يناهز الثلاثين من العمر فحياها وقال لها: الم تعرفيني

— نعم انك تدعى ميشيل وانت موظف في بنك سيدي تشتغل مع كريكور .

— نعم وهو الذي ارسلني اليك .

— ماذا يريد مني ؟

— لا اعلم فقد قال لي اذهب الى دبورة وقل لها اني انتظرها فقد وردت انباء من سيده يأمره ان يبلغها اياها .

— ولماذا لم يحضر بنفسه ؟

– لا اعلم ثم تركها وانصرف .

وكانت موبينا تسمع الحديث فقالت لها : هلمي بنا نذهب فاني ذاهبة معك .

– كلا انك لا تذهبين معي فان الساعة قد بلغت السادسة وقد منعني ابوك من ان ادعك تخرجين في الليل ولا بد من تنفيذ ارادة ابيك .

– اذن فاذهبي انت .

– ولكن الصراف كان يستطيع الحضور بنفسه فقد طالما جاءنا بمثل هذه المهمة .

– ربما كان منشغلا .

– اني غير واثقة من هذا الرجل .

– ممن أمن الصراف ؟

– كلا بل من ميشيل .

– كيف ذلك أما هو مستخدم عند ابي ؟

– نعم ولكنه نوري من القبيلة المعادية لنا ومهما تظاهرت هذه الطائفة بودادنا فهي من ألد أعدائنا وعندي انه يجب ان أبقى في المنزل ولا أذهب .

– ولكن الصراف لم يدعك اليه إلا لورود أنباء من أبي .

– أتريدين اذن ان أذهب ؟

– دون شك .

فتنهدت دبورة وقالت : ليكن ما تريدين ثم اتشحت بوشاحها وقالت لها انك لا تفتحين الباب لأحد قبل ان أعود

أيا كان الطارق .

ــ اني أعدك بذلك .

فتنهدت العجوز أيضاً وقالت بلهجة شفت عن الكآبة : ليكن ما تريدين ثم خرجت واقفلت الباب الخارجي وسارت مسرعة وهي تحدث نفسها وتقول : ان سيدي لو أصغى الي لما استخدم احـداً من تلك الطائفة الشريرة فان ابناءهـا من ألد اعدائنا وان كانوا مثلنا .

وكان الظلام حالكاً فبينا هي سائرة رأت شبحاً يدنو منها فخافت وحاولت الرجوع ولكنهـا ما كادت ترجع خطوة الى الوراء حتى رأت شبحاً آخر وعند ذلك صاحت صيحة رعب فانقض عليها احد الرجلين وقبض على عنقها فقال لها : اذا فهت بكلمة قتلناك شر قتل .

وأقبل الرجل الآخر فعاون رفيقـه على تقييدها وسد فمها بمنديل ثم حملها احدهما على كتفه وجردها الآخر من مفاتيح المنزل وسارا بها مسرعين الى مركبة كانت بانتظارهما فألقياها فيهـا وسارت المركبة تنهب الارض .

أما موبينا فقد بقيت وحدها وجعلت تنتظر عودة العجوز وهي تحسب الدقائق ساعات فمضت دون ان تعود فجعلت تقول في نفسها : لماذا تأخرت عند الصراف وأي أمر خطير حملها على هذا الغياب .

وفيما هي على ذلك سمعت صرير المفتاح في قفل الباب فأسرعت الى المصباح وسارت به الى الرواق كي تنير الطريق لاعتقادهـا

ان القادم هو العجوز .

ولكن النور انطفأ فجأة وصاحت موبينا صيحة ذعر شديد اذ شعرت بيدين قويتين قد أمسكتاها وسمعت صوت رجل يقول لها : اذا أردت الحياة فاحذري ان تصيحي .

وعند ذلك شعرت ان مادة قد التصقت على وجهها فلم تعد تستطيع بعد ذلك صراخاً وكادت تختنق .

ولكنها سمعت صوت رجل يقول : الا تستطيع الآن كسر صندوق الجواهر ؟ أجابه صوت امرأة يقول : لا حاجة الى كسر الصندوق فسيفتحه لنا مونيتو بيده بعد ان باتت ابنته في قبضتنا .

ولم تعد موبينا تسمع شيئاً ولكنها شعرت انهم حملوها الى مركبة وبعد هنيهة سارت بها تلك المركبة كما سارت من قبل بخادمتها العجوز .

* * *

في الوقت نفسه الذي اختفت فيه موبينا وخادمتها بتلك الجرأة النادرة دخلت مركبة بريد الى فينا وفيها أربعة مسافرين وهم : مونيتو وبيبي وبوليت ونيشات .

وقد كان بيبي خشي نيشات قبل السفر لما يعلمه من فساد اخلاقها فقال لها : انني لا اسألك ان تحبيني فانك لا تزالين حاقدة علي وعلى بوليت لاننا أنقذنا اوروز وأختها فلا أجادلك في هذا الحقد ولكن الأحوال تقضي على المرء في بعض ساعاته ان يضحي

بأحقاده وانتقامه وانت الآن في هذا الموقف وانه لا يحق لك ان تكرهي مونيتو فانك مدينة له بالحياة .

— لقد أصبت وأنا لا أكرهه .

— ولكن يجب ان تكرهي تنوان فانها أرادت موتك .

فاتقدت عينا الفتاة ببارق من الحقد وقالت : اني لو عثرت بدمها لشربته .

— لقد أصبت وقد بقي بوليت الذي أحببته حباً عظيماً قبل ان تبغضيه والذي ستحبينه اذا أراد .

فقاطعه بوليت قائلاً : ولكني لا أريد .

— اسكت بل تريد ما نريده فان نيشات حسناء وهي تحبك حباً أكيداً ثم التفت الى نيشات وقال لها: مما لا جدال فيه انك الآن في قبضتنا واننا نستطيع ان نصنع بك ما نشاء .

— هو ذاك إلا اذا هربت منكم .

— واذا هربت منـا فماذا عساك تصنعين وانت لا مال لك فهل تعودين الى بيع الزهور ألم يعدك مونيتو بخير مكافأة وذلك خير لك فانه كثير الملايين .

وكان برهان بيبي مقنعاً ولكنها كانت لاتزال مترددة فقالت له : وانت الآن فاصغ الي : انكم مسافرون الى المانيا لغرضين احدهما استرجاع الاموال التي اختلستها تنوان وذلك لا اشترك فيه لان هـذا المال ستردونه الى الاختين وانا اكرههما كرهـاً لا يوصف .

— ليكن فاننا نستغني عن مشاركتك لنا في استرجاع المال.

— واما الغرض الثاني فهو البحث عن تنوان والانتقام منها وانا معكم في ذلك على ما تريدون .

— هـذا كل ما نرجوه منك . ثم اتفقوا على ذلك وركبوا جميعهم مركبة البريد وسارت بهم وكانوا في كل محطة يقفون على اثر تنوان .

وقد علموا في ستراسبورج انهـا تزوجت بالمحامي ولكنهم علموا ايضاً انها سارت في جهة اخرى من الرين وانها قد سبقتهم بمسافة ثلاثين ساعـة فقال مونيتو : لا حاجة بنا الى الاسراع فاننا سنجدها دون شك .

ولما وصلوا الى مونيخ نزلوا في فندق النسر الاسود فاندهل مونيتو وقد رأى رجلاً يسير ذهاباً وإياباً بينما كانوا يعدون جياد المركبة .

وكذلك الرجل فانه ابدى مثل هذا الاندهال حين رأى مونيتو ثم تقدم منه وحياه ودار بينهما الحديث باللغة النورية .

وبعد ان افترقا خلا مونيتو ببيبي وقال له : أتكره المحامي د. كرهاً شخصياً ؟

— كلا ولكني أحتقره فاذا أراد ان يحمي تنوان فاني أسحقه وأما اذا لم يتداخل في أمرها . . .

فقاطعه مونيتو قائلاً: انه لن يتداخل . ارأيت هذا الرجل الذي كان يحادثني ؟

— نعم فمن هو ؟

— انه رجل نوري قادم مثلنا من باريس مع رفيق له ومنذ

خمسة ايام لم يفقد أثر المحامي .

– ولكن من هما هذان الرجلان ؟

– انهما جاسوسان ارسلتهما امرأة فرنسية تزوجها امير الماني لمراقبة المحامي د. والانتقام منه فانه كان السبب في قتل أبيها خلال الثورة .

فقطب بيبي حاجبيه وقال : ولكن هذين الجاسوسين قد يعرقلان مشروعنا .

– كلا فقد اتفقت معهما فهما سينصرفان بشكل يفصلان فيه المحامي عن تنوان بحيث تبقى هذه المرأة لنا ولا تخف ايها الصديق فان تنوان باتت في قبضتي بعد دخولها الى فينا .

وعند ذلك واصل جميعهم السير الى فينا فبلغوها في الساعة التي اختطفت فيها تنوان ابنة مونيتو وخادمتها كما قدمنا .

وعندما وصلوا الى المحطة كان رجل يسير امام المركبة وعلى كتفه عصا حمل فيها ثيابه فالتفت الى المركبة حين وقوفها فسطع نور مصباحه على وجهه فصاح بيبي صيحة فرح قائلا :

هوذا بنوات الاحدب .

وعند ذلك اجتمعوا به كلهم فقال له بيبي : متى وصلت الى فينا .

– الان كما تراني .

– كيف ذلك انك فارقتنا منذ اسبوعين فكيف تمكنت من الذهاب الى كلوبتز ؟

– ذلك لاني لم استرح دقيقة في الطريق

– اقضيت المهمة التي انتدبناك لها .
– دون شك .
– ايحضر الجنرال داغوبير مع امرأته الكونتس اورور .
– سيكونان في براغ في السابع عشر من هذا الشهراي بعد ستة ايام وعند ذلك قال لهم مونيتو : انه لا يجب ان تبيتوا في فندق من فنادق هذه العاصمة لاننا لا نعلم الفندق الذي اقامت فيه تنوان ويخشى ان تراكم ولذلك ستقيمون في منزل لي ادل السائق عليه فيوصلكم اليه اما انا فسافارقكم الان لارى ابنتي فان شوقي اليها شديد وساوافيكم في المساء .

ثم نادى سائق مركبته فدله على منزله وسار الاحدب وبوليت وبيبي ونيشات اليه اما مونيتو فانه سار الى منزله .

وقد وصل اليه في الساعة السابعة من المساء وكان مفتاح الباب في جيبه غير انه حسب ان الباب مقفل من الداخل بمزلاج فطرق الباب بالمطرقة الحديدية فلم يجبه غير رجع الصدى ولم تفتح النافذة فعاد الى الطرق فلم يجبه احد فانصب العرق البارد من جبينه وقال اين عساها تكون فانها لا تخرج في مثل هذه الساعة من المنزل ؟

وعند ذلك اخذ المفتاح بيد ترتجف وفتح الباب ففتح ودخل فنادى العجوز بصوت مرتفع فلم تجب فجعل ينادي إبنته وصوته يتهدج من الخوف والحنو فلا يجد مجيباً لندائه فمشى في الرواق فعثرت رجله بمادة صلبة فالتقطها ورأى انها مشعل فكاد يجن من خوفه وقال : لقد اصبنا بنكبة فادحة ثم دخل المنزل دخول

المجانين وهو ينادي موبينا موبينا فلا يجيبه غير رجع الصدى .

* * *

مضى على يأس هذا الأب المنكود اربع وعشرين ساعة كانت حالته في خلالها تحمل على الاشفاق وقد انتصرت تنوان فلم يعلم هذا الوالد التعس ما يصنع فبدأ بالالتجاء الى بوليس الحكومة ثم الى بوليسه الخاص فلم يقف احداً من رجال البوليسين على اثرها

وكان صراف بنكه اخبره انه لم ير إبنته ولا العجوز ولكنه رأى تنوان واخبره بما جرى فلما قنط من ايجاد إبنته ذهب الى بيبي وهو يكاد يجن من الحزن فقال له بيبي : ان إبنتك اذا كانت قد اختطفت فليس ذلك الا مـــن صنع تنوان فسكن روعك واصغ الي : ان تنوان تعتقد انها قتلتنا جميعاً وهي لم تختطف إبنتك الا لمأرب لها وليست غايتها الا ان تجعلها رهينة عندها الى ان تقبض الاربع ملايين فاعلم اذن انه لا خطر من وجود إبنتك عندها على الاطلاق فيجب علينا ان نبحث عن تنوان وان نتنكر كل التنكر .

وعند الفجر اسرع مونيتو الى رئيس البوليس وسأله عن تنوان فأجابه : اني لم اقتف اثارها إذ لم أجد موجب لذلك بل اقتفيت أثر المحامي دو وقد يمكن أن تكون هذه المرأة التي تتهمها باختطاف ابنتك سارت إلى ذلك الرجل الذي تخلى عنها

وكان ظن رئيس البوليس محتملاً مقبولاً غير انهم علموا بعد البحث الدقيق انها لم تبرح فينا وانها لا بد أن تكون مختبئة فيها

ولكن كيف يمكن ايجادها في مثل هذه المدينة المتسعة .

وجعل يتباحث مع بيبي فقال له بيبي: ان تنوان قدمت الى فينا ولم يكن يصحبها غير المحامي ولما كان هذا المحامي قد ذهب الى كارلسبورج وقد ثبت انها لم تتبعه فلا بد ان تكون هي التي اختطفت موبينا ثم لا تستطيع إختطافها إلا اذا كان لها اعوان فمن هم هؤلاء الاعوان ؟

فأجابه مونيتو: ان لي في هذه العاصمة أعداء ألداء وهم النور الذين جاءوا من بلاد التتر فأحسنت اليهم كل الاحسان ولكنهم يبغضونني ويضمرون لي الشر .

– إذن يجب ان يكون بحثنا بين هؤلاء النور ولست انت الذي تبحث بل أنا .

– ولكنك قلت انك لا تريد ان تظهر .

– دون شك ولكني أتنكر وترسل معي دليلاً تثق به فقد طالما اشتغلت بمثل هذه المهام في باريس وكنت من الفائزين.

وفي المساء أرسل اليه مونيتو غلاماً حاذقاً فتنكر بيبي وأخذ ربابة يعزف عليها وسار مع الدليل الى الحديقة التي يشتغل فيها النور المعادون لقبيلة مونيتو وجعل يعزف على الربابة ويغني بالايطالية أمامهم فأعجب بغنائه واحد منهم فناداه وقال له : كم تكسب في اليوم ؟

– نصف فلوريني .

– ان مهنتي الالعاب الرياضية ولي مكان خاص بهذه الحديقة فهل تشتغل معي على ان أعطيك فلوريني كل يوم .

– أقبل إذا كنت تعطي ولدي الذي يصحبني وإبنتي مثل ما تعطيني .

– ألك إبنة ؟

– وهي على أتم الجمال .

– كم عمرها وأين هي الآن ؟

– انها لم تتجاوز العشرين وقد تركتها في الخمارة التي نبيت فيها في مونيخ .

– إذن اذهب وائت بها فاننا متفقان .

وكان هذا كل الذي يريده بيبي فأسرع بالخروج يتبعه الدليل ولما صار في الشارع قال له الدليل : أعرفت هذا الذي يكلمك؟

– إنه من قبيلة السردار وهذا يكفيني .

– بل هو كوماك ملك السرداريين وإذا كانت موبينـا في قبضتهم فهو يعرف دون شك إذ لا يصنعون شيئاً إلا بأمره .

– حسناً فاتبعني . وسار به الى المنزل الذي كان فيه فوجد نيشات فقال لها : إنك يا نيشات شقراء الشعر حمراء الوجـه ويجب ان تغيري شكلك .

– ماذا تعني بذلك ؟

– أعني انه يجب ان يكون شعرك أسود ووجهـك اسمر فانك ابنتي تعال معي وسأخبرك بكل شيء .

وبينما هما يحاولان الخروج من المنزل دخل مونيتو مسرعاً وعيناه تتقدان بأشعة الرجاء فقال له: لقد ورد كتاب من موبينا الى صرافي ، فخذ واقرأ فأخذ بيبي الكتاب وقرأ ما يأتي:

«إني أسيرة ولكنهم لا يسيئون إلي غير ان حياتي معرضة للخطر إلا اذ أطعتني . اني لا أستطيع ان أخبرك متى وكيف تركت المنزل انا ودابورا فاذهب بعد غد أي الاحد الى المصرف ولا يبق فيه أحـد من العمال وعند الظهر يأتيك رجل بحوالة بتوقيعي فادفعها مهما كان مقدارها لاني لا أنجو من الاسر إلا بعد دفع هذه الحوالة وإذا لم تدفعها قتلوني » .

موبينا

ولما أتم تلاوتها قال له : ألعلك عزمت على دفع الحوالة؟

— دون شك .

— ولكن الدفع يكون بعد غد .

— ماذا تعني بذلك ؟

— أعني ان الوقت لا يزال فسيحاً لدينا .

فتنهد مونيتو تنهـداً كاد يمزق صدره وقال له : ماذا يهمني المال فاني أدفع كل ما عندي ولو بت أتعس فقير بشرط ان ترد إلي إبنتي .

— إنها سترد اليك وتبقى غنيـاً ثم خطا خطوة إلى الباب فقال له مونيتو : الى اين انت ذاهب ؟

— للارتزاق من مهنتي فاني أصبحت من الموسيقيين وقـد اشتركت مع رجل تعرفه دون شك .

— من هو هذا الرجل ؟

— هو كوماك رصيفك في الملكية .

ثم تركه وانصرف وهو يقول : كن مطمئناً ايهـا الصديق

فسنرجع اليك ابنتك قبل ان تدفع المال .

***

ولنعد الآن الى موبينا فنذكر بايجاز ما جرى لها فنقول:

كانت طائفة السردار تمتهن كل المهن وكان لها زعيم يدعي كوماك كما قدمناه وله مجلس شورى مثلما كان لمونيتو .

وكان نائبه رجل يدعى تابير ومهنته عرض الحيوانات المفترسة للفرجة والارتزاق منها وكان عنده أسد هائل ونمر مفترس وذئب عضوض وسائر انواع الضواري وقد وضعها في محل قرب ملعب كارلس فكانت تزأر في الليل والنهار فتخيف السكان المجاورين.

وقد تولد الرعب في نفوسهم من حادثة جرت لهذه الضواري وهي ان النمر أفلت من مجلسه وانطلق في الشارع ولو لم يظفر بحصان افترسه لكان افترس الناس الى ان جاء مروضه وأعاده مقيداً الى مربطه ومن ذلك الحين بات أهالي فينا يجتنبون في الليل المرور بضواحي هذا المكان .

ويذكر القراء ان تنوان طلبت الى كوماك ان يأتيها بأربعة رجال أشداء من قبيلته فكان هذا الرجل مروض الوحوش أحد أولئك الرجال وقد انتدب أيضاً لهذه المهمة ميشيل الموظف في بنك مونيتو وانما اختاره للاستفادة من استخدامه في محل ألد أعدائه

وكان ميشيل هذا من أهل الذكاء والفطنة وهو الذي اختط طريقة إختطاف العجوز والفتاة غير ان الصعوبة ليست في اختطافهما بل باخفائهما عن العيون فان البوليس وقبيلة مونيتو

بأسرها سيبحثان عنها أدق بحث .

وعند ذلك اقترح مروض الوحوش ان توضعا عنده اذ لا يخطر ان يبحث عنها بين الوحوش الضارية فوافقوا على اقتراحه وبعد اختطافها جاءوا بها الى مكان الوحوش .

وكان يعاون تابير في ترويض الوحوش فتاة تدعى أجار وهي أفظع منها قلباً وأشد افتراساً وقد قسم المكان الى ثلاثة أقسام قسم للوحوش وقسم للمتفرجين من النـاس وقسم لمبيت تابـير وأجار وهو ملاصق لقسم الوحوش .

فلما جاءوا بها كانت العجوز مغمياً عليها فأخبر تابير أجار بكل إيجاز عن القصد من الاتيان بالمرأتين فقالت أجار : أية فائدة من هذه المرأة العجوز فانها تضايقنا وفوق ذلك فان الاسد جائع لم يأكل منذ أمس .

فقالت تنوان: يعجبني حذق هذه الفتاة فان هذه العجوز قد ترعجنا وكأنها بكلامها قد قضت بالموت على هذه الخادمة المنكودة

وعند ذلك أسرعت أجار ففتحت عرين الاسد وحمل تابير تلك العجوز المغمى عليها فدفعها الى الاسد الجائع وأقفل الباب فلم تستفق تلك المنكودة إلا وهي بين أنياب ذلك الوحش الكاسر

ولقد كان المنظر هائلاً ترتعد له الفرائض حتى ان تنوان نفسها على فظاعة قلبها أدارت وجهها كي لا ترى أما أجار فقد قالت: لقد سد ملك الوحوش جوعه فهو لا يمنعنا الليلة عن أن ننام .

وعند ذلك قالت تنوان : لنهتم الآن بالاخرى .

فقالت لها أجار : اذا كان يوجد امرأة أخرى فهي تكفي

النمر لانه شديد الجوع .

فابتسمت تنوان وقالت : إنها تساوي أكثر من طعام نمر .

وبعدذلك بساعة جاءوا بموبينا وهي مبرقعة الوجه فأزاحت تنوان البرقع عن وجهها فرأت إنها قرب الوحوش الضارية فكادت تجن من الرعب فطمأنتها تنوان بما تيسر لها قوله من لطيف الكلام فلم تطمئن وهمت أن تصيح مستغيثة فقال لها تابير : إنك اذا صحت فتحت قفص النمر وأطلقته عليك وهو شديد الجوع

ولم تكن تعلم موبينا ما أصاب دابورا ولكنها رأت نظرات أولئك المحدقين بها فأيقنت انهم متفقون عليها وانها لا رجاء لها بأحد منهم فاضطجعت مثلهم قرب الوحوش وقد سلمت امرها الى الله .

وبعد هنيهة نام الجميع وقد عرفت موبينا من بينهم ميشيل الخائن .

وعند الصباح كانت تنوان اول من استفاق ولم تكن موبينا قد نامت فقالت لها : انني انا التي اختطفتك ألم تعرفيني ؟

فاصطكت أسنان الفتاة من الرعب وقالت لها : كلا .

— اني أدعى تنوان . ألم يذكر اسمي أمامك . ألم يحدثك أبوك عني ؟ — بماذا يحدثني عنك ؟

— أراد اغتصاب أموال أودعتها عنده فأبى ان يردها لي فاذا أردت الخروج من هنا فادفعي لي أموالي .

— لا مال لي فكيف أدفع لك .

— إن أباك واسع الثروة .

— ولكنه مسافر .
— إن صرافه في فينا .
— وهو غير مفوض بطاعتي .
— هو ذاك غير انه متى قرأ الرسالة التي سأمليها عليك يدفع في الحال . ثم أخذت ورقة وقلماً فدفعتهما الى موبينا وقالت لتابير: ان الوقت غير متسع لدينا فاذا أبت ان تكتب ما أمليه فأفتح باب القفص .

فصاحت موبينا صيحة ذعر وقالت: اني أطيع ما تشائين. وأملت عليها تلك الرسالة التي أطلع عليها مونيتو وبيبي كما تقدم أما قفص الاسد فلم يبق فيه أثر من تلك العجوز المنكودة .

*

وكانت هذه الرسالة قد وصلت الى صراف مونيتو بواسطة ميشيل فانه وضعها على مكتبه في مدة غيابه فوجدها دون ان يعلم من جاء بها .

وأقامت تنوان كل ذلك النهار مع موبينا تتولى حراستها وفي المساء جاء كوماك ورجاله الثلاثة للمداولة مع تنوان وكانوا يحملون نبأ خطيراً وهو عودة مونيتو .

اما تنوان فانها اضطربت اضطراباً عظيماً وقالت : أعاد مونيتو ومن أين عاد .

فقال لها ميشيل : من باريس وقد وصل مساء أمس فلما علم باختطاف إبنته أخبر البوليس وجعل جميع رجال قبيلته

يبحثون عنها مع البوليس .

وكانت تنوان قد ذعرت لعودة مونيتو وهي تحسبه من الاموات ولكنها تجلدت اخفاء لاضطرابها وقالت لميشيل : الم يشتبهوا باحد ؟

قال : انهم يتهمون قبيلة السردار وقد سمعت مونيتو يقول لصرافه لقد عرفت التي اختطفت إبنتي فهي امرأة تدعى تنوان قد حاولت قتلي بالسم .

فتنهدت تنوان وقد علمت انه شرب ضد السم قبل ان تسقيه من خمرها فلم يمت خلافاً لنيشات فقد قضي عليها دون شك وكذلك بيبي وبوليت .

ثم قالت لميشيل ألم يقل غير ذلك .

— نعم سمعته يقول ايضاً ان هذه المرأة لا تستطع وحدها اختطاف إبنتي وخادمتها فـــلا بد ان تكون قد استعانت بكوماك ورجاله .

— قالت الم يطلع على كتاب إبنته ؟

— دون شك وقد اوشك ان يجن من فرحه .

— اعزم على ان يدفع ؟

— دون شك وقد خالف في ذلك صرافه فقد كان من رأيه ارسال الكتاب الى البوليس . — وماذا اجابه مونيتو .

— ان كنوز الارض لا تعادل إبنتي فادفع ما يطلب منك .

— اذن لقد جرت الامور وفقاً لما نريد .

فقال لها كوماك لا ارى الامر كما تتوهمين فان مونيتو يحب

إبنته حباً شديداً فهو سيدفع كل ما يطلب اليه في سبيل افتدائها وسنقبض المال ولكنه بعدان ترد اليه ابنته يذهب الى ادارة البوليس

-- قالت اني اكون قد برحت فينا فلا خوف علي .

-- هو ذاك ولكن يبقى الخوف علينا نحن فاننا نبقى في فينا ويكون اعدامنا شنقاً .

فقلقت تنوان لقوله وقالت له : ماذا عزمت ان تصنع .

-- اني اريد ان ارسل رجلا لا يكون من قبيلتنا ليقبض المال

-- ليكن . ولكن اين نجد هذا الرجل .

لا اعلم بعد ولكنه لا يزال لدينا يوم وليلة وسنرى . ثم تركها وانصرف إلى الخمارة فما شرب فيها بضع كاسات حتى جاء المغني الايطالي اي بيبي .

وقد عرف القراء الاتفاق الذي جرى بين كوماك وبيبي فان كوماك كان يخاف ان يتهم باختطاف موبينا فأحب ان يوسع دائرة اعماله كي يظهر للبوليس انه يرتزق من عمله .

وكان بيبي قد افترق عنه على ان يرجع اليه ثانية مع ابنته الصبية الحسناء وقد عاد اليه بنيشات بعدان غير هيئتها فصارت تشبه الايطاليات وكان كوماك قد بلغ الشراب منه فلما رأى الفتاة صاح صيحة فرح وقد عجب بها كل الاعجاب وقال بيبي في نفسه انه سكران وفي ذلك تسهل مهمتي ثم جلس يشرب واياه ويتداولان للاتفاق على الاجرة وكوماك يكاد يفترس نيشات بنظراته فلما تم الاتفاق بين الفريقين قال لهم كوماك تعالوا معي فانكم ستبيتون عندي الان ثم قام وهو يتمايل سكراً فدفع ثمن

الشراب بسخاء ومشي امامهم بيبي وهمس في اذن نيشات قائلا : لا سبيل الى خوفك منه فانه سكران .

فلما وصلوا الى المنزل كان السكر قد بلغ مبلغه من كوماك فالتفت فجأة الى بيبي وقال له : لقد اصبت فان ابنتك بارعة الجمال واريد ان اتزوجها .

فتظاهر بيبي بالسرور وقال له : احق ما تقول ؟

— نعم ولا تحسب اني فقير كما تدل علي ظواهري فسأكسب مالا كثيراً بعد ثلاثة ايام .

— من اين تكسب هذا المال ؟

وكان السكر قد اضاع صوابه ولعثم لسانه ولكنه تنبه لهذا السؤال وقال له : ان هذا لا يعنيك .

فقال بيبي في نفسه : اني لم اكن مخطئاً في ما توقعته فقد ايقنت الان ان له يداً في اختطاف موبينا .

اما كوماك فانه فتح بابا وقال لنيشات : هوذا السرير الذي تنامين عليه اما نحن فاننا ننام على ارض هذه الغرفة ثم قال لبيبي الا ترافقني في الشراب .

— دون شك فاني اميل اليه ميلك :

فملأ كوماك كأسين فشرب وقال : لقد قلت لك اني اريد ن اتزوج . — اليس لك امرأة ؟

— لقد كان لي زوجة ولكنها ماتت .

— اراقت ابنتي في عينيك ؟ — بل احببتها .

— ان هذا يسرني غير اني اراك فقير وهي فقيرة .

ـ اذن ألا تريد ان تصدق ما قلته لك عن ثروتي . ثم نظر الى ما حوله نظرة الخائف وقال : لقد قلت لك اني سأغدو غنياً بعد ثلاثة ايام . ــ كيف ذلك ؟

فظهرت عليه عــلائم التردد ، ولما رأى ذلك بيبي منه اترع كأسه وقال له : اذن نبقى على ما كنا عليه فان ابنتي من البارعات بالجمال وساجد لها زوجاً يناسب غناه جمالها .

ـ اذا كنت لا تثق بما قلته لك عن ثروتي فاخبرك بكل شيء .

ـ بماذا تريد ان تخبرني ؟

ـ كيف سأغدو غنياً بعد يومين فاسمع : ثم قص عليه بلسان يتلعثم جميع ما جرى له من حين التقى بتنوان الى حين اختطاف موبينا فلما اتم حديثه قال له بيبي : لقد اتيت عملا منكراً .

ـ ان مونيتو الد عدو لي .

ـ ولكن ابنته ليست من اعدائك .

ـ هو ذاك غير انها لا خطر عليها عندنا ـ انظن ؟

ـ بل اؤكد فان جميع رجال القبيلة يخضعون لي اتم الخضوع وقد عرفوا ان من يمسها بسوء لا يكون عقابه غير الموت .

ـ اعزمت على ردها الى ابيها ؟ ــ متى دفع الفدية .

ـ اذن انت تعتمد على هذا المال كي تصبح غنياً .

ـ نعم .

ولكن هذا المال لا يصل اليك بل الى تلك المرأة التي كلمتني عنها وهي ستكافئك على اتعابك بالنذر اليسير فيما ستقبضه .

فابتسم كوماك وقال : اني لم اقل لك كل شيء بعد فاعلم

أن هذا المال سيحفظ عندي كما اتفقت مع تابير .

– على ماذا اتفقتما ؟

– على ان نقتل تلك المرأه صاحبة المال .

– كيف تقتلونها ؟

– ان الامر سهل وهو اننا نلقيها الى الاسد او الى النمر بعد ان يبلغ منهما الجوع .

فارتعد بيبي ثم قال : اربعة ملايين ! اني لو كان عندي هذا المبلغ لاقمت في فلورنسا على ضفاف النهر في المرمر .

– زوجني إبنتك وسنعيش جميعاً في هذا القصر.

– لقد زوجتك اياها .

فقام عند ذلك كوماك يريد الدخول الى غرفة نيشات فقال له بيبي الى اين انت ذاهب ؟ – كيف تسألني هذا السؤال ألم نتفق قال لا نتفق الا بعد ان ارى المال .

فخطر لكوماك عند ذلك خاطر فقال : اذن ستكون انت الذي يقبض المال . ثم مشى خطوة الى الغرفة وكان قد انعقد لسانه لفرط سكره فعثر بالغلام الذي كان مع بيبي فسقط على الارض صريعاً من السكر ونام فجعل يغط غطيطاً يشبه الزئير اما بيبي فانه ذهب الى نيشات فقال لها : يجب ان تبقي هنا اما انا فاني ذاهب الى مونيتو .

٣٥
النهاية

كانت الضربة التي اصابت مونيتو شديدة لفرط حبه لابنته فضعضع اختطافها حواسه ولكنه كان شديد الصبر فلما زال تأثير هذه الفاجعة الاولى عادت اليه سكينته فقال في نفسه : أن تنوان لم تختطف ابنتي الا كي تجعلها ذريعة لقبض المال وهي لا تسيء اليها دون شك وانا قادر على افتدائها بالمال فخفت مصيبته عند ذلك وبات مطمئناً لانه كان من اعظم رجال الاثراء ثم انه سيتذرع بعد هذه الحادثة الى نيل مصادقة مجلس شوراه على معاقبة تنوان بما يشاء .

وكان مونيتو في ذلك اليوم ارسل فارساً الى براغ برسالة منه الى احد رجال مجلس شوراه واقام ينتظر في المنزل الذي كان يقيم فيه بيبي وبوليت والاحدب وهو لا يعلم شيئاً من خطة بيبي غير ان بوليت كان يطمأنه ويقول له : ان بيبي سيظفر دون شك بتنوان ويقي ابنتك من كل خطر فيحرق مونيتو الارم من الغيظ ويقول : سيكون عقابها هائلا لم يخطر لظلام القرون الوسطى في بال .

وفيما هم على ذلك طرق الباب ففتحه بوليت وكان الداخل بيبي فبادره مونيتو بالسؤال عن إبنته فقال له : إنها في قبضة كوماك واني قادم خصيصاً لمباحثتك بشأنها .

فاضطرب مونيتو وقال له : وقال الملك رأيتها .

— كلا ولكني عرفت اخبارها فاعلم الان انها على اتم السلامة ولكنى اخشى الغد فيجب ان ننهج مناهج الحكماء .

— ولكني سأدفع المال .

ان المال لا تقبضه تنوان وان حذري من هذه المرأة اشد من حذري من تلك القبيلة .

— ولكن ابنتي اين هي الان ؟

— انها في محل لا يجب ان يذهب اليه سوانا للبحث عنها فيه الم تسمع بذلك المحل الذي يعرضون فيه الوحوش الضارية للفرجة قرب ملعب كاراس .

فصاح مونيتو صيحة رعب وقال : امي هناك مع الخادمة

— نعم غير انها وحدها فان تلك الخادمة المنكودة قد القوها بين انياب الوحوش خلافاً لابنتك فانها آمنة من كل خطر الا اذا خالفتني فيما اجريه .

— ولكني قد عرفت اين هي الان فاذا اخبرت البوليس طوق ذلك المكان واخرجها منه .

— انك مخطىء فان ثابير مروض الوحوش اذا شعر بقدوم البوليس دفع إبنتك الى براثن الاسدفان هؤلاء الناس انما يخدمون انفسهم انتقاماً منك اكثر مما يخدمون تنوان وعندي انه يجدر

بك ان تصبر الى الاحد وفي ذلك اليوم أحضر أنا لقبض المال منك فقد انتدبني كوماك لهذه المهمة لاني سأزوجه إبنتي نيشات وبعد قبض المال يكون الخطر الاكيد فان تنوان قد تنتقم إنتقامها الهائل .

غير اني وجدت مخرجاً من هذا الخطر اذا فعلتم كلكم ما أقوله لكم ثم التفت الى مونيتو وقال له : ألديك سم قاتل ؟

– دون شك فماذا تريد ان تصنع به . ألعلك تريد ان تسمم الوحوش .

– هو ذاك أسرع وائتني به .

فانطلق مونيتو مسرعاً للاتيان بالسم فقال بيبي لبوليت : يجب ان تشتري جواداً فتذهب به الى قرب المكان الموجودة به الوحوش وهناك تقتله بالسم الذي سيحضره مونيتو فتدعه ميتاً في مكانه وتنصرف .

وبعدهنيهة أقبل مونيتو بزجاجة السم فأخذها بوليت وذهب بها فصدع بما أمره به بيبي وعند الصباح وجد تابير بارشاد بيبي الجواد الميت فأسرع الى جره الى مكان الوحوش حيث كانت تنوان وموبينا وأجار . فلما رأت أجار ذلك الجواد فرحت به فرحاً عظيماً وقالت: سيكون للوحوش هذا المساء ما يأكلونه.

فقالت تنوان : لماذا لا تأكل الآن ؟

– لانها لا تشتغل ألا اذا كانت جائعة .

وعند ذلك دخل كوماك وقال : ما لديكم من الاخبار ؟

فأجابته تنوان : لا شيء سوى اننا ننتظر الغد بفارغ الصبر

وفي ذلك الحين دخل ميشيل وكان قد سمع الحديث فقال لهم : ان جزع مونيتو أشد من جزعكم فانــه وضع المال في الاكياس منــذ اليوم ودفعها الى الصراف فحين ذهابكم اليــه يدفع المال .

فقال كوماك : إذن سأذهب .

فقال له تابير : أتذهب انت ؟

– كلا ولكني سأرسل رجل أثق به .

ثم هم بالانصراف فأوقفه تابير وقال: يجب ان نتفق على القسمه

– سنتفق عليها بعد القبض .

قالت لهم تنوان: لاسبيل الى الخلاف فاني سأعطيكم مئة الف فلوريني وأنتم أربعة فيصيب كلا منكم خمسة وعشرين الفاً .

قال تابير : إذن فلنوقف العمل اليوم اذ يجب علينا ان نهتم بهذا الامر واذا جاءنا أحــد من المتفرجين نقول له : ان الاسد والنمر مريضان فقالت أجار : اذا كان ذلك فلم يبق فائدة من اجاعتها فلنطعمها الآن .

وعند ذلك تفرقوا ولم يبق غير تابير والنساء الثلاثة فأخــذ فأس وقطع به الجواد الميت المسموم حتى اذا أتم تقطيعــه بدأ بأطعام الاسد ودفع اليه قطعة فأكلها وكذلك بقية الوحوش حتى جاء دور النمر فأخــذ القطعة بلهف ثم شمها وابتعد عنها دون ان يأكل منها .

فقالت له أجار : انه أكل كثيراً أمس ولا أظنه جائعاً .

فقطبت تنوان حاجبيها وقالت : انه جائع ولكنه تائق الى

لحم الانسان فاصبروا ثم تبودلت بينها وبين أجار نظرة ارتعدت لها فرائص موبينا .

وكان الاسد وبقية الوحوش قد نامت بعد الطعام خلافاً للنمر فانه كان يدفعه الجوع الى لحم الجواد .

حتى اذا دنا منه وشمه ابتعد عنه وظهرت علائم الشبع عليه.

ومضى على ذلك ساعة كان تابير ينظر من النافذة من حين الى حين منتظراً عودة كوماك الى ان رآه مقبلاً فصاح صيحة فرح وقال : هوذا قد أقبل ومعه المال .

وبعد هنيهة دخل كوماك وقال: انه دفع المال دون ان يتأخر قالت له تنوان : لقد ظفرت اخيراً بأموالي فوا طرباه.

أما كوماك فانه نظر الى الوحوش وقال لتابير : ماذا أرى العلك أطعمتها ؟ — نعم ما خلا النمر .

— لقد أحسنت فانه أشد افتراساً .

ارتعشت تنوان وقالت : كأنه علم ما يجول في خاطري .

غير ان كوماك لم ينظر اليها وقال لتابير : لقد اخطأت هذه السيدة بتقسيم المال لان نصيبك مائة الف فلوريني لا خمسة وعشرين الفاً كما قالت فاحملها الآن لانك قوي والقها في قفص النمر .

اما تنوان فانها صاحت صيحة هائلة وقد علمت مقاصد اولئك الاشقياء ورجعت مذعرة حتى التصقت بالجدار وجردت خنجرها

فابتسمت أجار وقالت : ليست هي التي تذهب الى النمر بل ان النمر يذهب اليها فقال لها كوماك : كلا فاني ارى عينيه شاخصتان الى موبينا وقد اغمي عليها من الرعب فأخاف ان يفترسها

علمت تنوان عند ذلك انه قد قضي عليها فهجمت بخنجرها عليهم تريد الفرار منهم ولكنها لم تخطو خطوتين حتى أدركها كوماك من ورائها وقبض عليها من وسطها وأسرع تابير وجردها من الخنجر وذهبت أجار لتفتح باب القفص وصاحت تنوان صياح الذعر وقالت : رحماكم لا تقتلوني هذا القتل الفظيع .. خذوا المال كله وابقوا علي غير ان كوماك لم يكترث لصياحها فحملها وقال لتابير : يجب ان ننتهي منها ثم دفعها الى قفص النمر وأغلق بابه . وصاحت تنوان صيحة هائلة ثم أغمضت عينيها وهي تتوقع ان يمزقها النمر ولكنه لم يمسها ولم يكترث بها على فرط جوعه فانه كان ينظر بعينين تتقدان الى موبينا وهي ملقاة خارج القفص مغمياً عليها .

وقال تابير وقد ذهل لما رآه : يظهر ان النمر غير جائع او انه مريض فقالت أجار : كلا ولكنكم اذا شئتم ان تهيجوا فيه قابلية الاكل ادفعوا له موبينا لانه طامع فيها .

اعترضها كوماك وقال : كلا لا أريد .

— اذن فهو لا يأكل هذه العجوز لان قابليته قد انصرفت الى الفتاة .

وعند ذلك تداخل تابير وقال له بلطف : اننا قبضنا المال واية فائده لنا من الابقاء على هذه الفتاة بعد ان وقفت على اسرارنا، وفوق ذلك أليست هي ابنة ألد عدو لنا ولما هذا الاشفاق عليها

اقتنع كوماك وقال له : افعلوا ما تشاؤون .

حملت أجار عند ذلك تلك الفتاة المنكودة وهي ضائعة

الرشاد والقتها في القفص فوثب النمر عليها وثبة هائلة والقى براثنه فوق صدرها ولكنه قبل ان ينشب فيها أنيابه سمع دوي هائل وسقط النمر مخضباً بدمائه ذلك ان رصاصة أصابته بين عينيه وسقط قتيلاً .

وفي الحال دخل رجل وبيده المسدس لا يزال الدخان خارج منه وكان هذا الرجل بيبي .

اما كوماك وعصابته فقد ذعروا ذعراً شديداً واصدر أمره بالفرار ولكن تابير اجابه : لقد فات الاوان وأدركنا البوليس وذلك ان عشرين جندياً دخلوا في اثر بيبي وقبضوا على العصابة .

واما بيبي فانه أسرع الى القفص وفتح بابه وأخرج موبينا ثم عاد الى تنوان وهي ضائعة الرشاد مما اصابها من الرعب فنزع شعره المستعار وقال لها ضاحكاً : أعرفتيني الآن ؟

اصطكت أسنانها من الرعب وقالت : بيبي !

— نعم فان الذين تقتلينهم لا يموتون وانك قد نجوت من قبضتنا مراراً أما هذه المرة فلا مطمع لك بالنجاة .

وبعد ساعة كان الجنود يقودون في المركبة كوماك وعصابته ومركبة أخرى تقود تنوان حتى اذا وصلوا بهم الى السجن أخرجوهم من المركبة اليه . ولما جاء دور تنوان دنا مونيتو من صديقه رئيس البوليس وقال له : ان هذه المرأة نورية من أتباعي واسألك ان تسلمني اياها طبقاً للامتيازات المسموحة لنا فسلمه إياها

***

وفي اليوم التالي كانت مركبة بريد ضخمة يجرها أربعة جياد سائرة في طريق براغ يخفرها عشرة فرسان وفي هذه المركبة مونيتو ملك النور وبيبي وبوليت وبنوات الاحدب ونيشات وتنوان وقد ساروا بهذه المركبة يومين وليلة لا تقف بهم الا حين تغيير الجياد وهي مسدلة الستائر بحيث لا يرى من فيها شيئاً من الخارج فكأنهم في سجن .

ولم تكن تنوان قد فاهت بكلمة في مدة هذا السفر حتى انتهوا من الطريق التي تسير فيهـا المركبات فوقفت المركبـة وخرج من فيهـا فرأى مونيتو انهم في واد فسيح امامه جبل كبير . وكان مونيتو يظهر في فينا بمظاهر التجار وأما في جبال بوهيميا فكان يظهر بمظاهر الملوك فلا يناديه النور أتباعه الا بلقب صاحب الجلالة ولما خرج من المركبة قال لبيبي: انك لاتعلم دون شك اين انت الآن ولكنك تعلم بعد سير ربع ساعة .

ــ الا تقول لنا أين نحن الآن ؟

ــ لا أستطيع فان ذلك من أسرارنا التي لا تبـاح ولكني سأذهب بكم الى المحل الذي نضع فيـه كنوزنا ولا يجب ان يعلم أحد غيرنا موضع هذه الكنوز ولذلك سأعصب عيونكم مـدة سيرنا الى ان نصل فتفتحونها على ما يدهش الابصار .

ــ شأنك وما تريد ؟

وعند ذلك خرج الجميع من المركبة فأمر مونيتو الفرسان ان يعصبوا عيونهم فعصبوها ما خلا تنوان وقد قال مونيتو : لا فائدة من عصب عينيها فاننا لا نخشى خيانتها .

وعند ذلك امر بالمسير فتأبط كل فارس ذراع واحد منهم وساروا وما زالوا يمشون حتى شعروا ان الهواء قد تغير فعلموا انهم يسيرون في سرداب فما مشوا في ذلك السرداب بضع خطوات حتى امر مونيتو برفع العصابات فرفعوها فراوا نوارا متألقة تخطف الابصار ورأوا أنفسهم في مغارة تحت الارض فوضع مونيتو يده على كتف بيبي وقال له : ماذا ترى ايها الصديق .

– أرى إني من الحالمين .

– صبراً سوف ترى فوق ما رأيت .

ثم أصدر أوامره باللغة النوريه فاطفئت الانوار في الحال وساد الظلام في المغارة ثم سمع بيبي صرير مفاتيح في الاقفال فأخذ مونيتو بيد بيبي وقال له : سر معي دون خوف وفعل الحراس بالآخرين كما فعل مونيتو وبيبي وساروا جميعهم في الظـــلام ولكن سيرهم لم يطل هذه المـــرة فأمرهم مونيتو بالوقوف وأثاروا مشعلا فظهر لهم على نوره الضعيف دهليز آخر فقال لهم مونيتو : إننا الان على عمق مائة قدم تحت الارض .

فجعل بيبي يفحص ما يقع عليه بصره فرأى شيئاً على شكل صندوق يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام وهو مغطى بقماش أسود فلم يعرف ما هو وقد رأى حواليه من كل جهاته صناديق من الحديد فأخذ مونيتو مفتاحاً كان معلقاً في سلسلة في عنقه وجعل يفتح به تلك الصناديق حتى إذا أتم فتحها أمر باضاءة المشاعل كلها فسطعت الانوار وظهر ما كان في هذه الصناديق من سبائك

الذهب الوهاج والاحجار الكريمة النادرة الوجود مما لا يحيط به وصف فقال مونيتو عند ذلك لبيبي : هذا هو كنز النور المؤتمن عليه ألم أقل لك إنه كنز أعظم من كنوز الامبراطور .

فقال له بيبي : ولكن ماهذا الهيكل المغطى بالغطاء الاسود

فابتسم مونيتو وقال : انك كثير التسرع أيها الصديق .

أما تنوان فانها عرفته لا نها حولت نظرها عنه وجعلت فرائضها ترتعد .

وأما نيشات فانها دهشت مما رأته من هذه الاموال والكنوز المدفونة فقالت لبوليت : إني ماتمنيت أن تكون هذه الكنوز لي الا لابذلها في سبيل مصالحتك .

وقال بيبي لمونيتو : ولكن ماذا تنتظر الان ؟

— إننا ننتظر ضحايا تنوان .

ثم أشار إشارة الى الحراس فانقضوا عليها وكبلوها بالقيود ولما أتموا تقييدها سمعوا صوت أقدام في المغارة فذكر بيبي ان مونيتو واعد داغوبير وأرور ولوسيان وحنة على الاجتماع في براغ ثم فتح باب في المغارة فظهرت منه أورور وحنة وداغوبير ولوسيان فاستقبلهم مونيتو وقال: أسألكم المعذرة فانهم عصبوا عيونكم كي لا تروا مدخل المغارة .

فابتسمت أورور وقالت : نعم ولكننا رأينا كثيراً من عجائبها ثم قال لهم : أتعرفون هذ المراة ؟ وأشار إلى تنوان .

فأجابه لوسيان : إنها كانت خادمة غرفة عند أمي .

— ماذا تدعى ؟ — تنوان .

— أهي التي سرقتكم ؟

— نعم فانها سرقت صندوقاً يحتوي على ثروة امرأتي واختها

— كم تقدر هذه الثروة ؟ — لا أعلم .

— إن تنوان أودعت عندي عشرين مليوناً وها هي موضوعة في هذا الصندوق .

ثم دلهم على صندوق كان مكتوباً عليه (وديعة المواطنة تنوان) وقال لهم : إن هذا الصندوق سيرسل الى براغ وعند عودتكم اليها تجدونه في الفندق الذي تقيمون فيه .

وكانت تنوان مقيدة اليدين والرجلين وملقية على الارض فاشفقت عليها اورور وقالت لمونيتو : ماذا عزمت ان تصنع بهذه المرأة .

قال اصغي الي يا سيدتي : إن هذه القبيلة التي أتولى رئاستها قد عرفت بالامانة والوفاء حتى نالت احترام الشعوب وتولت ملوك اوروبا حمايتها . ولا شيء يروعنا مثل السرقة والخيانة ولذلك وضعنا في قانوننا السري بنداً يقضي بالاعوام على كل رجل سارق او خائن منا .

ولم يتفق لنا في مدة ستين عاماً اننا عاقبنا غير اثنين من ابنا القبيلة فجئنا بالمجرم الى هنا .

وعند ذلك رفع مونيتو الغطاء الاسود فانكشف ما تحته وصاح الناظرون صيحة ذعر فانه كان قفصاً من الحديد وفي داخله جثتان لم يبق منهما غير العظام .

وعاد مونيتو الى الحديث فقال : كانت احدى الجثتين

لامرأة بارعة في الجمال فاحبها أحد رؤساءقبيلتنا .

فوقفت منه على سر هذا الكنز فدخلت اليه وحاولت ان تسرقه فكان عشيقها من إلذين حكموا عليها .

وأما الجثة الثانية فهي جثة أحد زعمائنا وقد عوقب هذا العقاب لانه حاول أن يبوح باسرارنا للملك بافاريا فسجن في هذا القفص بعد أن قتلت فيه المرأة بعامين ومات جوعاً قرب جثتها البالية .

وعند ذلك أشار مونيتو إشارة سريه إلى رجلين كانا بقربه ففتح أحدهما باب القفص وحل ألآخر قيود تنوان فادخلها الى القفص وأقفل بابه .

أما مونيتو فانه فتح جميع الخزائن ووضع أمامها المشاعل كي يبدو الذهب لنظر تنوان كيفما نظرت وقال لها إنك أحببت الذهب فليكن الذهب عقابك . إنك ستموتين وانت ناظرة الى هذه الحجارة الكريمة فبينما يعض الجوع معدتك يخطف شعاع الذهب بصرك . الوداع يا تنوان لقد قضت عليك القبيلة التي دنست شرفها بسرقة المال أن تموتي جوعاً فموتي وأنت ناظرة إلى المال .

* * *

عند الفجر كانت مركبتان تجتازان جسر براغ وكان في أحدهما الجنرال داغوبير وأورور وبيبي والاحدب .

وفي الثانية لوسيان وحنة وبوليت ونيشات فكانت حنة تقول لقد خيل لي اني كنت حاملة ، ثم نظرت إلى نيشات .

فاطرقت نيشات بعينيها استحياء ولم تستطيع أن تلقى نظراتها فاخذت حنة بيدها وقالت لها : لقد عرفتك فانت هي تلك الفتاة الــتي كانت تكرهنا وكان اسمها البومة ونحن لم نستطع ان نصفح عن تنوان فان أمرها كان منوطاً بملك قبيلتها ولكننا نصفح عنك بملء الرضى إذا رضيت ان تتنازلي عن كرهنا .

فاسترسلت نيشات إلى البكاء وركعت امام حنة فجعلت تقبل يدها وتغسلها بدموعها .

فانهضتها حنة وقالت لها : يسرني ان اقرأ صورة التوبة والندم بين عينيك واذا عاهدتني على ان تكوني طاهرة القلب شريفة الاخلاق احببتك واحببتك اختي وكنت معنا في كل حين

* * *

ولنعد الآن الى المحامي د . فلقد تركناه وقد دخل الى القاعة في قصر كريتشن ورأى ذلك الرسم الذي يمثل روبسبيير والفتاة راكعة امامه وهو اي المحامي واقف وراء روبسبيير ، فحاول الفرار لما تولاه من الذعر ولكنه رأى ان الباب قد فتح ودخل منه اثنان .. وقد كان الداخلان كريتشن ورجل معها يناهز الثلاثين من العمر .

فتقدما من المحامي وقالت كريتشن للرجل الذي يصحبها .

ايها البرنس هوذا الرجل الذي جعلني يتيمة فان روبسبيير اشفق علي ولكن قلب هذا الرجل لم يعرف الرحمة .

ان روبسبيير كان متعصباً غير انه كان له معتقد سياسي اما هذا الرجل فلا معتقد له ولا دين فاذكر ايها البرنس انك حين

احببتني وسألتني الزواج بك رضيت بزواجك على شرط ان تنتقم لي فاجابها البرنس : اني لست من الناكثين للعهد .

اما المحامي فقد علم انه وقع في الشرك ولكنه تشجع وقال لا انكر اني ساعدت على معاقبة النبلاء بالاعدام ايام الثورة ولكني قد فعلت ما وجب علي فاني جمهوري وانت يا سيدتي يحق لك ان تقتليني بعد ان وقعت في الفخ التي نصبته لي غير انه لا يحق لك اهانتي فابتسمت كريتشن ابتسامة شفت عن احتقارها وقالت له :

اني لا اقتلك ولكني اسلمك الى زوجي البرنس حاكم هذه المقاطعة .

– اذن هاتوا الجلادين ، هاتوا القتلة فاني مستعد للموت .

فاجابه البرنس ببرود : انك مخطىء بتوهمك اننا لا نريد قتلك .

– ماذا تريدون مني ؟ – سوف تعلم .

وعند ذلك صفق بيديه ففتح باب القاعة ودخل اربعة جنود نمساويين فقال البرنس للمحامي : انك لست الآن في قصر بل انت في قلعة حولت الى سجن وهذا السجن مستودع يقيم فيه السجين موقتاً الى حين يمر المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في سبيليرج فيسير معهم وهم يمرون مرة كل اسبوع .

فهز المحامي كتفيه وقال : انك تستطيع قتلي اذا شئت واما ان ترسلني الى سبيليرج فلا . – لماذا ؟

– لاني فرنسي واحد النواب فستطالبكم الجمهورية بي .

– ان الجنود سيذهبون بك الآن الى السجن المعدلك وسترى

ثم اشار اشارة الى الجنود فهموا بالقبض عليه غير انه صدهم وقال لهم بملء الكبرياء : لا اسمح لاحد منكم ان يدنو مني فسيروا امامي وانا اتبعكم .

فساروا به في رواق طويل انتهوا منه الى غرفة صغيرة مظلمة فيها مقعد من الخشب وكرسي عليه ابريق ماء وقطعة من الخبز الاسود فأدخلوه اليها وخرجوا وأقفلوا الباب .

فكاد المحامي عند ذلك يجن من غيظه وجعل يضرب الباب يريد كسره ويشتم أقبح الشتائم .

وعند ذلك فتح الباب ودخل رجل عرف من شكل ملابسه انه مأمور السجن وقال له : ماذا تريد ؟

– أريد ان أعلم بأي حق سجنوني هنا ؟

– انهم سجنوك هنا الى ان يمر المحكوم عليهم بأشغال في سبيليرج

– من هم ؟

– هم فريق من القتلة واللصوص يأتون بهم من سجن تريستا بعد صدور الحكم عليهم بالاشغال المؤبدة .

صاح المحامي في ذعر وقال : أرى انك لا تعرف من انا ؟

– كيف لا أعرفك فأنت المدعو كونراد هوزر حكم عليك بالاشغال الشاقة المؤبدة ووسمت في كتفك .

هاج غضبه وقال : كذبت فما انا بموسوم .

– لا أعلم ولكن كتاب السجن يثبت ذلك .

أخذ المحامي ينزع ملابسه عن جسمه حتى نزع قميصه وقال

له : تعال وانظر ايها الشقي اذا كنت موسوماً .

– أرى انك قد فقدت صوابك .

ثم دفعه الى مرآة صغيرة معلقة بالجدار وقال له: انظر انت.

نظر المحامي في المرآة ثم تراجع منذعراً فقد رأى على كتفه تلك السمة النمساوية التي يرسم بها كبار المجرمين وهي نسر أسود باسط جناحيه .

وكانت كريتشن قد وسمته حين كان في منزلها في فينا وسقته المخدر دون ان يعلم فقال له مأمور السجن : ارأيت الآن انك موسوم وانك كونار المجرم الهارب من سجن تريستا ؟

ضاع صواب المحامي وقال : كل ذلك زور .

قال له المأمور : ليس ذلك من شأني فقد اتيت لاتلو لك صورة الحكم عليك ثم تلى عليه الحكم وهو الاشغال الشاقة المؤبدة وتركه وانصرف .

وانطرح المحامي على المقعد الخشبي وقد وهت قواه وأيقن انه قضي عليه القضاء المبرم .

وفي اليوم الثامن لسجنه مر المحكوم عليهم بالاشغال المؤبدة فقيدوه بسلاسل الحديد وأخذوه معهم الى سبيليرج باسم كونراد هوزر وعندما أدخلوه الى مركبة المجرمين كانت كريتشن واقفة في شرفة تنظر اليه وتبتسم وقد شفت غلها بالانتقام .

وبعد ذلك ببضعة أعوام دخل نابليون الاول الى فينا دخول الفاتح الظافر فجاءوا اليه برجل من مناجم سبيليرج بيضت شعره الهموم يدعي انه فرنسي وانه يدعى المحامي د. وقد كادوا له

مكيدة هائلة والقوه في السجن باسم غير اسمه فأصغى نابوليون الى شكواه غير ان أحد ضباط البوليس جاءه بسجل الوفيات وقرأ فيه ان المحامي د. أحد نواب الشعب الفرنسي مات في فينا

وكانت كريتشن قد احتاطت لذلك وسجلت اسمه رسمياً في سجل الاموات ولم يسمع نابوليون الاعتراض بعد هذا البرهان الجلي وقرر انه مجنون وأمر بأرساله الى مستشفى المجانين حيث مات فية .

وفي اليوم التالي للامر الذي أصدره القنصل الاول وهو نابوليون بإعادة فتح الكنائس كان الاب جيروم اول من احتفل بإقامة الصلاة في انجرام بحفلة حضرها جميع اهل تلك القرية .

وبعد ان انتهت الصلاة وتفرق الناس بدأت صلاة أخرى وهي صلاة زفاف .

وكان الذي حضر هذه الصلاة الجنرال داغوبير وامرأته اورور والكونت لوسيان دي مازير وامرأته حنة وبيبي وبنوات الاحدب .

أما العروسان فقد كانا بوليت ونيشات وقد أنصفهما الدهر اخيراً .

وهكذا انتهت حوادث هذه الرواية الرائعة وعاش ابطالها النبلاء بعد ان نال كل منهما ما ناله عن جدارة واستحقاق مما عرفه القراء والذين أثنوا على واضع القصة هذه لما جاء بها من حوادث هامة وخالدة .

— تمت —

هذه القصة

على مذبح الشهوات

يوسف

تأليف

الروائي العالمي الفرنسي ميشال زيفاكو

وهي من القصص التاريخية والعالمية الغرامية الرائعة

على مذبح الشهوات

قصة مليئة بالحوادث والمؤامرات والمكائد والدسائس التي حيّرت عقول أبناء الطبقات الراقية والتي كان مصدرها امرأة نورنيّة تدعى نبوات وكيف سخّرت العشرات من أبطال هذه القصة وفتكت بالكثير من الأبرياء للحصول على مالهم من قصور وأموال ولم يستطع أحد من رجال الحكم والبوليس في ذلك العهد أن يشتبه في هذه المرأة الداهية التي لعبت أدوارًا هامة وأبعدت بين الأخ وأخيه والإبن وأبيه بما لديها من مهارة ومقدرة فائقة وهذا مما سيطالعه القارئ بكل شغف ونهم لما بها من فصول وحوادث ممتعة وكلها تدلّ دلالة واضحة على مقدرة واضعها بأسلوب روائي شيّق وجميل ...

